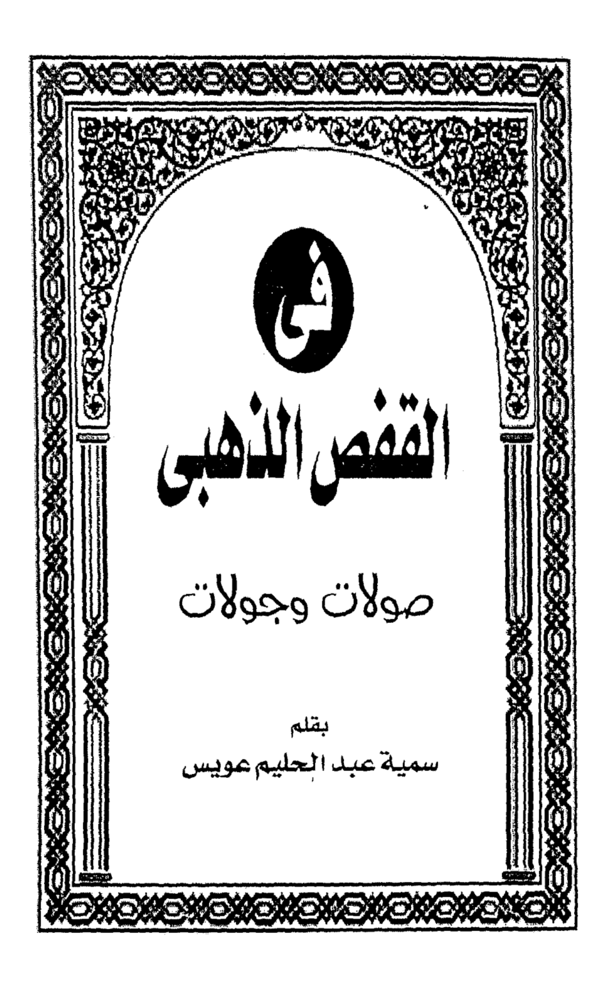


فى القفص الذهبى

صولات وجولات

بقلم

سمية عبد الحليم عويس



فى القفص الذهبى

صولات وجولات

بقلم
سمية عبد الحليم عويس

اسم الكتاب : في القفص الذهبى .

التأليف : أ / سمية عبد الحليم عويس .

عدد الصفحات : 286 صفحة .

قياس الصفحة : 16×10

عدد الطبعات : (الطبعة الأولى)

التوزيع والنشر : للمؤلف

١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

فى القفص الذهبى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ومِنْ آياته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسكُمْ أَزْواجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وجعل بينَكُم مَّوَدَّةً ورحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١]

(فى الزواج ليس هناك سوى يومين فقط جميلين يوم دخول القفص ويوم الخروج منه) [موريس دوساكس]

(أصدق دليل على أن الزواج ليس فاشلاً هو أن الأرامل من الرجال والنساء يشتاقون للزواج مرة أخرى)

[هيلين رولاند]

(الزواج لثانى مرة : انتصار للأمل على التجربة)

[أنيس منصور]

(الزواج قوام العالم ، هو الذى يبنى المدن والقرى ، ويملأ البيوت والشوارع ودور العبادة) [شيللر]

الفصل الأول
رسالة إلى كل رجل وامرأة

فوائد النكاح غض البصر

تحصين فرج ورجا نسل در

تصفية القلب كذا تقويته

على العبادة كذا استراحته

من تدبير المنزل والتكلف

رياضة النفس فراع واكتف

والغنى أيضا واطلاع الإنسان

على الذي يشوقه إلى الجنان

آفاته العجز عن الحلال

وعن حقوقها في كل حال[1]

---

(١) منظومة الشيخ الهمام أبي محمد سيدي قاسم بن يامون التليدي الأخماسي . رحمة الله عليه

هل أتزوج؟!

ـ « الزاوج هو المغامرة الوحيدة التى يستطيع أن يقوم بها الرجل الجبان » . . . . فولتير

ـ اعتذر بعض الرجال عن الزواج حتى قال بعضهم : « لا أغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فيهن » : أى من القيام بحقهن وتحصينهن وإمتاعهن ، " وأنا عاجز عنه " . . . . إبراهيم بن أدهم

ـ « يمنعنى من النكاح قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] . . لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلاداً على الجسر » . . . . بشر الحافي

ـ (هل رأيتَ ذا عيال أفلح) :

يا حبذا الغربة والفتاح . . ومسكن تخرقه الرياح . . لا صخب فيه ولا صياح » سفيان بن عينية

ـ « المرأة عزيزة على الرجل مرتين : يوم يتزوجها ويوم يدفنها » . . . . . . مثل روسي

ـ وقال آخرون : « الزواج تأمين ضد الطيش فى سن الشباب ، وضد الوحدة فى عهد الرجولة ، وضد المرض فى

أيام الشيخوخة ، أما أقساط هذا التأمين فهم الأطفال الذين نشقى فى تربيتهم وتعليمهم » .

ـ « يولد المرء بنصف روح ، ويأخذ فى البحث عن النصف الآخر حتى يقترن بزوجة أو يجد صديقاً »

أفلاطون

لولا الزواج لما كنا ولا كانت

هذى البلاد ولا شيدت مبانيها

إن الزواج يصون النفس يعصمها

عما يحط بعلياها ويزريها

إنما المرأة للمرء نصيب

وشريك ورفيق وحبيب

لا يطيب العيش إلا معها

كل عيشٍ دون إلفٍ لا يطيب

وقالت امرأة حكيمة:

« أفضل أن أكون زوجة فحّام عن أن أكون عشيقة ملك » .

* * *

ماذا يقول الحكيم العليم
وماذا يقول الحبيب ﷺ ؟

يقول جل شأنه : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور : ٣٢] .

ويقول الرسول الكريم ﷺ : « النكاح سنتي » (١) .

ويقول : « إن الرهبانية لم تكتب علينا » (٢) .

ويقول « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »(٣) .

وقد ناقش الإمام أبو حامد الغزالى فى إحيائه هذا الموضوع فقال : « ما الأفضل : التخلى لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول : يجمع بينهما ؛ لأن النكاح ليس مانعاً من التخلى

---

(١) أخرجه ابن ماجة ١٨٤٦

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٢٢٦

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١ / ٣٨٥ والبيهقي في المسند ٤ / ٢٩٦

لعبادة الله من حيث إنه عقد ، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب ، فإن قدر على الكسب الحلال ، فالنكاح له أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلى فيه للعبادة .

والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن . فإن فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة ؛ فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجرى مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن فى كسب الحلال والقيام بالأهل والسعى فى تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات ، ولا يقصر فضلها عن نوافل العبادات ، وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح أفضل »

***

تأمل .. الزواج عبادة !!

الزواج هو قوام العالم وهو الذى يبنى المدن ويملأ المساجد والبيوت بالعُبّاد والعُمّار . . ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [النساء : ١] .

وفى الزواج فوائد ومزايا : منها العدل والشرف والثبات وصيانة الأعراض والولد « خير نسائكم الولود الودود »[١]

لموافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان . وطلباً لمحبة رسول الله ﷺ فى تكثير مَن به مباهاته (تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .

وطلباً للتبرك بدعاء الولد الصالح من بعده وقد يموت قبله فيكون له شفيعاً لقوله ﷺ : «إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة » .

---

(١) أخرجه البيهقي بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مُرسلاً .

ومن فوائد الزواج كذلك التحصن من الشيطان وإليه الإشارة بقوله ﷺ : « من نكح فقد حصّن نصف دينه ، فليتق الله فى الشطر الآخر » . وكان الجنيد رحمه الله يقول : « أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت » .

ومن فوائده ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة : إراحة للقلب وتقوية له على العبادة وفى الخبر : « لا يكون العاقل ظاعناً إلا فى ثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أولذة فى غير محرم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لكل عامل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى » .

والشرة الحدة والمكابدة بحدة وقوة وذلك فى ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة . إلى غير ذلك من الفوائد التى يستحب لأجلها الزواج فهو شركة جليلة المزايا شريفة المنافع وكما يقول أبو قراط ـ أبو الطب ـ : « الزواج مصدر آداب المجتمع الإنسانى كله » .

ويقول الأستاذ المنفلوطي : « المرأة عماد الرجل وملاك أمره وسر حياته من صرخة الوضْع إلى أنَّة النزْع ولا يستطيع الرجل أن يكون رجلاً تام الرجولة حتى يجد إلى جانبه

زوجة تبعث فى نفسه روح الشهامة والهيبة، وتغرس فى قلبه كبرياء المسؤولية وعظمتها، وجملة القول : أن الحياة مسرات وأحزان : أما مسراتها فنحن مدينون بها للمرأة لأنها مصدرها وينبوعها ، وأما أحزانها فالمرأة هى التى تتولى تحويلها إلى مسرات أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل ، فنحن مدينون للمرأة بحياتنا كلها ، وقد يحنو الرجل على المرأة ويرحمها ولكنها رحمة السيد بالعبد لا رحمة الصديق بالصديق ، وقد يصفها بالعفة والطهارة وهو يعنى عفة الخدر والخباء لا عفة النفس والضمير ، وقد يهتم الرجل بتعليم المرأة أو بتخريجها وذلك ليعهد إليها بوظيفة المربية أو الخادم أو الممرضة أو ليتخذها ملهاة لنفسه أو نديماً لسمره أو مؤنساً لوحشته ، والمرأة لا تريد شيئاً من ذلك ؛ هى تريد أن يحترمها الرجل كإنسانة لها مثل ماله من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات ، هى تريد أن يعاملها الرجل كما يحب أن تعامله المرأة بحب وتقدير واحترام » .

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : « لا يستغربن أحدٌ من الإسلام أن يجعل الزواج عبادة وأن يجعل قضاء الوطر فى ظله قربى يؤجر المرء عليها ، وفى الحديث : « من أراد أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر »

إن الأسرة فى الإسلام امتداد للحياة والفضيلة معاً ، امتداد للإيمان والعمران على سواء ، ليست الغاية إيجاد أجيال تحسن الأكل والشرب والمتاع ؛ إنما الغاية إيجاد أجيال تحقق رسالة الوجود ، ويتعاون الأبوان فيها على تربية ذرية سليمة الفكر والقلب شريفة السلوك والغاية « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء » « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما » فينبغى أن يكون كلا الزوجين قرة عين لصاحبه وأن يوطن نفسه على هذا الاستقرار وأن يتعاونا بعدُ على تربية أولادهما وصيانة حاضرهم ومستقبلهم » .

* * *

رأي الشباب في الزواج

« إذا كان الزواج عاصفة فوق بحيرة ؛ فإن العزوبية بحيرة من الوحل » .

أما إذا تركنا رأى الدين جانباً ـ كما يريد المضلون المضللون ـ وتركنا الأعراف والتقاليد الشرقية العربية العريقة فسوف نصطدم بقول برنارد شو فى كتابه « الإنسان والإنسان الأسمى » وهو يسخر من «دون جوان » الذى يقول معترضاً على مبدأ الزواج : « عندما كنت فى الأرض وكنت أعرض على النساء تلك العروض التى يعتبرها المجتمع منافية للأخلاق وهى نفسها التى جعلت لى هذه الشهرة العالمية وخلقت منى بطلاً من أبطال الأساطير ، كانت كل امرأة تعرب عن قبولها لما أعرض بشرط أن تكون تلك العروض غير منافية للشرف !! أى : أن أحرص على رفقتها الدائمة لى وأطلب مشورتها وأكفل لها حق التحدث معى حتى آخر حياتى وأن أدير ظهرى لجميع نساء الأرض الأخريات مدى الحياة من أجلها ، وقد اعترضت على هذه الشروط لأنها تعسفية وغير إنسانية وغير معقولة أو مقبولة أصلاً . . فبصراحة تامة : إذا لم تكن شخصية المرأة وذكاؤها يساويان

أو يفوقان شخصيتى وذكائى فإن أحاديثها سوف تهبط بمستواى ومشورتها سوف تضللنى وتقودنى إلى الأخطاء ورفقتها الدائمة سوف تضجرنى وتثقل علىّ ، وإننى لا أستطيع الارتباط بعواطفى لمدة أسبوع واحد مقدماً ، فكيف أضمن تعلقها بشخص ما مدى الحياة ، ثم إن الحيلولة بينى وبين الاتصال بغيرها مّن النساء مدى الحياة سوف تضلنى وتضيق أفق عقلى وقلبى إذا خضعت لها والتزمتها ، أو تلقى بى إلى أحضان اللعنة المسماة « الخيانة الزوجية » إذا تمردت عليها . . .

فخلاصة الاعتراض على الزواج أنه يفرض الاستقرارفى شئ غير قابل بطبعه للاستقرار ويطلب الدوام لشئ لا يمكن أن يدوم . . والجميع متفقون على أن الحب الجنسى غريزة طبيعية مثل الجوع أوالظمأ . . لكن دوام الحب ليس أمراً غريزياً فإذا كان الحب الجنسى يتطلب التغيير ففيم إذن هذا النظام القائم على الوعد بالحب لشخص واحد مدى الحياة ؟!! »

ويعترض البعض الآخر على الزواج لأن الشاب والفتاة اللذين يتزوجان إنما يرتضيان باختيارهما تطليق الحياة العاطفية والمغامرات وسحر التعارف المستمر بأشخاص جدد

من الجنس الآخر والنشوة العجيبة التى يحدثها الوقوع فى الحب كل مرة وبتطليقهما كل ذلك يطلقان المنبع الرئيسى للنشاط النفسى والحسى ويحكمان على نفسيهما بالجمود والبلادة السابقين لأوانهما فينهيان حياتهما وهى لم تكد تبدأ . . . ولا شىء يمكن أن يبدد ملل وسآمة الحياة المبنية على الواجبات والمسؤليات إذ لا يلبث حب الزوجين أن تشوبه أثقال المتاعب البيتية وتربية الأطفال فيبلغ الزوجان أرذل العمر دون أن يستمتعا ببهجة الشباب التى لا يحققها غير الحب العنيف . . والزواج يقتل هذا الحب .

وعلى هؤلاء يرد المؤيدون للزواج فيقولون :

قد يحتج « دون جوان » باعتباره ممثل وجهة نظر أعداء الزواج بأنه لا يبالى بالخلية الاجتماعية أو حفظ النوع ، وأن الحياة فى نظره هى تجديد مستمر للرغبة والمتعة دون قيود . . ولكن نقول له : إن الحب بين غير المتزوجين لا يقل قيوداً عن الزواج فإن المشاكل التى قد تعقد الحياة الزوجية وتنغصها مثل المشاجرات والغيرة والملل واختلاف الأذواق توجد فى كل صلة بين رجل وامرأة - شرعية أو غير شرعية - فأى حب لا يخلو من اختلاف ومشادات بين الحبيبين بين الحين

والآخر؟! فإذا لم يكن هناك ترابط مقدس يربط بينهما فإن أى خلاف أو مشادة بينهما قد يؤدى إلى انفصالهما الذى لابد أن يندما عليه ـ فى الأغلب ـ بعد وقوعه . . فالزواج هو الرابطة الوحيدة التى يزيدها الزمن قوة على قوة .

أما من يريدون تجديد نشوة الشعور بالحب باستمرار بتغيير المحبوب والزواج يقيد هذه الرغبة فإليهم نقول :

إن انشغال العوانس والعُزاب بأنفسهم انشغالاً متزايداً قد يفقدهم اتزانهم العقلى ، فالعزوبة بالنسبة لهم تؤدى إلى انحطاط مستوى الشخص الذهنى وتدهوره فضلاً عن أن الانغماس فى الملذات الجسدية الحرة لا يمنح عُشر معشار سعادة الزوج والأب ورب العائلة فى الزواج الموفق ، ناهيك بما يحسه الأعزب المتقدم فى السن من وحشة كئيبة وفزع من الموت يصاحب غالباً كل معيشة متحررة من القيود وإذا كانت حياة المرأة مع الزوج عسيرة ـ نوعاً ما ـ فإن حياتها ـ دائماً ـ مع العشيق أشد عُسراً وتعقيداً .

هذا بالإضافة إلى خطورة العلاقات الجنسية المتعددة على الفرد والمجتمع « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً » ، يقول " جورج هورفت " فى كتابه « الثورة الجنسية » :

« الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدأ من الخطأ الذرى وتستريح للتصالح بين القوى العظمى ألا توجد حوافز بشرية تحس القلق البالغ للأهمية البالغة التى يكتسبها الجنس فى حياتنا اليومية ؟! ألا نشعر بالخشية إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية وغارات العرى والإغراء لا تهدأ حتى تثور ؟ إنه يجب أن ينشغل الناس انشغالاً جاداً بالقوة الهائلة التى يمكن أن تبلغها الحاجة الجنسية إذا لم يكفكفها الخوف من الجحيم أو الأمراض المعروفة أو الحمل »

فلم يعد الجنس تلك العلاقة الحسية القائمة بين زوجين اثنين أو حتى بين شخصين لا يربطهما أى عقد شرعى أو قانونى بل أ ضحى عالماً واسعاً بكل ما فيه من فنون ووسائل ومثيرات .

وفى الواقع يستحيل اليوم السير فى أى مدينة كبيرة دون التعرض للقصف الجنسى الحقيقى : إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة ، أفلام سينمائية ، صور معروضة . . . . إن اللواط والسحاق والممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبى ونوادى الشذوذ ونوادى العراة والمجلات الماجنة والأفلام الجنسية الفاضحة والصور الخليعة . . .

إن الإسلام ربط بين نسيان الله وغلبة الهوى أو بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا » وعندما فتح المسجد للنساء جعل لهن صفوفاً خاصة فلم يخلطهن بالرجال وأمرهن أن يجئن محتشمات قانتات لله .

وأمر كلا الجنسين بغض البصر وأمر النساء خاصة ألا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بطبيعته فى الوجه والكفين .

ودعا دعوة عامة بعد ذلك إلى الزواج وجعله نصف الدين . . وقد نسى الغلاة كل هذا فحبسوا النساء فى البيوت حبساً مطلقاً ووضعت تقاليد للزواج جعلته يقصم الظهر . .

إن لذلك أثراً فظيعاً عالمياً ومحلياً على سمعة الإسلام والمسلمين ، إن مسالك العرب عندما يسيحون فى عواصم الغرب تصبغ الوجوه بالعار وبحثهم عن الشهوة فى كل أفق يثير العجب ! (١)

إن الثورة الجنسية المحمومة التى اندلعت فى تلك المجتمعات كانت نتيجة متوقعة منذ اللحظة الأولى التى بدأ

---

(١) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : الشيخ محمد الغزالي صـ ٤٥ـ٤٧ بتصرف . ط دار الشروق .

فيها الفكر المادى يجتاح الوجود الإنسانى ، منذ اللحظة التى قطع الناس فيها صلتهم بالسماء وأنكروا وجود ضوابط أخلاقية لحياتهم وعقوبات ربانية لتصرفاتهم : ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

ويعتبر الزواج فى سن مبكرة من أنجع الوسائل فى استئصال الهوس الجنسى والحرام بشتى أنواعه ، بل هو السبيل الطبيعى الوحيد لتصريف هذه الشحنة العارمة من الشهوة هذا عدا ما للزواج من فوائد خلقية واجتماعية وصحية ونفسية لا يتسع المجال لذكرها الآن .

* * *

الفصل الثانى

كيف تختار شريك حياتك ؟

نظرة الشريعة لهذا الموضوع :

﴿ إنَّ أَكْرمكُمْ عند اللَّه أَتْقاكُمْ ﴾ [الحجرات ١٣] .

﴿ وَأَنكحُوا الأَيامىٰ منكُمْ والصَّالحين منْ عبَادكُمْ وَإمَائكُمْ إن يكُونُوا فُقَراء يُغْنهمُ اللَّهُ من فَضْله واللَّهُ واسعٌ عليمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

ويقول ﷺ : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » رواه الترمذى وصححه .

وقال ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولدينها ، ولجمالها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1]

وقال أبو أنس : تزوج أبو طلحة أم سليم فكان صداق ما بينهما الإسلام أسلمت أم سليم قبل أبى طلحة فخطبها فقالت : إنى قد أسلمتُ فإن أسلمتَ نكحتك فأسلم فكان صداق ما بينهما .

---

(١) حديث صحيح .

فلنبحث عن إنسانية المرأة أولاً . . عن دينها . . عن خلقها . . عن عفافها ، عن عنصرها الأصيل . . عن ثقافتها التهذيبية ،عن عقلها الرشيد ، وذلك لا يمنع من البحث عن الجمال بعد ذلك .

وقد ذكر بعضهم النصائح التالية لاختيار الزوجة:

(١) لا تسأل عن المدرسة التى تعلمت فيها الفتاة قبل أن تسأل عن البيت التى ربيت فيه .

(٢) تزوج ابنة والدة صالحة .

(٣) الزواج شركة معيشية فاختر لك شريكة توافقك مشرباً وطباعاً وأخلاقاً .

- وسئل أعرابى مجرب عن أفضل النساء ؟ فقال :

(١) أطولهن إذا قامت . . أى ليست بالقصيرة بل تفوق قريناتها طولاً إذا وقفت بجوارهن .

(٢) أعظمهن إذا قعدت وهى ممتلئة الجسد تملأ العين وتستلفت النظر إذا قعدت بجوارهن .

(٣) أصدقهن إذا قالت : أى صادقة الحديث لا تعرف الكذب ولو كانت مازحة فالصدق شيمتها .

(٤) إذا غضبت حلمت ، رابطة الجأش قوية الشكيمة لا تتأثر بسهولة متزنة ، حليمة عند الغضب

(٥) إذا ضحكت تبسمت لا تقهقه لحيائها الجميل .

(٦) إذا صنعت شيئاً جوّدت فلديها معرفة وعلم بما يجب أداؤه .

(٧) تطيع زوجها ، تحرص على إرضائه لاتخالفه ولاتعصيه .

(٨) تلزم بيتها وتكره الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم فى الحياة .

(٩) العزيزة فى قومها ، ذات شخصية قوية جذابة محببة ورأى مستنير وفكر ثاقب .

(١٠) الذليلة فى نفسها . . أى متواضعة غير متكبرة أو مغرورة بما أوتيت من مميزات .

(١١) الودود أى المحبوبة الودودة اللطيفة .

(١٢) الولود ليست العقيمة بل تنجب الذرية .

(١٣) كل أمرها محمود . . كل سلوك ينبعث منها مريح وجميل لا يثير الأعصاب ولا يجلب الشجار .

إن المرأة المثالية فى أعين الرجال هى امرأة معتدلة فى عواطفها ليست كالصيف فى شدة حرارته ولا كالشتاء فى قسوة برودته ، ولكنها ربيعية المشاعر خريفية الطقس لا تمل زوجها ولا تجعله يملها .

إن ما يتمناه أغلب الرجال من مميزات وفضائل فى شريكة حياتهم يفوق ما يمكن أن تحققه لهم الحياة ، فالرجل إن فاز بالجسد الجميل فقلما يفوز بما ينشده من جمال الروح وحسن الطبائع وهذا لا يعنى ندرة النساء الفاضلات بقدر ما يعنى طمع أغلب الرجال فيما ينشدونه من فضائل كأنهم نسوا فى تصورهم للمرأة أننا جميعاً بشر ولسنا ملائكة !

وإليك هذه القائمة الطويلة بصفات المرأة المثالية كما يراها أغلب الرجال :

- المطيعة : البعيدة عن النقار والشجار الحريصة على الاستقرار الأسرى ، التى تشبع رغبة الرجل فى أن يكون قواماً على امرأته ، وبإمكان المرأة الماهرة أن تمسك بزمام الأمور عندما تكسب ثقة الرجل فى حكمتها وحسن تصرفها .

- اللبقة : التى تجيد فن الحديث فتعرف متى يكون العتاب ومتى يكون السكوت ، فالرجل المتعب من العمل فى حاجة

إلى حديث لطيف مرح يخفف عنه وليس فى حاجة إلى كلمات جافة قاسية تزيد من عنائه وتدعوه للضجر والنفور .

ـ الناضجة الشخصية : ولها سمات كثيرة كاستقلال شخصيتها عن أمها وبعدها عن توافه الأمور وإقبالها على الثقافة والاطلاع فيكون الحديث معها لذة .

ـ القنوع : التى تعيش « على الحلوة والمرة »

ـ المتزنة : التى لا هى غيور بشدة ولا هى بليدة الإحساس لا هى مندفعة ولا هى كثيرة التردد .

ـ النظيفة المتجددة : التى تحسن ملبسها وهندامها وتتجدد لزوجها فلا يملها .

ـ المدبرة : التى تدرك مشقة العيش وعناء رجلها فى الحصول على المال فلا تكون مبذرة ولا تكون مقترة وإنما تكون معتدلة تنفق المال فيما ينبغى مقدرة أن « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود » .

ـ المخلصة الوفية : التى تحفظ زوجها فى ماله وعرضه إذا غاب عنها وتسانده فى الشدة ولا تتخلى عنه فى المرض .

ـ الوديعة الرقيقة : التى تظهر بمظهر الأنثى كما ينبغى أن

تكون فتشع منها الرقة والدلال والجاذبية كأنها ريحانة بيتها يتنسم الزوج عطرها ويعيش في جنتها .

ـ المحتشمة : التي يقتصر تزينها وإظهار محاسنها على زوجها فقط ، وكما قال ﷺ حين سئل : أي النساء خير ؟! فقال : « التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكرهه » ، وقال ﷺ : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة : إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها ومالها » ، وقال أيضاً : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » .

وإن تزوجت فكن حاذقاً

واسأل عن الغصن وعن منبته

واسأل عن الصهر وأحواله

من جيرة الحي وذي قربته

وأما النصائح التى ننصح بها المرأة فى اختيار الرجل فهى :

هناك زوج مثالى تتمناه كل النساء . . وهناك أسوة لنا فى الزوج المثالى الذى يجب أن يقتدى به جميع الرجال إنه رسول الله ﷺ المعلم القائد المثل الذى يحتذى به . . يعرف حق ربه فيلتزم به . . ومن معرفته لربه يعرف حق زوجته فيرعاها . . الذى يحافظ على مظاهر رجولته لا يفرط فى أى سمة من سمات الرجولة سواء كانت ظاهرة أو باطنة . . لا يلين إلى الحد الذى تسقط هيبته ووقاره ولا يقسو إلى الحد الذى يروع زوجته حسن المظهر جميل الهيئة لا ترى منه إلا طيباً . . وفى ذلك يقول ﷺ : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » رواه الطبرانى .

ومن أهم صفات الرجل المثالى فى عيون المرأة ما يلى :

- المنفق : على أهله باعتدال فلا يسرف ولا يقتر .

- الذى يحسن الحديث مع زوجته فيكلمها بأسلوب رقيق ومهذب ؛ فالكلمة الطيبة لها أثر طيب فى النفس والوجدان .

- الذى يحسن الاستماع إلى حديثها ويقدر رأيها ويضعه موضع التنفيذ إذا كان صائباً .

- لا يضرب ولا يعنف ولا يهجر إلا فى المنزل .

- يتمتع بشخصية قوية متزنة معتدلة .

- طموح ، يضع أهدافاً ويسعى فى تحقيقها ويحرص على بلوغها .

- صاحب إرادة إيجابية بناءة جدير بأن توكل إليه الأعمال والمهام فيقوم بها على خير وجه وأكمله .

- زوج ناجح دائماً يستطيع أن يلجم غرائزه ويمتنع عن الاندفاع فى تيار أهوائه لا يرجح كفة رغباته على كفة حاجاته ولا يخضع للمغريات بل يتفحصها فيأخذ منها ما لا يتعارض مع قيمه وقيم المجتمع الذى ينتمى إليه .

- متزن حكيم غير متسرع ولا متردد يتمتع ببصيرة مستقبلية . لا يعتمد على التلقائية والمصادفات فى اكتسابه للمعرفة الجديدة بل يضع تخطيطاً لما ينبغى اكتسابه من تلك المعرفة الجديدة .

- لا يتوقف عن تطوير شخصيته فى ضوء التطورات المحيطة به .

- عليه أن يكون القائد الماهر لسفينة الحياة العائلية يحمل

عن كاهل زوجته مسؤوليات إضافية تزيدها عبئاً وثقلاً .

إن المرأة تعانى الآن من تبادل القيادة ، وتقول : يكفينى جداً المنزل ورعاية زوجي والأولاد بالإضافة إلى عبء العمل - في حالة الزوجة العاملة - وعلى الزوج أن يتحمل كل مسؤوليات الأسرة تحملاً غير منقوص .

- رجل - بمعنى الكلمة - مواظباً على صلاته ، آمراً أهله بها واثقاً في الله صابراً على الشدائد شكوراً دوماً لله . . متسامحاً يعفو عند المقدرة - لا يقابل العصبية والاندفاع بمثلهما على الإطلاق . . لا ينسى المشاركة في الأوقات العصيبة ولا المناسبات السعيدة . . متعاوناً مع الجميع . . يحترم هواية كل فرد من أفراد الأسرة ويثنى عليها وكأنها هوايته . . إنه حقاً رجل بمعنى الكلمة . . قادرٌ على اكتساب قلب وعقل ووجدان زوجته وكل أفراد أسرته بلا استثناء .

* * *

الفصل الثالث

الحب والزواج ... تكامل لا تناقض !

إن الحب لوحده قصير العمر ، لأنه يقوم على رغبة فى التملك ورغبة فى الجنس المتبادل . . فإذا ما انقضى الوطَر . . وبدأت الرغبة تخف وطأتها بدأت المشاكل تطفو على السطح رويداً رويداً نتيجة للفتور الذى قد يصيب العلاقة بين المتحابين تحت مظلة الزواج . . فما الحل ؟!

قال أحدهم : هل تريد أن تعلم أن زواجك سيكون ناجحاً ومستمراً وسعيداً ؟ إذا كنت تريد ذلك فاسأل نفسك هذه الأسئلة :

ـ هل تهتم بإسعاد الشخص الذى تحبه ؟

ـ هل تشعر برغبة فى مساعدته على عمل الأشياء التى يحبها ويهتم بعملها ؟ أو أنك تهتم قبل كل شئ بسعادتك الشخصية وتنتظر منه بصفة مستمرة أن يعمل دائماً على زيادة إسعادك ؟

وليس المفروض أن تتزوج الفتاة رجلاً يُرجى إصلاحه بعد الزواج أو تعتقد أنها قادرة على تغيير بعض سمات شخصيته لمجرد أنه يحبها .

ـ هل تشعر بحماسة دائمة لحل خلافاتكما وقت حدوثها ؟

ـ هل تشعر باهتمام وحرص على حياتكما الزوجية أكثر من حرصك على إثبات صحة وجهة نظرك فى صحة كل خلاف يقوم بينكما ؟

ـ هل أنت مستعد للتنازل عن شئ من كبريائك أثناء منازعاتكما فى سبيل الوصول إلى التفاهم المنشود؟

ـ هل ترى فى الخلافات التى تنشب بينكما احتمالات بنّاءة لدعم حياتكما الزوجية ؟

ـ هل هناك أهداف أو هوايات مشتركة بينكما ؟

إن حباً هذه خصائصه يختلف عن الحب الذى يتجنب فيه الإنسان حدوث أى مناقشة بأى ثمن . . إن الحب الناضج يركز على دعم الحياة الزوجية أكثر مما يركز على دعم شخصية أحد الزوجين باستمرار .

يجب على المتحابين المتزوجين أن يخططا دائماً بصيغة نحن لا بصيغة أنا . . يناقشان معاً آمالهما ورغباتهما ، يشعر كل منهما أنه جزء من الآخر . . هذا هو الحب الناضج ؟

إذا كان الزوج يريد لزوجته أن تكون أماً لأطفاله

والزوجة تريد لزوجها أن يكون أباً لأطفالها فبذلك تكون قد اتحدت اهتماماتهما وأهدافهما ولم يعد الحب هدفاً في حد ذاته بل طوّر نفسه إلى أهداف أبعد منه . .

إن الحب الثابت كالنبات الثابت يحتاج إلى تغذية وعناية ليبقى صحيحاً قوياً .

زواج الحب:

لو أن حياتك الباكرة كانت تتسم بالنزاع في البيت ، والتوتر في علاقتك مع أترابك فأنت غير مهيأ للزمالة التي يقتضيها زواج الحب ، وقد يصعب عليك أن تجد السعادة في الزواج ، أما إذا كانت علاقتك بالناس حسنة فسوف يكون من اليسير عليك أن تميل إلى شخص آخر وأن ترضيه وترضى به!

ومع مرور الوقت وتوثق المعرفة لا يلبث شعوركما المتبادل بالتقدير والعطف أن يبلغ درجة الحب وبينذاك تترعرع في نفسيكما الأحاسيس الجنسية وتتبادلان الميل الجسدي الذي يزداد قوة إلى أن ينتهي بكما إلى التفكير في الزواج . .

حتى إذا وضحت حاجة كل منكما للآخر ولم يعد في الوسع إنكارها حُق لكما أن تتزوجا .

الحب وأشياء أخرى:

الحب وأشياء أخرى هى المفاتيح الحقيقية التى يمكن بها للزوج أن يكسب قلب وعقل زوجته ويظفران معاً بحياة زوجية سعيدة هانئة .

وكما أن الزواج يجب أن يبدأ على أسس متينة من الحب والصراحة والثقة المتبادلة فيجب أن يبقى طيلة الحياة الزوجية على هذا النمط حتى لو فشل الزوجان فى إيجاد أرضية واحدة مشتركة بينهما فى مسائل أخرى سواء كانت جنسية أو مادية أو اجتماعية فهما قادران على أن يبقيا على كيان رباطهما المقدس مادام فى جسديهما عرق ينبض بالحب الذى يحمله كل منهما للآخر .

ولن يشعر الزوج أنه سعيد إلا إذا أحس بأن زوجته تحبه حباً صادقاً وكذلك الزوجة لن تشعر بالسعادة الزوجية إلا إذا أحست بصدق وحب زوجها لها . .

ومشاعر الحب تزداد بين الزوجين مع نجاحهما فى إقامة علاقة جنسية ناجحة ممتعة لهما معاً . . والفشل فى العلاقة الجنسية يمكن أن يكون سبباً مباشراً لانهيار السعادة الزوجية . . والحقيقة أن الحب ارتباط روحى يدوم والجنس ارتباط

جسدى يزول لكنّ الجنس والحب شيئان متكاملان « فالجنس تتويج للحب » والدليل على ذلك أن معظم حالات ممارسة الجنس بين الأزواج بدون حب ينتج عنها الفشل .

وعلى كلا الزوجين أن يلتمس فى أحضان زوجه الحب والحنان قبل أن يلتمس الجنس وبقدر احترامهما لبعضهما يزداد بينهما الحب .

قالوا عن الحب والزواج:

ـ إن الحب الحقيقى لا يطفئه حرمان ولا يقتله فراق ولا تقضى عليه أى محاولة للهرب منه لأن الطرف الآخر يظل شاخصاً فى الوجدان . . . **مصطفى محمود**

ـ إن الحب بذرة صغيرة يُلقى بها فى الأرض ولكى تنمو وتثمر لابد لها من وقت ، فلم أر بذرة تتحول إلى شجرة بين يوم وليلة ، إنها فى حاجة إلى أرض خصبة وفى حاجة إلى مياه ترويها هذا هو الحب الذى أعرفه . . . . لافونتين

ـ فى الحب تهمل وتنسى جميع مفارقات الحياة ؛ إذْ فى الحب وحده فقط لا تكون الوحدانية والثنائية فى نزاع .

ـ الحب أعمى ، والزواج هو الذى يعيد إليه البصر . . . ليختنبر

ـ الحب بدعة ابتدعها الإنسان للتقارب والإغراء وكسب العطف والحنان ولإيقاع جنس حواء في شباكه . . د/ عاهد بركات

ـ لا يمكن للرجل ان يحيا حياة فاضلة وسعيدة ما لم تكن بجواره زوجة . . . رشستر

ـ الصديق هو الشخص الذى تستطيع أن تجلس إليه وتحدثه فى أى مشكلة تصادفك فى حياتك ، فالمرء يجد نفسه مع صديقه ، والزواج بين المرأة والرجل صداقة أولاً ، وقد يجد الاثنان هذه الصداقة فى الساعات الأولى من زواجهما وقد يمضى الزوجان عشرات السنين يبحثان عنها فلا يجدانها . . . . جون ماكدونالد

ـ ليس هناك رجلاً يستطيع أن يعتبر نفسه متزوجاً قبل أن يفهم كل كلمة تريد أن تقولها زوجته دون أن تتكلم .

ـ بعد عشر سنين من الزواج يجب أن يصبح الطلاق مستحيلاً . . . . نابليون

ـ أسعد زوجة ليست تلك التى اقترنت بأفضل زوج ، بل تلك التى صنعت من الرجل الذى وجدته أفضل زوج . . . إليزا ماكسويل

ـ الزوجة العاقلة هى التى تبتسم فى هدوء وتقول لزوجها أن دورها لم يكن أكثر من مجرد زوجة لرجل ناضج شق طريقه بجهده وعرقه . . . . جيمس بارى

ليست الحياة متعة فحسب:

يقول ﷺ : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح فى وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت الماء فى وجهه »

إنها صورة جميلة لزوجين محبين يتذوقان حلاوة الطاعة ولذة العبادة وهى صورة تُعرض على الأنظار توجيهاً ولفتاً أن هذا حرى بالزوجين .

وروى أنه لما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله سمع الناس فى منزله بكاء عالياً فسئل عن ذلك البكاء فقيل : إن عمر خير جواريه فقال : أنه قد نزل فىّ أمر شغلنى عنكن فمن اختارت منكن العتق أعتقتها ومن أمسكتها لم يكن منى شئ ، فبكين بكاء شديداً يأساً منه !

فمن أهم واجبات المرأة وجوب مساعدتها لزوجها المصلح الداعية وحفظ آرائه وتبليغها للناس ، وهكذا تكون المرأة للرجل ليس زوجة وغانية للسرير فقط بل أمينة سر

(سكرتيرة) تساعده وتشجعه ، وقد كان إغفال أغلب الزوجات لهذه القضية سبباً فى استخدام بعض الرجال أمينات سر أجنبيات عنهم مما قد يعرضهم بسبب الاختلاط للوقوع فى حبهن ـ كما يحدث كثيراً ـ وحدوث ما لا يُحمد عقباه !!

وأقول كلمة للرجال :

- إن إحدى الطرق الأكثر فعالية لخلق الارتباط الحميم مع شريكة حياتك وجعلها تشعر أنك تحبها بالفعل وتهتم بها هو أن تشركها فيما يجرى فى حياتك ، فتشاركها مثلاً فى تفاصيل يومك ، فالحديث عن الخبرات والتجارب اليومية يدعوها للدخول فى حياتك بعمق أكثر ويخلق شعوراً عميقاً بالارتباط كما لو أن عالميكما المنفصلان قد اتحدا وصارا عالماً واحداً .

إن المرأة السوية عاطفياً ستشعر بالمزيد من القرب عندما تشاركك ما تواجهه من مصاعب لأنها ستدرك أنك تفتح قلبك لها ،أشركها فى القرارات التى تحتاج أن تقوم بها فذلك يؤثر فى عواطفها لأنك عندما تخفى ما يدور فى ذهنك ولا تناقشه معها تشعرها بأنها مهملة .

الزواج بين الاستمتاع والتسامى :

ليس فى أديان العالم ونظمه ما هو أصرح من الإسلام فى الاعتراف بالدوافع الفطرية وتنظيف مكانها فى الفكر والشعور يقول تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فيجمع فى هذه الآية شهوات الأرض ويعترف بها على أنها أمر واقع مزين للناس لا اعتراض عليه فى ذاته ولا إنكار على من يحس بهذه الشهوات إن كان ينالها من سبيلها المشروع وهو الزواج ، فالكبت هو استقذار دوافع الفطرة واستنكارها من الأساس مما يوقع الفرد تحت ضغطين متعارضين : ضغط من شعوره الذى كوّنه الإيحاء أو الوالدين أو العرف بأن دوافع الفطرة قذرة لا يجوز وجودها أصلا فهى خطيئة ودافع شيطانى .

وضغط هذه الدوافع التى لا تُغلب لأنها دوافع الفطرة ولأنها ذات وظيفة أصيلة فى كيان الحياة البشرية لا تتم إلا بها ولم يخلقها الله فى الفطرة عبثاً . . .

صحيح أن الإسلام لا يبيح للناس أن ينساقوا مع هذه

الشهوات إلى المدى الذى يصبحون فيه مستعبدين لها لا يملكون أمرهم منها فالحياة لا تستقيم بهذا الوضع . . والبشرية لا تستطيع أن تحقق طبيعتها التى تهدف إلى التطور نحو الارتفاع إذا هى ظلت عاكفة على ملذاتها تستنفذ فيها طاقاتها وتتعود فيها على الهبوط والانتكاس نحو الحيوانية لكنه يبيح لها التنفيذ العملى فى الحدود التى تعطى قسطاً معقولاً من المتاع وتمنع وقوع الضرر سواء على فرد بعينه أو على المجموع كله ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف : ٣١] .

« من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى » رواه الطبرانى والبيهقى .

« من رغب عن سنتى فليس منى ، وإن من سنتى النكاح فمن أحبنى فليستن بسنتى » رواه أحمد .

والدعوة إلى الاستمتاع فى الإسلام جنباً إلى جنب مع الدعوة إلى التسامى فتنشأ من بينهما صورة الاعتدال البرئ من الفحش ، البرئ من الحرمان ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣١-٣٣] .

ليس للمتحابين مثل التزويج :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله فى حجرى يتيمة قد خطبها موسر ورجل معدم فنحن نحب الموسر وهى تحب المُعدَم ، قال رسول الله ﷺ : « لم يُر للمتحابين مثل النكاح » .

ليس المراد بالطبع بالحب حب الشهوة العارمة والرغبة الجنسية العابرة واللذة القوية فإنه حب كاذب سرعان ما يزول تاركاً بعده أسوأ النتائج وأفدح المآسى . . بل إنك حين تفكر فى الزواج عليك أن تميز بين ما هو خيالى فى الحب وبين ما هو حقيقى . .

إن الحب الحقيقى ينمو بين الزوجين على مر الأيام وتدعمه العشرة والصحبة . . ويحل تدريجياً محل الحب الخيالى كلما ازدادت العشرة والصحبة ، وليس معنى ذلك أنه لا يصح الزواج بين غير المتحابين فإن الحب غالباً يتولد

بعد الزواج نتيجة تبادل المودة وحسن التفاهم والمعاملة الطيبة وإنكار الذات .

قالت هند بنت المهلب : ما رأيت لصالحى النساء وشرارهن خيراً من إلحاقهن بمن يسكنَّ إليه من الرجال ، ولرُبَّ مسكون إليه غير طائل والسكن على كلٍّ أوفق .

نحن والحب..

لا تنظرى للأرض فى دورانها

فالنبض فيها حائر الأنفاس

والحب يا دنياى أصبح بدعة

وغدا رفاتاً فاقد الإحساس

ولقد عرفت الحب فيك هداية

هيا نعلم حبنا للناس

هيا لنغرس فى الدروب زهورنا

هيا لنوقد فى الظلام شموعنا

يا واحة الأيام فى الزمن الشقى

إنى أحن إلى هواك كطائر

يهفو إلى العش البعيد

وغداً سيأتي بعدنا الأمل الجديد

أنا حائر بين الضلال

لا تتركيني في خريف العمر تقتلني الظلال

فأنا عبدت الله في عينيك يا نبع الجمال [١]

الحب بين الرسول وزوجاته:

من مظاهر الخيرية في حياة الرسول ﷺ أنه كان ودوداً مع أهله لطيف المعشر معهم يتحبب إليهم ويصرح بحبهم . . سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أي الناس أحب إليك ؟

فقال : عائشة .

قال : أعني من الرجال : فقال : أبوها .

وكان ﷺ يقول : « **خيركم ألطفكم بأهله** » ، وفي سفر من أسفاره قال لسائق الإبل : « **يا أنجشة رفقاً بالقوارير** » يعني النساء في الهودج .

---

(١) الأستاذ فاروق جويدة : نحن والحب . الديوان : مركز الأهرام للترجمة والنشر .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لعائشة رضى الله عنها : « **إنى لأعرف غضبك ورضاك** » قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : إذا رضيت قلت : « لا وإله محمد وإذا غضبت قلت : لا وإله إبراهيم » قالت : صدقت ، إنما أهجر اسمك .

وعن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبى ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : « **إنها كانت وكانت .. وكان لى منها ولد** » ولم يمنعه حبه لعائشة أن يصرح بفضل خديجة ومكانها فى قلبه وكان يقول : « **إنى قد رُزقت حبها** » .

الكلمة الطيبة :

« الكلمة الطيبة صدقة » . .

إن الكلمة الهادئة الوادعة الهامسة تحمل دفئاً خاصاً بين الزوجين ، إن بث الأشواق المتبادلة ـ وكأن كل واحد منهما لم ير الآخر منذ سنين ـ والدعاء الخالص بالتوفيق والصحة والسعادة والعيش الهنئ لمن تذكر نعمة الله فى الوفاق ، وما يسره الله إليها من نعيم المودة والرحمة ثم الذرية الصالحة ،

وما يحققونه من نجاح فى الدراسة وصلاح فى السلوك ، والسمعة الطيبة للأسرة جميعاً . . . .

كل هذا له أثر بالغ فى استمرار الحياة الزوجية المتجددة على طاعة الله ورضوانه .

إن السلوك الراقى والتصرف الحكيم والذوق العالى له لغة لكنها غير مكتوبة ككل اللغات . . إنها لغة الإحساس الرقيق . . لغة المشاعر النبيلة والوجدان الفياض . . هذه اللغة السامية نحن بحاجة إلى التدريب عليها واستعمالها فى حياتنا عموماً ، وحياتنا الأسرية على وجه الخصوص . . إن لغة المشاعر والأحاسيس والقلوب والوجدان هى السعادة والاطمئنان ، الزوج ينظر إلى زوجته فيحس بها إن كانت سعيدة أم حزينة ، ربما يتجنب السؤال المباشر لكنه يعرف السبب الذى من أجله تبدو زوجته كما يراها فيتعامل على هذا الأساس، يحاول إزالة ما يغضبها ويحزنها أو يزيد ما يسعدها و يفرحها . . يشعرها بالاهتمام ويتذكرها فى المناسبات وفى غير المناسبات بالهدايا حتى وإن كانت رمزية وهنا يزداد الحب وتقوى العواطف وتتعمق الأواصر .

والزوجة التى ترى زوجها متضايقاً لا تسأله عما يضايقه

لأنها أدركت السبب فسارعت إلى إزالته أو تغييره إن كان السبب فى المكان أو فى المظهر أو الطعام أو الاهتمام . . إنها تدربت على لغة القلوب والمشاعر . . يكفيها النظرة . . تكفيها الإشارة الخفية « وكل لبيب بالإشارة يفهم » وهكذا ينعدم من حياة زوجها ومن حياتها اللوم والتأنيب والشجار والألفاظ الجارحة والاتهامات المتبادلة .

الحب لا الجسد..

بعد عقد الزواج بدأت الخلافات تدب بينهما . . ولأنها تريد أن تتزوج . . المهم أن تتزوج والمهم أن تهرب من شدة أبيها وإخوتها . . فى لحظة صفاء بينهما قبلت إغراءاته لها بالذهاب لمشاهدة شقة المستقبل وهناك قال لها : أنت زوجتى ولا يهم الزفاف فسوف نُزف لا محالة !

ووافق ذلك هوى فى نفسها فهى تريد أن تطمئن إلى أنه أصبح فى يدها وعاشرها معاشرة الأزواج لكنها بالطبع لم تبق فى منزله لأنه برغم العقد ليس منزل زوجية عُرفاً لأنها لم تُزف إليه ، وعادت امرأة إلى منزل أمها .

كانت المفاجأة أنه بدأ فى التهرب من لقائها ، ثم لما تم اللقاء بدأ يفتعل المشاجرات والخلافات ثم أعلن أنه لا

يستطيع العيش مع إنسانة أعطته نفسها من خلف أهلها حتى لو كان عاقداً عليها (نذالة الرجل وخسة معدنه . . لماذا لم يتهم نفسه بالتفريط كما اتهمها رغم أنه هو الذى أغواها ؟) وهكذا معظم الرجال !! وهذا هو الواقع .

ولأمر ما روت عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف » .

فكثيراً ما تنخدع المرأة فى مشاعر العاقد عليها ويكون هو نفسه مشتهياً لا أكثر معجباً لا محباً أو محباً لنفسه فحسب .

فإن كان لا محالة من خروج العاقد والمعقود عليها وحدهما فليكن خروجاً محدوداً أو محدداً بتوقيت ضئيل ، وفى أماكن عامة .

ويقينى أن المرأة التى تعمل على استقرار حب الروح أولاً وفرضه دون أن تجعل من جسدها العسل اللزج الذى سيلصق الرجل بها هى التى سيعمل الرجل المستحيل على تهيئة المكان المناسب والجو المناسب والإسراع بالزفاف الرسمى أما تلك التى تظن أن الجسد هو ضمان الدوام لهذا الرجل معها فإنها واهمة فالجسد يمكن أن يمل الجسد ويمكن أن يزهد فى الجسد أما الديمومة والفرحة والسعادة فكلها للروح .

وأهلاً بالجسد لكن بعد ضمان الروح ، وضمان الروح ليس سهلاً ، والعقد ليس كافياً لضمانها . . إنما العقد بداية للانجذاب بين روح وروح قبل جسد وجسد ولذلك فإن العقد إيجاب وقبول لالتقاء روح بروح قبل جسد وجسد ولبداية حب روح و روح قبل اشتهاء جسد لجسد .

والرجل المحترم أيضاً هو الذى يفرض حب الروح أولاً ويجعل شريكة حياته تتمنى أيضاً الإسراع بالزفاف ، وهو الذى يحافظ على جسد شريكته حتى لو عقد عليها ما دامت لم تُزف إليه لأنه لا يخلو حب روح من حب جسد لكن مع إضفاء الروعة على هذا الجسد .

إن الحب الحقيقى يفرض نفسه ويعلن نفسه حتى فى دماء وأعصاب المحب الصادق فمجرد ذكر اسم حبيبه أمامه كاف جداً لأن يخفق القلب وترتفع ضرباته ويتدفق الدم إلى وجنتيه ، وكاف جداً لاستحضار كل صور الفرحة معه وإن مر عليها سنوات بل وكاف لاستحضار حتى صور الفراق والعتاب والهجر والخصام ، ففى كل شئ بالحب الصادق تكمن روح معينة من اللذة والسعادة حتى فى الخصام . . حتى فى الخلاف . . كأنهما فى وصال وانسجام . هذا هو الحب ! !

كن صديقى . .

كن صديقى . .

كم جميل لو بقينا أصدقاء . .

إن كل امرأة تحتاج أحياناً إلى كف صديق . .

وكلام طيب تسمعه . .

وإلى خيمة دفء صنعت من كلمات

لا إلى عاصفة من قبلات . .

فلماذا يا صديقى . .

لا تهتم بأشيائى الصغيرة ؟

ولماذا . . لست تهتم بما يرضى النساء ؟

كن صديقى . .

كن صديقى . .

إننى احتاج أحياناً لأن أمشى على العشب معك

وأنا أحتاج أحياناً لأن أقرأ ديواناً من الشعر معك

وأنا كامرأة يسعدنى أن أسمعك

فلماذا ـ أيها الشرقى ـ تهتم بشكلى ؟

ولماذا تبصر الكحل بعينى

ولا تبصر عقلى ؟

إننى أحتاج كالأرض إلى ماء الحوار . .

فلماذا لا ترى فى معصمى إلا السوار

ولماذا فيك شئ من بقايا شهريار ؟!

كن صديقى . .

كن صديقى . .

ليس فى الأمر انتقاصٌ للرجولة

غير أن الرجل الشرقى لا يرضى بدور . .

غير أدوار البطولة . .

فلماذا نخلط الأشياء خلطاً ساذجاً ؟

ولماذا تدعى العشق وما أنت العشيق ؟

إن كل امرأة فى الأرض تحتاج إلى صوت

ذكى وعميق . .

وإلى النوم على صدر بيانو أو كتاب . .

فلماذا تهمل البعد الثقافى

وتعنى بتفاصيل الثياب ؟

كن صديقى . .

كن صديقى . .

فأنا محتاجة جداً لميناء سلام

وأنا متعبة من قصص العشق وأخبار الغرام

وأنا متعبة من ذلك العصر الذى

يعتبر المرأة تمثال رخام

فتكلم حين تلقانى . .

لماذا الرجل الشرقى ينسى

حين يلقى امرأة نصف الكلام ؟ . .

ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى . .

وزغاليل حمام ؟ . .

ولماذا يقطف التفاح من أشجارها . .

ثم ينام ؟ (١)

---

(١) الشاعرة الأستاذة : سعاد الصباح قصيدة كن صديقى من ديوان : (فى البدء كانت الأنثى).

الفصل الرابع

قضايا خاصة بالعلاقة الزوجية :

١ . النفور بعد الحب بسبب المشاكل اليومية .

٢ . النفور بسبب الجهل فى العملية الجنسية .

٣ . النفور بسبب الأهل وتدخلاتهم .

٤ . النفور بسبب عدم التكافؤ فى المستوى أو العمر .

٥ . النفور بسبب الخيانة من أحد الطرفين للآخر .

٦ . النفور بسبب بحث المرأة عن المساواة الزائفة .

٧ . غضب الرجال من بعض المهن التى تختارها المرأة .

١. النفور بعد الحب بسبب المشاكل اليومية :

أمـر طبيـعى أن تهب العـواصف الزوجـيـة بأشكالهـا وأنواعها المختلفة على الحياة الزوجية بين الحين والآخر . . فلابد من الاختلاف فى الطبائع والأمزجة والأهواء ما بين الزوجين مهما كانت نقاط التلاقى والحب الذى يربط بينهما وكما يقول المثل الفرنسى الشهير : « إنها الحياة » !

ويعتبر تضارب الأمزجة والأهواء وعدم التوافق النفسى والبيئى أحد العوامل الرئيسية لهبوب العواصف الزوجية بين الحين والآخر وخاصة إذا ما تبين أن ما تحبه الزوجة على وجه اليقين يبدى الزوج الكراهية حياله ، وما يحبه الزوج تنفر منه الزوجة ، أو يتبين لكلا الزوجين أن ما اعتاد عليه كل منهما مباين ومغاير لما اعتاد عليه الآخر حتى ألوان الطعام والشراب وأنواعها ، ونظام الحياة والعلاقات الاجتماعية وحدودها ، كل هذه العوامل مجتمعة أو منفردة يمكن أن تكون سبباً لهبوب العواصف الزوجية ولمواجهة العواصف الزوجية مهما كانت أسبابها .

وأصعب سنة فى الزواج هى سنة أولى زواج . . وما بين التأكيد على أن النجاح فى سنة أولى زواج هو تأشيرة

الدخول إلى عالم الحياة الزوجية الهانئة المستقرة ، وما بين الإشارة إلى أن ما حدث خلال السنة الأولى كان بدافع حرارة الحب ونشوة السعادة التى من أجلها أغفل الزوجان عينهما عن نقاط خلاف واختلاف بهدف أن تسير سفينة الحب إلى بر الأمان . . . ما بين الموقفين موقف ثالث يظهر فيه الخلاف والاختلاف مستحكماً وينتهى الأمر بالانفصال .

وهذا ليس قاصراً فقط على مجتمعنا الشرقى فحسب بل إن الدكتورة « لورا سنجر ماجدوف » رئيسة مستشارى الشئون الأسرية بالولايات المتحدة الأمريكية أكدت على أن هناك ستة أسباب للانفصال بين الزوجين وأشارت إلى أن السبب الأول : يقع خلال السنة الأولى من الزواج بسبب « أزمة التكيف » ـ على حد قولها ـ حيث تصدر من الطرفين حيال بعضهما تصرفات لم تكن أبداً فى الحسبان وتحدث لهما بعض الصعوبات التى لم تخطر لهما على بال . . وبالطبع يتوقف نجاح الحياة الزوجية فى هذه الحالة على مدى نجاح الزوجين فى المرور من تلك المحنة بسلام سواء بقدرة الطرف المجنى عليه على التحمل وتقويم سلوك الطرف الآخر أو بالقيام بالمصارحة والمكاشفة والمواجهة للوصول إلى

فهم أوجه الاختلاف ما بين الطرفين وتفهم كل طرف لآراء الطرف الآخر ومعرفتها وعلى هذه المعرفة سيحاول أن يبذل كل طرف الجهد الذى يقربه من الطرف الآخر .

وبالتوفيق التدريجى بين أسلوبى التفكير والتصرف يمكن أن يحدث امتزاج بين الطرفين وتزول الفوارق والاختلافات دون الوصول لمراحل التأزم أو الانفصال .

يقول دايل كارينجى :

« إن الصغائر فى الحياة الزوجية يسعها أن تسلب عقول الأزواج والزوجات وتسبب نصف أوجاع القلب التى يعانيها العالم » .

ومن أهم أسباب الخلافات الطارئة :

- أن يصاب أحد الزوجين بعاهة طارئة أو مرض يمنعه من القيام بواجباته الزوجية أو إفلاس مفاجئ يفرض عليهما نمطاً جديداً من العيش .

- أو بسبب أحد الأبناء والخلاف حول طريقة تربيته والتعامل معه وتوجيهه .

- أو أن يصاب أحد الزوجين بانحراف فى التفكير أو

العادات مما يشغله عن القيام بواجباته الزوجية كشرب الخمر أو ممارسة القمار وغيرها من العادات السيئة .

ـ وقد يحدث النفور بين الزوجين بسبب البعد عن أحكام الله وشرعه ومنهاجه فى الحياة عموماً فالله سبحانه وتعالى يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » الطلاق : ٤.

فيجب على الزوج ألاَّ يأذن لأحد بدخول بيته بدون إذنه أو الخلوة بامرأته وقد سمعنا عن أزواج يتركون أقارب الزوجة معها لمصالح لهم وهذا إثم وفساد كبير يوقع فى الفواحش والعياذ بالله ففى الحديث : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » .

ويجب عليه أن يكون قدوة لها فيتصرف فى كل شئون حياته بمقتضى شرع الله جل وعلا .

وألا يعرضها للعنت بطول غيابه عنها ولا يدفعها للفسوق بمطالعة القصص الفاجرة والمجلات الخليعة والأفلام الماجنة .

وأن يحرص على تحجيبها الحجاب الشرعى بدون حبس أو حجر ومهانة فالحجاب لا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضى المصلحة ، وإنما الحجاب مانع الغواية والتبرج

والفضول وحافظ الحرمات وآداب العفة والحياء .

ومن أهم النصائح المسداة للزوجة في هذه النقطة ما أسدته الحاجة زينب الغزالي الجبيلي رحمها الله لابنتها فقالت : « أريدك يا ابنتي صادقة إذا تحدثت ، حكيمة إذا سكت ، لا تجاملي في حق ولا تنحازي لغير الحق فيحترمك العاقل ويهابك الماجن وينظر إليك زوجك نظرة احترام وتقدير . . أريدك عندما يغضب زوجك أن تلزمي الصمت فإذا سكنت ثورته فكوني طوع أمره والحظي تقاسيم وجهه فإن انفرجت فتحدثي معه بعاطفة وبسمة حانية وأسرعي في تنفيذ ما يريد . وإن لم يتكلم ، واعلمي يا ابنتي أن كرامة المرأة على الحقيقة أن تكون دوماً في مرضاة زوجها فهو الحبيب الذي تسعد وتهنأ في رحاب حبه وتعيش الاطمئنان والأمان والراحة في كنفه لا تفشي له سراً ولا تذكري عيبه ، وتفخري برجولته وكرمه وتنشري عنه الحميد من الخصال وتعالجي القبيح بحكمة ومودة وأدب .

واعلمي يا ابنتي أنه عرضك وأنت عرضه فكوني له الحبيبة والزوجة والأم والصديقة والأخت يصبح لك الحبيب الحاني والأب الراعي يشيع فضلك ويحرص على سعادتك

ويصبر فى مرضك ويفرح لشفائك ، احرصى يا ابنتى على أن يكون بيتك واحة الراحة التى يسرع الزوج إلى العودة إليها فى مودة وسعادة ، وعلى أن ينشأ أبناؤك وقد شربوا رحيق الاطمئنان والاستقرار والحب والذى تنميه فى نفوسهم نظرات الأب القانع والزوجة المربية فينشأ الأبناء وقد تربوا على مائدة الأدب القرآنى والسنة النبوية المطهرة .

وكل ذلك لن يكون إلا بالاستجابة إلى أوامر القرآن وهدى الرسول ﷺ لتعود إلى بيوتنا القدوة الرشيدة فتعود لنا ريادة البَشرية وسيادة الكون مرة أخرى » .

إن الرجل والمرأة يشتركان فى الثواب والعقاب لأنهما يشتركان فى طبيعة التكوين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١] . . ويشتركان فى الكرامة الإنسانية : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء : ٧٠] . . فالمرأة كالرجل فى حسابها على ما تقدمه من عمل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

إن الزواج شركة بين طرفين أولهما رجل والثانى امرأة وشعار الشركة التعاون والإخلاص والتضحية والإيثار

والأمانة والوفاء ، وليعلم الشريكان أن الله سبحانه وتعالى ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإن خان أحدهما صاحبه خرج الله من بينهما ودخل الشيطان ، ولأن لكل شيء عماداً فعماد الأسرة المسلمة هو التقوى والتي بها تستغنى عن كل شيء وبدونها تفتقر إلى كل شيء ، فالتقوى هي المؤلفة للقلوب والمهذبة للطباع النافرة والمطهرة للنفوس غير السوية . . والتقوى هي السبيل لمعرفة الحقوق وهي المذكرة للواجبات وهي الدافعة إلى عمل الخيرات الجامعة للأشتات وهي الميسرة للأمور الرادعة للشرور .

ومن صور البعد عن أحكام الله الإسراف في المعيشة وقد امتدح الله المؤمنين فقال : ﴿ والَّذينَ إذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا أصبحت آمناً في سربك معافىً في بدنك وعندك قوت يومك فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها » رواه الترمذي وحسنه .

كما يجب على المرأة أن تصبر على فقر زوجها فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير رضي الله عنه : « يا ابن أختي إنا كنا ننظر للهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة

فى شهرين وما أوقدت فى بيت رسول الله نار ! فقلت : يا خالة فما كان عيشكم ؟

قالت : الأسودان التمر والماء !! إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيران من الأنصار لهم منائح (جمع منيحة وهى الشاة تُعار لِيُنتفع بلبنها) ـ وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا » رواه البخارى .

وعنها رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض » . هكذا عاش رسول الله ﷺ وآله وذريته ، فلا نامت أعين الزعماء الذين يرفهون عيالهم وشعوبهم تشقى من التعب والجوع والعُرى !!

ولنا فى رسول الله أسوة حسنة فلنصبر على تعب الدنيا عسى أن نجد فى الآخرة نعيماً لا ينفد ولذة لا تنقطع وملكاً لا يبلى .

﴿ لقدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حسنةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الممتحنة : ٦] .

ـ وقد يحدث النفور بين الزوجين بسبب البعد عن الحوار المشترك أو الجهل بأدب الحوار ؛ فعندما تختلف القلوب وتضيق الصدور ويدب الخلاف تصاب الأمة بالأزمة والتفكك ويعيش

المجتمع فى كآبة وتفسخ وانهيار ، والسبب هو غياب أدب الحوار وفن النقاش والمحاورة وحسن الظن بالآخرين واحترام حق الاختلاف وإبداء الرأى . . . فينبغى على الأمة رجالاً ونساءً أن تتدرب على فن الحوار وأدب الاختلاف واحترام رأى الآخرين وأن يكون الإقناع والحجة والدليل هو السبيل إلى تبنى الرأى والدفاع عنه ، والتدريب على فن الحوار ينبغى أن يبدأ من البيت . . فالطفل الذى يناقش أبويه ويحاورهما ويبدى رأيه أمامهما دون خوف أو حرج وعندما يذهب إلى المدرسة يتحاور مع أستاذه وزملائه ليصل إلى الصواب . . هذا الطفل الذى يعيش أدب الحوار منذ الصغر ويتدرب عليه فى البيت والمدرسة والمسجد والنادى هو لبنة صالحة نضعها فى مستقبل هذه الأمة ، ونحن بحاجة شديدة إلى أن نضيف لبنات صالحة وقوية وبناءة فى مستقبل أمتنا . .

ـ الخرس الزوجى :

يقول أحد الأزواج المصابين بهذا الخرس الزوجى بأنه ليس مرضاً بل هو علاج فعّال لتجنب المشاكل والخلافات فى الرأى .

فبدلاً من المعارضة والمناقضة والقيل والقال الذى قد

ينتهى بالمشاجرة فالأفضل هو السكوت وإذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب .

ولكن إن ما يحدث لذلك الزوج أو لتلك الزوجة إنما هو الملل الزوجى الذى يعد الآفة الحقيقية للحياة الزوجية ، بسبب دوافع نفسية كامنة أساسها الرغبة فى التجديد بسبب تكرار ما يحدث كل يوم بصفة مستمرة من أفعال وتصرفات فيكون النتيجة التباعد العاطفى والوجدانى بل وقد يؤدى إلى الطلاق الروحى بين الزوجين فالزوجان يعيشان تحت سقف واحد لكنهما منفصلان معنوياً وعاطفياً . . .

والزوجة الذكية الناجحة تكون حريصة على ألا تقع فى فخ الملل الزوجى وذلك بتجديد مظهرها ومنظر منزلها وتجديد وتنوع الرتوش الإضافية وأنواع المكياج والعطور ، واستخدام اللباقة فى الحديث الجذاب الذى يضفى جو المرح المهذب وإثارة الموضوعات الشيقة وعرضها بصورة لطيفة لا تثير الجدل .

ـ الآثار السلبية لغياب الحوار بين الزوجين :

عندما يغيب الحوار يشعر الزوجان بالضعف وانعدام الثقة والبرودة الشديدة رغم أن بجوار كلٍ منهما أحضان دافئة

أبت أن تدفئ جوانحه ، ومع هذا الإحساس من الضعف لكل منهما يصبح الزوج مهيئاً لمن يشغل هذه المساحة ويصبح أكثر تأثراً بكلمات الأخريات من المديح والتشجيع ، وتصبح هى أيضاً كذلك .

والنتيجة إحساس بالذنب يشعره كل منهما ويقول فى نفسه : لقد كنت أولى بهذا الكلام الجميل من زوجتى ، وتقول هى : أين ذهب عذب حديثك يا زوجى ؟

إن الحوار الأسرى ليس ضرورياً لسير سفينة الحياة فحسْب ولكنه ضرورى وهام لإبقاء من على السفينة أحياء وإنقاذهم من الغرق .

طالما أنك تزوجت فقد ارتضيت أن تقتسم أفراح الحياة وأتراحها فلماذا تفعل عكس ما ارتضيته من قبل ، تحدث مع زوجتك وتذكر أن زوجتك هى أولى الناس بحمل همومك ومساعدتك .

عندما يغيب الحوار :

يقول الرجال :

- تزداد المشكلات وتتعقد ويكبر حجمها داخل الأسرة .
- تسوء الحالة النفسية للأولاد وأفراد الأسرة .

- تتفكك الأسرة وتدخل أفكار وشخصيات سلبية فى حياتها .
- الطلاق .
- الجفاء فى العلاقة الزوجية والأسرية .
- كثرة الهموم .
- زيادة القلق .
- انصراف كل منهما لطرف خارجى .
- عدم الترابط الأسرى .
- ضياع الأولاد .
- الانطواء .
- انعدام الحب بينهما .
- صعوبة الحياة .
- انهيار العواطف .
- موت المشاعر .
- قلة الصدق والصراحة .
- عدم الاتزان .
- استمرار الخلافات الزوجية .

أما الزوجات فقلن فى سلبيات الحوار:

- عدم وجود لغة مشتركة للتفاهم والمودة بين الزوجين .
- حدوث فجوة قد تؤدى بهما إلى الطلاق .
- عدم معرفة كل فرد من أفراد الأسرة ما يدور بفكر الآخر .
- سوء الحالة النفسية بصفة عامة .
- قرارات خطأ لأنها بنيت على عدم الحوار .
- تفاقم المشكلات الأسرية .
- التفكك الأسرى .
- التباعد بين الأزواج .
- النشأة غير السليمة للأطفال .
- نقص الحب وفتور المشاعر .
- عدم التفاهم ووجود فجوة بينهما .
- الوقوع فى أخطاء قد تؤثر على حياتهما .
- اللجوء إلى الآخرين مما يؤدى إلى كوارث .
- انهيار الأسرة بشكل قد يصل إلى الطلاق .
- ازدياد المشكلات بين الطرفين .

ـ أسباب غياب الحوار حسب الاستطلاعات :

١. رأى الأزواج :

ـ الانشغال بمشاهدة التليفزيون أو الفضائيات .

ـ الانشغال بأكثر من عمل بالنسبة للزوج .

ـ عدم الإحساس بقيمة الحوار من الأصل .

ـ عدم التدريب على الحوار بين الزوج والزوجة .

٢. عند الزوجات :

ـ عدم التدريب على الحوار بين الزوجين .

ـ ضيق الوقت .

ـ الانشغال بأكثر من عمل .

آداب العتاب :

١ ـ عدم تهويل الأمر محل العتاب فينبغى أن نعطى الأمر حجمه فلا نجعل من الفرع أصلاً ، ولا من الذنَّب رأساً .

٢ ـ البدأ بالتلميح قبل التصريح لأن التصريح قد يجرح .

٣ ـ الإسرار بالعتاب فلا يجعله أمام أحد من الناس .

٤ ـ اختيار الوقت المناسب فلا يعاتب عند العراك والغضب بل يتريث حتى تهدأ الأمور وتصفو النفوس .

٥ ـ المحافظة على المعاتب بحيث لا يجرحه ولا ينتقصه بل يظهر له الحب والتقدير .

وليعلم الأزواج أن كثرة العتاب والنقد اللاذع تنغص على الزوجة عيشتها .

معالم من حوار النبى مع زوجاته :

المودة والرحمة والتواصل مناخ لا يتكون إلا إذا شعر كل فرد أنه بالآخر يكون ويسعد ويأمن ويطمئن وينجح أنه لا غنى له عن الطرف الآخر .

وهذا الشعور لا يتكون إلا بالحوار والتشاور ، ودلالة أن تسمى سورة باسم « الشورى » فى القرآن الكريم وهى سورة مكية توحى بأن وضع الشورى أعمق فى حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً لدولة ، فهو طابع أساسى للجماعة كلها يقوم عليه أمرها كجماعة ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة بوصفها إفرازاً طبيعياً للجماعة .

ومن ثم كانت الشورى صفة لازمة للمؤمنين حتى قال الله عنهم « وأمرهم شورى بينهم » .

ولقد كان النبى ﷺ أكثر اقتناعاً بالشورى وقيمتها وجدواها ،عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ .

وكان ﷺ النموذج الفذ للرجل الصالح فى بيته يمهد بالبسمة والتباسط المناخ الملائم للحوار لأن الحوار البناء لا يقوم فى مناخ الخوف والتهجم ، إنما ينشأ وينجح فى البيئة التى تسودها البسمة وحين سئلت عائشة رضى الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا مع نسائه قالت : كان كرجل منكم لنسائكم إلا أنه كان أكرم الناس خلقاً وألين الناس . . ضاحكاً بسّاماً ﷺ .

والمرأة تحتاج إلى أن يشعرها الرجل بأنها تشاركه همومه، والرجل يحتاج إلى صدر حنون يلقى بهمومه عنده ويسمع حلولاً لمشكلاته ، وفى حادثة صلح الحديبية ترى رسول الله ﷺ يفعل ذلك حين أمر الصحابة أن يتحللوا من عمرتهم فلم يستجب أحد . . . عن المِسْوَر بن مَخْرمَة ومروان قال : فلما فرغ من قضية الكتابَ قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت أم سلمة : يا نبى الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك

قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً »، فلولا جو التواصل والحوار الدائم بين النبي ﷺ وزوجاته ما لجأ إلى استشارة أم سلمة في أمر يخص الأمة كهذا الأمر .

وبعد . . أيها الزوج وأيتها الزوجة تعلما في مدرسة النبوة وتأسيا بالرسول ﷺ وبأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن . . تعلما أن الحوار بينكما تواصل ومودة وأن الحوار بينكما لابد أن تسوده البسمة والإقناع والكلمة الحلوة والصبر واللطف الجميل ، وتعلما أن حواركما معاً لابد أن يكون في أصغر الأمور وأكبرها في حياة الأسرة وأن هذا الحوار لابد أن يكون فيه المؤازرة والعون وأن يتخلله المراجعة والنقاش الهادئ والتماس الأعذار .

- « **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر** » [لا يفرك : لا يبغض] والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : ١٩] فيندر جداً أن تجتمع خصال الخير في امرأة وقد قال النبي ﷺ : « **إنما الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة** » ويقول الشاعر الحكيم :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمه

على شعثٍ ، أيُّ الرجال المهذبُ

فلا تكاد تجد رجلاً شجاعاً مغواراً مقداماً كريماً سخياً عالماً محسناً متصدقاً كاظماً للغيظ صبوراً يقوم الليل ويصوم النهار واصلاً للأرحام باراً بوالديه . . . نادراً ما تجد خصال الخير تجتمع فى رجل واحد ، وهكذاقد تكون المرأة جميلة حسناء ولكنها بذيئة اللسان ، وقد تكون جميلة خلوقة لكنها غير مقتصدة فى معيشتها ، وقد تكون مقتصدة فى معيشتها لكنها غير مجيدة للطـــهى مثلاً وكما قال رسول الله ﷺ : « **فدارها تعش بها** » رواه أحمد .

فلا نقول للرجل اتركها بعيوبها ولكن نقول له : قومها برفق ولين قدر الاستطاعة وسدد وقارب ، إن وجدت بها عيباً أو تقصيراً فانظر إلى محاسنها وصفاتها الطيبة الأخرى ، وسوف تعلم أن محاسنها أكثر من مساوئها وكفاها حسناً أنها مؤمنة بالله جل وعلا ﴿**وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾ ثم قال جل شأنه : ﴿**أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ** . . . ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

فأنت تغض الطرف عن زلاتها وهى تفعل معك نفس الشئ وبذلك تسير سفينة الحياة لتصل بكم إلى شاطئ النجاة فى جنات النعيم .

وصدق الشاعر إذ قال :

رأى المجنون في البيداء كلباً فجر له من الإحسان ذيلا

فلاموه على ما كان منه وقالو قد أنلت الكلب نيلا

فقال دعوا الملامة إن عيني رأته مرة في حي ليلي

إن الزوج المسلم ينبغي أن يكون ذا قلب رقيق وعاطفة جياشة ونفس حساسة يعطي التقدير المناسب بالكلمة الطيبة والبسمة الحانية والهدية المناسبة فقد بالغ قيس بالترحاب بالكلب لأنه رآه مرة في حي حبيبته ليلي فكيف يكون حال الزوج تجاه زوجته التي أحبها وأحبته وتزوجها إن رآها هي وكيف يكون إحساسه عندما تقدم له صنيعاً أو معروفاً بعدما توحدا وتشاركا سويا فصدق عليهما قول المنخل اليشكري :

أحببته وأحبني وأحبُّ ناقتَه بعيري

- « ادفع بالتي هي أحسن » :

تظل الكلمة الطيبة لها أثر بالغ في الحياة الزوجية . . فالزوج أو الزوجة التي تحسن الحديث وتنتقي الكلمات وتحسن الرد المناسب وتخضع بالقول لزوجها ما استطاعت ولا تكن نبرتها حادة ولا جافة ولا مقتضبة كالبرقيات بل

تأخذ وتعطى معه فلعله مهموم يريد أن يسمع منها ليدفع عنه الهم أو يذهب الغضب ، فالصوت الحنون الهادئ يسوى فى نفسه أموراً ويحل مشاكلاً ويدفع شروراً تكاد أن تقع لولا لطف الله ، إن حكمة الزوجة المحبة التى تعرف جيداً أحوال زوجها النفسية من خلال نبرة صوته وهذا لا يكون إلا بالتوافق الروحى والتآلف القلبى والانسجام التام من خلال حياة زوجية سعيدة .

فإذا ناداها باسمها ترد عليه مبتسمة : نعم يا حياتى ، نعم يا روحى . . وإذا طلب منها حاجة تقول : « أبشر بالخير يازوجى الحبيب » وإذا أكل أو شرب تردد عليه قول القرآن « هنئياً مريئاً » وتقدم له بيدها المعطرة ما يفتح شهيته للطعام فتعبق رائحة الطيب بأنفه أينما توجه ذلك اليوم ، وكلما ذلّت له ملكته ، وكل امرأة لها أسلوبها وطريقتها فى امتلاك قلب الزوج فهذه تحرص على تلبيسه جواربه وتقريب حذائه ، وتلك اعتادت أن تحمل له البخور عند خروجه ، وأخرى تنقل معه حقيبة عمله إلى الباب وتودعه وداعاً خاصاً .

تلك هى الزوجة الصالحة وذلك هو الزواج الناجح .

ـ الزوجة النكدية :

« سعادة الزوج تتوقف على مزاج زوجته »

عبارة قالتها إحدى السيدات وأشارت إلى تجربة ابنها المهندس الذى كانت الابتسامة لا تفارقه والذى تزوج عن حب ولكن دوام الحال من المحال ، فبعد أشهر قليلة من الزواج تبدلت أحواله تماماً واختفت الإبتسامة تماماً والسبب زوجته التى كانت تقابل عدم استجابته لأى طلب من طلباتها المتعددة بسلسلة من النقار والشجار لا تنتهى دائماً إلا بخروجه من المنزل هارباً .

فالزوجة المصابة بداء النقار كفيلة بتحطيم مستقبل زوجها وآماله ، ولا يقتصر الأمر عند حدود المنزل بل يتعداه إلى عمله أيضاً ، وأسفرت الدراسة الدقيقة التى أجراها الدكتور « لويس تيرمان » أخصائى علم النفس الأمريكى على أكثر من (١٥٠٠) زيجة عن أن النقار الذى تخلقه الزوجة هو أكبر العوامل التى تقوض صرح الحياة الزوجية .

ثقى يا عزيزتى الزوجة أن بيت الزوجية يحتاج دائماً إلى هدوءالأعصاب وحسن التفاهم وأسلوب فيه كياسة وسياسة منك تجاه زوجك فاجتهدى أن يكون هواك تبعاً لهواه ولا تدخلى فى بيته إلا من يحبه ويرضاه واحفظيه فى نفسه وماله وعرضه تكسبى قلبه وعقله .

والأزواج العقلاء الناضجون بوسعهم احتمال الزوجة

إذا كان ذلك النقار خارجاً عن إرادتها لمتاعب عضوية أو جسمانية أو نفسية والأفضل أن يصحبها للطبيب المختص كما يجب على الزوجة أن تنظم حياتها بحيث تزيل ما يسبب لها الإرهاق وتصارح زوجها وتطالبه بألا يحملها فوق طاقتها ، وقد تكون الإحساسات الدفينة هى السبب مثل الحرمان الجنسى أو افتقاد الحب أو التبرم من الحياة فعلى الزوج أن يحاول تفهم زوجته ومساندتها معنوياً واصطحابها للطبيب إذا لزم الأمر .

ـ مرض اسمه النكد :

يشكو الزوج من بيته الذى يسكنه مرض اسمه النكد ، ويرجع السبب كله إلى زوجته ، ولا يفكر فى نفسه ولا يتذكر تصرفاته . . ربما هو يتجاهلها عاطفياً ، ربما هو يتجاهلها فراشياً . . ربما بخله يزداد . . ربما بقاؤه خارج البيت يزداد بدون داع . . . ربما أصبح سلوكه مريباً . . هناك عشرات الاحتمالات ولكنه لا يدرى أو يتغافل أو هو يعرف ويتجاهل وهو لا يدرى أنها تتألم وتتعذب وربما تفصح عن مشاعرها الغاضبة بالكلام النكدى أو بالصمت الكئيب ، لا تفصح بطريقة صريحة عن مشاعرها ربما لأنها أمور حساسة وربما لأن ذلك يوجع كرامتها . . ربما لأنهما لم

يعتادا أن يتكلما . . فإذا بادلها صمتاً بصمت وتجاهلاً بتجاهل فتنتهز الفرصة لأية مشكلة تافهة وتثير زوبعة فقد ضغط عليها حتى دفعها للانفجار !! واستمرار حالة الاستفزاز معناه تراجع المودة والرحمة واستمرار الزوجين فى العناد معناه أن أحدهما يعانى ألماً نفسياً حقيقياً وأن الطرف الآخر يتجاهل عن عمد أو عن غير عمد هذا الألم .

الخطأ الأكبر الذى يقع فيه الزوجان أن يجعلا المشاكل تتراكم بدون مواجهة . . بدون توضيح . . بدون حوار بصوت عال هادئ . . بدون أن يواجه كل منهما الآخر بأخطائه أولاً بأول . . بدون أن يعبر كل منهما عن قلقه ومخاوفه وتوقعاته وآلامه وهمومه . . إن الأمر يحتاج إلى تنبيه رقيق . . إشارة مهذبة . . تلميح راق . . كلمات تشع ذوقاً وحياء دون مباشرة ولا مانع ـ خاصة ـ فى الأمور الهامة والحساسة والدقيقة من المواجهة المباشرة والحوار الموضوعى فهذا حق كل منهما على الآخر . . وهذا هو أصل المعنى فى المودة والرحمة لأن الزوجين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من الاستفزاز المتبادل يكون قد غاب عنهما تماماً المعنى الحقيقى للمودة والرحمة والحقيقة أن كل إنسان مقدم على الزواج ـ رجلاً أو امرأة ـ يجب أن يكون متفهماً وبعمق وبقلبه

وعقله وروحه المعانى الحقيقية لأعظم كلمتين : المودة والرحمة .

ـ خير النساء وشرهن :

قيل لخالد بن صفوان : أى الزوجات أفضل ؟ قال : التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها وإذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإن صنعت شيئاً جوّدت ، وإن قالت صدقت ، العزيزة فى قومها الذليلة فى نفسها ، الودود الولود التى كل أمرها محمود .

وقال ابن عمر رضى الله عنهما :

« النساء ثلاثة : فهينة لينة مسلمة تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ـ ولود تنجب ـ وأخرى غُلٌّ يضعه الله فى عنق من يشاء » .

وقال الأصمعى :

إذا هممت بالزواج وأخذت فى الاختيار فإياك أن يغلبك هواك على عقلك فتؤثر بريق الجمال العارى من الكمال على كريم الخلال وشريف الخصال ؛ فأنت إنما تختار شريكة العمر وعشيرة الدهر ولست تختار اليوم لتتخل غداً .

وقال بعض العرب : إياك وكل امرأة كلامها وعيد

وصوتها شديد تدفن الحسنات وتفشى السيئات ، تعين الزمان على أهلها ولا تعين بعلها على الزمان ، ليس فى قلبها رأفة ولا عليها منه مخافة ، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت ، لا تُطفأ نارُها ولا يهدأ إعصارها صبيها مهزول وبيتها مزبول . . تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة بادية من حجابها بناحية على بابها .

ـ خذى العفو :

من حق الابنة على والديها أن يعلماها حسن معاشرة زوجها حين تكون مقبلة على الزواج كما روى أن أسماء بنت خارجة الغزارى قالت لابنتها حين التزويج : « إنك خرجت من العش الذى فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أرضاً يكن لك سماء وكونى له مهاداً يكن له عماداً ، وكونى له أمة يكن لك عبداً ، لا تلحفى به فيقلاك ، ولا تبعدى عنه فينساك ، إن دنا منك فاقربى منه ، وإن نأى فابعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً ولا يسمع إلاّ حسناً ولا ينظر إلا جميلاً .

قال رجل :

خذى العفو منى تستديمى مودتى

ولا تنطقى فى ثَوْرتى حين أغضبُ

ولا تنقرينى نقـرك الـدف مـرة

ويـأباك قـلبى والقلـوب تقـلبُ

فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى

إذا اجتمعا لـم يلبث الحـب يذهبُ

فلا ينبغى للمرأة أن تؤذى زوجها بحال فقد قال ﷺ : **« لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا »** .

إنك أيتها الزوجة العاقلة لا تدرين لماذا عاد زوجك من عمله ضيق الصدر سريع الغضب لا يطيق سماع الكلمات ، والمرأة العاقلة هى التى تشعر بزوجها وتدرك مشاعره وأحاسيسه ثم تعالج ذلك بدقة ولباقة . . تقول له : هون عليك ، فداك كل شىء ، وتنتظر الوقت المناسب لكى تسأله عن الذى كدره وضايقه ، ولعله يكون بعد راحته قليلاً

ونناوله الطعام . . الزوجة العاقلة هى الصديق الوفى لزوجها وهى الناصح الأمين عندما يقع فى أزمة . . . إن الحب بين الزوجين هو ميزان الاعتدال فى الحياة الزوجية وبغير الحكمة وحسن التصرف يضيع . . وإن ضاع الحب والمودة بين الزوجين ضاعت الحياة . . فاتقى الله فى زوجك واصبرى عليه إن اشتد عليك فصبرك سيكون هو الدافع له ليعتذر إليك ، وهكذا تسير سفينة الحب تحت قيادة الربان الماهر والزوجة العاقلة الحكيمة .

ـ لا ترهقيه بالمصاريف الزائدة :

تختلف صور المنازعات بين الزوجين حول المسائل المالية فقد ترى الزوجة أن الزوج مسرف على نفسه أكثر من اللازم دون أى اعتبارات لمتطلبات الأسرة ومن ثم فإن الزوجة إذا كانت عاملة فإنها ترفض أن تساهم فى مصاريف البيت من راتبها الخاص لقناعتها بأنه قادر على ذلك وحده ولأنه الرجل المسؤول عن تدبير الموارد المالية الكافية لأسرته .

وقد تجد الزوجة زوجها يقوم بمساعدة بعض أفراد أسرته أو الأقارب المحتاجين وترى أنه من الواجب أن يقوم بإنفاق تلك الأموال على أسرته لأنها أحق من هؤلاء الأقارب وقد

تكون نصيحة الحماة لابنتها باستنزاف أموال زوجها أولا بأول كى لا يكون قادراً على الزواج مرة أخرى .

إن الزوجة الراغبة فى أن تكون ناجحة قادرة على كسب عقل وقلب زوجها ومواجهة عاصفة المشاكل المالية لابد أن لا تحمّل زوجها مالا يطيق ولا تثقله بالديون من أجل كماليات أو أجهزة كهربائية يمكن الصبر على إحضارها سنوات متذكرة قوله ﷺ : « أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم يقبل الله منها حسنة ، وتلقى الله وهو عليها غضبان » . . عليك أن تتواءمى مع ظروف زوجك الاقتصادية وأن تميزى فى متطلباتك ما بين الرغبات والحاجات فكثير من الرغبات يمكن تأجيلها فى حالة ضيق ذات اليد ولابد من قمع الرغبات التى تتعارض مع ما تحتمه الحاجات . ابتعدى عن الشعور بالغيرة من أقرانك فالأرزاق من عند الله وهو سبحانه القائم بتقسيمها بمعرفته وحكمته فالشعور بالغيرة من الآخرين مادياً يحيل الحياة إلى جحيم لا يطاق . .

والتزمى الوسطية فى الإنفاق فلا للتبذير ولا للتقتير . . وإذا كنت عاملة فساهمى بمحض إرادتك فى ازدواجية دخل الأسرة . . ولعل أكثر صور الاندماج الجسدى مع الاندماج

الروحى والمادى نراها حين يصبح دخل كل من الزوج والزوجة دخلاً واحداً بلا تمييز بين مرتب الزوج ومرتب الزوجة ، ويقومان سوياً بالتخطيط لميزانية الأسرة وعندها لن نجد السؤال الذى يردده الكثيرون : دخل الأسرة مسؤولية من ؟ ولتكن نظرتك فى الإنفاق نظرة مستقبلية لا تقتصر على النظرة الضيقة لليوم دون عمل حساب الغد ، ولابد من مراعاة ترتيب أولويات الإنفاق والبدء بالأولوية الأكثر إلحاحاً مع الأخذ فى الاعتبار وجود طوارئ أو ظروف يمكن أن تستجد وتحتاج لأموال حاضرة فى التو واللحظة ، لذا يمكن للزوجة الناجحة الذكية أن تواجه عاصفة الأموال بهدوء وحكمة تمكنها من أن تلعب دورها الإيجابى والحيوى فى المشاركة فى إعداد ميزانية الأسرة وإعانة زوجها على مواجهة الصعاب المالية .

.بُعد الزوج مصيبة:

غياب الزوج عن زوجته يعرضها للفتن الكثيرة فإذا ضاق به العيش فى بلده فعليه أن يأخذها معه فى أى مكان سيعمل فيه وليحرص على أن يكون هذا المكان خالياً من المخالفات الشرعية . تقول الحاجة زينب الغزالى رحمها الله : « إننى

أعجب أشد العجب عندما أسمع أن أسرة غاب عائلها منذ خمس سنوات أو عشرة وربما أكثر من ذلك ، وكل هم الزوج جمع المال والإنفاق على الأسرة والأولاد وتوفير الرعاية المادية دون النظر إلى خطورة غيابه عن الأسرة سواء من الناحية الاجتماعية أو الناحية التربوية والنفسية بالنسبة للزوجة والأولاد .

إن توفير المطالب المادية للأسرة لا يمكن أن يكون بديلاً عن المطالب النفسية والجوانب التربوية وغياب الأب عن الأسرة يؤدى إلى متاعب يصعب علاجها منها إحساس الأبناء بعدم وجود من يرعى سلوكياتهم أو يراقب تصرفاتهم خصوصاً فى مرحلة المراهقة والشباب وربما ينشأ إحساس لدى الأبناء أن الأب وظيفته الأساسية بالنسبة لهم هى جمع المال والإنفاق ببذخ عليهم دون أن يحاسبهم أو يوجههم . . إن الزوجة تحتاج إلى زوجها . . إلى رعايته وحنانه ولا يمكن أن تعوض أموال الدنيا بُعد الزوج عن زوجته لأسباب ليست قاهرة . . وأتساءل : لماذا لا يحرص الزوج المغترب على اصطحاب أسرته معه فى غربته فإن لم يستطع فعليه أن يحرص على زيارتها مرة كل نصف سنة أو أقل من ذلك حتى يتيسر له العودة إلى بلده نهائياً . . والزوجة العاقلة هى التى

لا ترهق زوجها بمتطلبات الحياة وكمالياتها وتحرص على الإنفاق الرشيد لأن مرارة الغربة يدفع ثمنها الزوج والزوجة والأولاد ، والحساب النهائى للغربة يصب فى خانة الخسارة أكثر من خانة الأرباح ! » .

.عمل المرأة ووظيفتها الأساسية فى ميزان الإسلام :

المنهج الإسلامى يتبع الفطرة فى تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء فلكل منهما وظائف معينة لحساب الإنسانية ـ وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجال والنساء فيه تجن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإنسانى كله ـ فالمسألة هى توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل بعد ذلك فى المنهج الإسلامى لأن الذى شرعه هو خالق الذكر والأنثى وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم .

والإسلام كرم المرأة فجعل لها حق النفقة والسكنى وألا تكلف بعمل خارج المنزل فإن حرفتها الأمومة وصناعة الأجيال وهى أشرف صناعة وأهمها فى هذه الحياة .

إن المجتمع الإسلامى المحض هو الذى يتربى فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته ويقوم بواجب

الخلافة فى الأرض ، ولذلك يجب ألا نشغل أعصابها بإعالة نفسها وهى تقوم بهذه المهمة المقدسة ، ولا نفسد أعصابها بالعمل الذى تشارك فيه الرجل ثم بتوالى الأيام تتحول إلى جنس ثالث يعذب ويشقى .

وحين يقول كارل ماركس : « إن المرأة لابد وأن تعمل لتعيش » فهو يتكلم عن مجتمع عاش فيه ، مجتمع بلا مثل ولا قيم ولا دين .

إن الإسلام لا يطلب من المرأة العمل فإن احتاج إليها فى عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغى أن يكون العمل مخففاً والأجر مضاعفاً . . يقول مسيو د . و . اس : « إن المرأة فى الشرق تُحترم بنبل وكرم ـ وعلى العموم فلا أحد يستطيع أن يضع يده عليها فى الطريق ولا يجرؤ جندى أن يسئ إلى أى من نساء الشعب ـ حتى فى أثناء الشغب ـ وفى الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالأم درجة العبادة ، وفى الشرق لا نجد رجلاً يقوم على إلزام زوجته بالعمل ليستفيد من كسبها وفى الشرق يدفع الرجل مهراً إلى زوجته » (هذه هى الصورة المثالية الموجودة عند بعض الفئات الشاذة عن قاعدة الإسلام ومنهجه الصحيح) .

٢ . النفور بسبب الجهل فى العملية الجنسية :

لحظة من فضلك :

شعر رجل بمشاكسة زوجته وإهمالها واجباتها المنزلية فكتب بطاقة بالحكمة التالية وعلقها فى المطبخ على مشهد من زوجته : « أتقن عملك تنل أملك » فأخذت الزوجة هذه البطاقة وعلقتها على سرير النوم..

إن الزواج الموفق الناجح أمر عسير . . فكيف يمكن أن تكون سهلة حياة إنسانين يعيشان معاً إذا كان كل منهما عرضة لنوبات عصبية والانفعال والأخطاء والأمراض التى تفسد حياة صاحبها . . ؟ الواقع أن حياة زوجية بغير خلاف أمر مستحيل ، ولكن حين يعتاد الزوجان تسوية خلافاتهما بالتسامح والرقة تصبح أزماتهما أمراً تسهل معالجته وخطراً فقد شوكته . .

فالزواج إذن ليس ما يتصوره العشاق . . ونجاحه لا يحتاج فقط إلى جاذبية جنسية بل إلى عزيمة وصبر وكياسة فإذا توفرت هذه الشروط أمكن الوصول إلى شركة جميلة فى الحياة مدى الحياة ، شركة عمادها أركان أربعة : الحب ، والصداقة ، وإرضاء الحواس ، والاحترام المتبادل !

ـ من فوائد الجماع :

يقول ابن القيم رحمه الله : (وأما الجماع . . فكان هديه ﷺ فيه أكمل هدى يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التى وُضع لأجلها فإن الجماع وضع فى الأصل لثلاثة أمور هى مقاصده الأصلية :

أحدها : **حفظ النسل** .

الثانى : إخراج الماء الذى يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن .

الثالث : قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة ، وهذه وحدها الفائدة التى فى الجنة إذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الإنزال .

وقال فضلاء الأطباء : إن الجماع من أحد أسباب حفظ الصحة ، فإنه إذا دام احتقانه " أى المنى " أحدث أمراضاً رديئة منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك ، وقد يبرئ استعماله من هذه الأمراض كثيراً فإنه إن طال احتباسه فسد واستحال إلى كيفية سُمِّية توجب أمراضاً رديئة كما ذكرنا ولذلك تدفعه الطبيعة بالاحتلام إذا كثر عندها من غير جماع) .

ولذلك قال محمد بن زكريا : (من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى أعصابه وانسدت مجاريها ، ورأيتُ جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم) .

ـ التفاعل والتكامل بين عاطفة الحب وبين الجنس :

الحب فى الزواج جزء من كل ، فإذا كان الزواج معناه الحب « وجعل بينكم مودة ورحمة » فالحب يتبعه الوفاء والصحبة الطيبة والمشاركة الحياتية الكاملة والامتداد الحى فى الأبناء زهرات الحياة ، وهذه المعانى الكريمة تجمعها كلمة واحدة هى « السكن » ذلك التعبير القرآنى الرائع ، والمتعة الجنسية وهى إحدى ثمرات الزواج تشملها كل هذه المعانى وتسمو وتزكو وتحلو بفضلها ثم إن هذه المعانى تتوثق وتتأكد بفضل المتعة الجنسية وهكذا يكون التفاعل الإيجابى المثمر بين الجزء والكل ، بين الفرع والأصل . . . إن المباشرة الزوجية نعيم حقاً ولكنها مع النعيم مسؤولية تليق بالشرفاء الأقوياء الشجعان . . نعم قد يحدث أن يتلألأ الحب حيناً مع قلة اهتمام بفنون المتعة الجنسية وقد يحدث أن يزيد الاهتمام بفنون الاستمتاع مع حب فاتر ، لكن هذا خلاف الأصل فإن

الحالة السوية الواعية الناضجة تطَّرد فيها عادة العلاقة بين الحب والاستمتاع يزهوان ويزدهران معاً ويفتران معاً ، وعلى ذلك فنحن حين نحث الزوجين على التفنن فى الاستمتاع نكون ساعين فى طريق توثيق عرى الحب بينهما .

ـ فتور زوجى :

تقول إحدى السيدات : (زوجى غير مقبل ليس فتوراً عاطفياً ، فأنا أشعر بنبض أحاسيسه ؛ لكنه فتور جسدى ، وأنا كنت أعتبر زواجى ناجحاً جنسياً بالمقاييس العاطفية ، فأنا أحب زوجى كما هو يحبنى ولقاءاتنا الجسدية كانت دائماً تعبيراً عما تجيش به نفوسنا من عواطف وكنا نعتبر أن الأحاسيس هى التى تتكلم وتتناغى فى صمت وتتحرك فهى أمر سام لا يجوز التعبير عنه بالكلمات سواء كانت جادة أو مازحة أو حتى علمية . . . لكن زوجى ـ فجأة ـ تباعد عنى بالرغم من حيوية علاقتنا وانسجامنا عاطفياً وقلة توتراتنا . . فماذا حدث ؟

إن الجنس فى حياة المتزوجين مرتبط بدورات عاطفية ولذا يتحرك الأزواج نحو بعضهم البعض بشكل طبيعى

تلقائى بفعل نداء خفى داخلى مصدره الوجدان ولهذا فهو يعبر عن احتياج نفسى أكثر مما هو تعبير عن احتياج جسدى بل هو احتياج نفسى فى صورة احتياج جسدى ولذا فالإرضاء النفسى يفوق الإرضاء الجسدى فى حالة الجنس بين الأزواج .

لاحظت أيضاً أثناء تأملى الذاتى لمشاعرى كزوجة أن هذه المشاعر تتوقف على عدة عوامل أخرى كثيرة من ضمنها موقعى بالنسبة لأيام معينة فى الدورة الشهرية وأيضاً صحتى العامة وأيضاً تقلباتى المزاجية الطبيعية وكذلك همومى وانشغالى . .

إذن أنا شخصياً أمر بحالات صعود وهبوط فلماذا كل هذا الانزعاج للفتور الذى أصاب زوجى ؟!

وعدت لأتأمل علاقتنا كزوجين نعيش حياة كاملة بكل أبعادها منذ أن عرفت زوجى وحتى الآن أى بعد سنوات عدة طرأت على هذه العلاقة تغيرات حاسمة ولا أقول تغييرات وإنما هى مراحل مررنا بها وكل مرحلة تعود إلى أخرى وأقول إنها مراحل نضج وتطور ، تطور ونضج فى المضمون واستتبعه بالضرورة تغيير فى الشكل يتلاءم مع المضمون .

فى البداية كان الجنس أكثر تحديداً وبروزاً رغم ارتباطه الوثيق بالعاطفة ومع مرور الوقت أصبح متداخلاً أكثر فى النسيج العاطفى ..ذابت الرغبات البدنية مع العقل والقلب وأصبحت الحركة كلية وشاملة ولا يفهم من كلمة النضج أنها التعقل والهدوء فالأمر ليس له علاقة بهدوء وتعقل إنما له علاقة بوحدة الكيان والانسجام الكامل بين حركة الجسد والفكر والوجدان ثم الانسجام المتبادل بين كيانين إنسانيين يعيش كل منهما داخل الآخر .

ولذا فالإشباع يتحقق لوجدان وفكر وجسد فى بوتقة واحدة وانصهار كامل وفى حركة تلقائية تبادلية خاضعة لعوامل كثيرة تجعلها تمر بحالات صعود وهبوط ، نشاط وفتور ، وليس الأمر إقبالاً وإدباراً ليس اقتراباً وابتعاداً .

وهدأتْ نفسى وحين هدأت بما هو أهم وأخطر شعرت أنه حتى فى حالات الفتور سواء من جانبى أو من جانب زوجى ، شعرت أنه حتى فى حالات التباعد الجسدى فإننى فى كل الأحوال مشبعة فكرياً ووجدانياً وجسدياً . . وهذا هو الزواج .

.كيف تكسبين قلب زوجك ؟

الحياة الزوجية السعيدة وكسب قلب الزوج يعتمد على

ثلاث وسائل أساسية : الاستمتاع الجنسى ، والتوافق الوجدانى فى المشاعر والأمانى والطموحات ، والحب . . . وإذا ما توافرت هذه المعطيات مجتمعة تصبح الحياة الزوجية سعيدة وموفقة إلى أبعد الحدود .

والاستمتاع بالجنس ليس مسألة هامشية فى حياة الزوجين ، بل قد تكون لدى البعض من أهم المسائل فى الحياة الزوجية ، ولابد أن يكون الزوجان على قدر من الثقافة الجنسية يمكنهما من ممارسة الجنس مع بعضهما وإسعاد بعضهما البعض والاستمتاع بتلك الممارسة .

وممارسة الجنس عملية إنسانية تدخل فيها كل المؤثرات العقلية والنفسية والعاطفية وأى إهمال لجانب سيؤدى إلى البرود ـ على الأقل ـ من جانب الزوجة .

والتكافؤ الجنسى بين الزوج والزوجة يعتمد على العوامل الجسمانية ، فالعقل عند الزوجة يقوم بدور كبير فى تنظيم الحياة الجنسية ويجب على الزوجة أن تكون فى حالة عقلية وعاطفية لائقة كى تستجيب للمهيجات الجنسية ، ويعنى ذلك أيضاً أنه لابد أن تتلقى الزوجة درجة معينة من الحب والود والتأدب فى المعاملة والتقدير المتبادل والحنان

والإخلاص ، فهذه الأمور تثبت فاعليتها فى تنبيه الاستجابة الجنسية أكثر من الأعمال المادية الأخرى ، وهذا لا يعنى بالطبع التقليل من شأن المداعبة الجنسية التمهيدية التى تكون ضرورية فى الغالب لتهئية الزوجة للحالة الجسمانية المطلوبة .

ومن الأمور التى يتعجب لها البعض فشل كثير من نماذج المحبين فى حياتهم الزوجية ، ولكن الأغرب هو ما أثبتته الأبحاث العلمية التى قام بها أساتذة علم النفس والاجتماع والتى أجمعت على أن النفور الجنسى هو السبب الرئيسى لفشل معظم الزيجات التى بُنيت على الحب . . والسبب هو نقص الثقافة الجنسية عند كلا الزوجين ، وهذا النفور لا يأتى فجأة أو بدون أسباب حقيقية وجوهرية ، ولا سبيل لعلاج النفور الجنسى سوى العاطفة القوية السامية المستعدة للتضحية لإسعاد الطرف الآخر والعمل المتواصل لتقوية الجاذبية الجنسية بين الزوجين .

إن إمتاع الزوج جنسياً وإشباعه نفسياً من أهم وسائل إدخال السرور والبهجة إلى نفسه ويساعد على إيجاد رابطة قوية جداً بين الزوج وزوجته .

ولكن كيف يمكن للفتاة أن تقوم بهذا النجاح فى

مجتمعنا الشرقى الذى يفرض قيوداً ومحاذير على الفتاة إن اقتربت من بعيد وقامت بالاستماع إلى مجرد حديث عن العلاقات الجنسية . . ؟ لقد جرى العُرف على أن تلك النوعية من الأحاديث قاصرة فقط على المتزوجين وكأنه ليس حقاً للفتاة وهى مقبلة على الزواج !!

وتناسى هؤلاء أنه لا حياء فى العلم ولا حياء فى تعلم أمور الدين ، وأن أحد الأسباب الرئيسية لفشل الزوجات فى حياتهن الزوجية يرجع إلى الجهل بالثقافة الجنسية وهو ليس مسألة هامشية فى حياة الزوجات على الإطلاق ولا يجوز إهمالها إطلاقاً أو تركها لتتحكم فيها نصائح الأهل والأصدقاء . . .

لابد أن يعرف كل من الزوجين أن ممارسة الجنس عملية إنسانية تدخل فيها كل المؤثرات العقلية والنفسية والعاطفية وأن أى إهمال لجانب منها يؤدى إلى عدم التوافق الجنسى الذى يؤدى إلى عدم التوافق النفسى فى معظم الأحيان .

وليكن أمام عينى الزوجة دائماً حديث الرسول ﷺ :

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيئ ، فبات غضباناً عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

وقوله ﷺ : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته ولو على تنور » ، ولكن ما المقصود بالأمر فى قوله ﷺ : « فلتأته ولو على تنور » ؟

تقول الدكتورة زينب عبد السلام أبو الفضل فى كتابها : « قوامة النساء ، المشكلة والحل الإسلامى » :

« الإسلام ينظر إلى الزواج على أنه ضرورى لتحقيق هدفين هامين فى دنيا البشر : أولهما : حفظ النوع وحفظ النسل ، وأما الهدف الثانى : فهو التنفيس الحلال والمنظم عن حاجة غريزية يؤدى عدم الوفاء بها إلى أضرار جسدية ونفسية بالغة قد تُدخل صاحبها فى دائرة الحُرمة لاسيما إن قصّر فى التنفيس عنها فى مصدرها المشروع مع القدرة على ذلك . . .

ولذا شرع التقديم للنفس « وقدموا لأنفسكم » وتجمل كل من الزوجين لصاحبه وتناسى الخلاف وما يعكر الصفو ومحاولة إيقاظ المشاعر والأحاسيس الجميلة التى يمكنها أن تسمو بهذا الأمر المادى الصرف إلى أن يغدو آية من آيات الحب والمودة بين الزوجين .

إذا فهمنا هذا تبين لنا أن هذه العملية ـ لكى تؤدى بهذه

الطريقة لها شرعاً ـ لابد وأن يتخير لها أوقاتها إذ لا يعقل أن تسحب المرأة على وجهها من أمام التنور لتطرح على الفراش كما يطرح الشئ ثم تنفض فيه كما ينفض الأديم وكأنها فعلت جرماً تستحق عليه عقاباً من نوع خاص ثم تؤمر بالعودة إلى تنورها وقد نشطت فى صدرها براكين من الحنق والغضب لا تفتؤ تخمد حتى تعاود نشاطها كلما نشط الزوج وهمّ إلى لقاء ثم نقول : هكذا أمر رسول الله صلى عليه وسلم [1] .

ـ حق الزوجة :

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل لطاعة الله عز وجل ، فقال لها : نعم الزوج زوجك ، فجعلت تكرر عليه القول ويكرر هو عليها الجواب ، فقال له كعب الأسدى : يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه فقال عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : علىّ بزوجها ، فأتى به فقال له : إن

---

(١) صـ ٣١ـ٣٣ بتصرف .

امرأتك هذه تشكوك ، قال : أفى طعام أو شراب ؟ قال : لا فقالت المرأة :

يا أيها القاضى الحكيم رشده
ألهى خليلى عن فراشى مسجده
زهَّده فى مضجعى تعبده
فاقضِ القضا كعبُ ولا تردده
نهاره وليله ما يرقده
فلستُ فى أمر النساء أحمده

فقال له كعب :

إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك . فقال عمر : والله ما أدرى من أى أمريْك أعجب أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما ؟ اذهب فقد وليتك قَضاء البصرة .

- الجهل الجنسى :

حيث تعتقد الزوجة - خطأً - وبناء على ما نشأت عليه أن إظهار حبها لممارسة الجنس والاستمتاع به هو « قلة أدب » أو أن الرجل لا يحترم المرأة التى تظهر هذا الحب وقد يعتبرها امرأة منحلة .

فإذا كان هذا هو اعتقادك أيتها الزوجة فأنصحك بأن تكفى من الآن عن تمثـيل دور « المرأة الجليـدية » ولتطلقى العنان لرغبتك الجنسية مع زوجك فليس فى ذلك عيب ولا حـرام وإنما هو واجـبك كـزوجـة من أجل إسـعـاد نفـسك وزوجك وإرضاء نزعته كرجل يريد أن يشعر بانجذابك إليه واشتياقك للمتعة بين يديه .

- الجنس والحب :

الشئ الغريب فى موقف الرجال حيال الجنس أنه قلما يربط الجنس بالحب والعواطف الرقيقة . . على عكس حال المرأة أو كـمـا يقولون : إن الرجل يعطى الحب لكى يحصل على الجنس ، أما المرأة فهى تعطى الجنس لكى تحصل على الحب . . لكنه لاشك أن الحب الناضج يتـجاوز كـثيـراً هذه الصور المبسطة . .

إن الجنس ليس كل شئ فى الزواج ولكنه بلا شك إذا استخدم على خير وجه فإنه يجعل الجوانب الأخرى للحياة الزوجية تمضى فى سهولة ورضا .

- كيف تحبين زوجك ؟

يحتاج كل زوجين إلى مهارة كبيرة وعزيمة مؤكدة لكى

يستمتعا بالنشاط الحسى ، ولكن معظم الناس يهتمون بالجوانب البدنية ويتغاضون عن الجوانب الأخرى العاطفية والنفسية والعقلية ومنها الحب .

واستمتاع الزوجين بالملامسة يشبه كل عمل من أعمالنا فى حياتنا اليومية ومن ثم يحتاج هذا الاستمتاع إلى الحب لأننا ننجز العمل أحسن إنجاز إذا أحببناه وإذا أحببنا من نؤدى له العمل ومن ثـَم تحتاج المرأة إلى أن تحب زوجها الحب الجزيل الكافى كما ينبغى أن تحب مشاركته فى النشاط الحسى .

يجب أن تتناسق العلاقات البدنية مع المودة النفسية وإذا قلّت المودة النفسية أو غابت أضحت العلاقات البدنية ناقصة غير ممتعة لا تسعد صاحبها ولا تسعد المحبوب ولا تنفع ولا تُجدى ولن يكون هذا حباً كاملاً صافياً .

يجب أن يكون بين كل زوجين شئ ثابت وثيق يربطهما وميول وأفكار مشتركة تعمل عمل الأسمنت الذى يشد بنيان الزواج ويربط لبنات البناء .

والتجاذب البدنى والرغبة الحسية والرضا التام لازمة كلها لإرساء قواعد الحب السعيد بين الزوجين ، والدافع الأساسى السليم للزواج السعيد هو التدله الشديد فى الحب على أساس من الرغبة الحسية ، وإذا كان الجانب البدنى

وحده عاجزاً ناقصاً لا يرضى المحب (ولا المحبوب) ولا يمتعه ولا يشبعه فكذلك الجانب النفسي وحده قد لا يرضي ولا يمتع ولا يشبع .

والحب النفسي الخالص الخالي من كل ميل بدني يشبه الحب العذري لون من الحب السامي لن يمكن بلوغه إلا ببطء شديد وفي ظروف خاصة ، ولن يكتفي به إلا عدد قليل من الناس ، ولكن معظم الناس يفضلونه نمطاً أرضياً دنيوياً متواضعاً من الحب الذي تختلط فيه العناصر البدنية والنفسية .

إن معظم مدارس علم النفس والاجتماع تؤكد على أن الحب والجنس هما المحور الذي تُدار عليه الحياة الزوجية وليس هناك خط فاصل بينهما وهم يفسرون ذلك بقولهم إن الحب جنس بطبيعته وإن الجنس يحمل في طياته عنصر العاطفة . . وهذا بالطبع ينطبق فقط على تعريف العلاقة بين الحب والجنس في العلاقات الزوجية دون غيرها من العلاقات لأن هناك أنواعاً أخرى من الحب لا يدخل فيها الجنس بأي شكل من الأشكال ، ولكن ما نحن بصدده ذلك الحب الذي يشعل الحياة الزوجية بنيران السعادة ويجعل الزوجان يسبحان في بحور الغرام .

والتفسير العلمي للحب الزوجي يؤكد أن الحب

الأفــلاطوني الذى يخلو من الجنس حب شــاذ وناقص إذا حدث بين زوجين لأن الحب بالمفهوم النفسي جنسي بطبيعته وأن الزواج بدون الحب الجنسي ينتهي بالفشل أو بالتعاسة الزوجية أو غير ذلك من المشاكل والآلام النفسية وهو ما يؤكد وجود الآلاف من الأزواج والزوجات يعيشون تحت سقف واحد ولكن بينهما مسافة هائلة من الجفوة وعدم الانسجام والسبب الرئيسي هو عدم وجود الحب ، وثبت أن انعدام العاطفة هو أحد الأسباب الرئيسية لعدم التوافق الجنسي كما ثبت أيضاً أن عدم التوافق الجنسي ينعكس بالضرورة على العاطفة ويخمد نارها التي كانت مشعلة قبل الزواج ، إن الحب بين الزوجين ليس مجرد إحساس قلب فقط ، ولا استجابة عين لعين ، ولا هو مجرد نشوة روح ، ولا مجرد شهوة غريزة . . بل هو كل ذلك وأكثر بكثير .

المقويات الجنسية : حب الرجال لا يحتاج إلى منشطات ! [١]

يُقال أن المقويات الجنسية (أدوية رفوف) ، بعد أن بات استعمالها غير مقرون بضوابط أو رقابة ، أو حتى وصفة

---

(١) مجلة زهرة الخليج العدد رقم ١٣٧٧ ـ السبت ١٣ / ٨ / ٢٠٠٥ . تحقيق : سهى هشام الصوفي .

طبيب فما حاجة الرجـــل إلى (الفياجرا) و (السياليس) و (السنافى) و (ليـفيتـريا) إذا لم يكن هناك بالفعل ضعف جنسى ؟

وهل المُقوّى الجنسى ، شحن لعاطفة أم تحريض لرغبة ، أم وسيلة من وسائل تعزيز الوظيفة الجنسية ؟

كيف ينظر الرجـال ، بمختلف أعمـارهم إلى المقويات الجنسية ، وهل تمثل تلك المقويات طرق نجاة حقيقياً للبعض أم أنها بديل زائف لا يعترف به كثيرون ؟

تجنُّب المقويات لمن يحتاج إليها موقف ساذج ، بالنسبة إلى « ألكسندر نيكولا » يونانى الأصل ؛ فالحاجة بمثابة المبرر الوحيد لتناول حبة (الفياجرا) على سبيل المثال . وما دامت تجدى نفعاً فما الضرر ؟ .

علاقة الرجل مع المقويات الجنسية تبدأ مع إصابته بخلل : « سيؤثر سلباً فى الحياة الزوجية بكل جوانبها ، فالعلاقة الجنسيـــة السليمـــة هى التى تُبـقى الزواج فى حـــالة من الاستقرار النفسى على الأقل . لذلك فأى خلل فى قُدرات الرجل ، ستكون الصورة العامة للعلاقة مأساوية » .

فالمقويات التى تطيل عمر القدرة الجنسية عند الرجل ،

مثلها مثل الدواء الذى نأخذه فى حالات مَرضية معينة ، وما دام قد ثبت علمياً أنها لا تسبب آثاراً جانبية ، فأنا مع أخذها مائة بالمئة .

يعــمد بعــض الرجــال إلى إخفاء حقيقة تنــاولهم حبة (الفياجرا) وهذا دليل قاطع على سوء فهم العلاقة الزوجية فالزوجة شريكة فى السرّاء والضراء .

والضعف الجنسى لا يعيب الرجل أو يُزعزع مكانته ، بل على العكس ، يدفع المرأة إلى مساعدته فى التغلّب على أزمة هى جزء أساسى منها .

تناول المقويات ليس دليلاً على برود المشاعر تجاه الزوجة فالقدرة لا تعكس عاطفة ، والعجز والضعف ليسا مؤشرين إلى فقـدان المرأة بريقهـا أو عنصر التحريض ، لذلك فالمرأة الجاهلة هى التى تسيئ فهم تلك المرحلة التى لم تعد صعبة بعد اكتشاف حبوب المقوّيات الجنسية وتداولها .

هل ستتناولها يوماً ؟

لمَ لا ؟ يجـيب نيكولا ، فـالحلول المتـوافـرة تحـول دون اعتبـار الأمر مشكلة ، وفى تلك السن سأكـون كغيرى من الرجال الحريصين على السير بحياتهم الزوجية إلى الأمام .

ـ صلاحية :

الاعتماد على المقويات الجنسية صورة من صور الاعتراض على آلية جسم الرجل كما يعتقد (موسى رزقة) المتزوج منذ سنتين : « فجسمنا ككل شئ في الحياة له مدة صلاحية لا أعتقد أن تحميله فوق طاقته من الأمور التي سأسعى إليها يوماً . .

لجوء الرجل إلى ما يشد عزيمته في النواحي الجنسية هو الذي يقتل العلاقة بدلا من أنْ يعمرها ـ كما يفترض ألكسندر ـ فمَن الزوجة التي ستستقبل خبر تناول زوجها (الفياجرا) من دون أن تحمل عليه وتتأثر بلجوء تعتبره طعنة في أنوثتها ، ولو كان عمرها خمسين عاماً .

تبرير الرجل تناول المقويات الجنسية تحت شعار إرضاء الزوجة ، يضحك به على نفسه لأنها تُرضي رجولته التي لا يريد أن يعترف بأنها شاخت ، ولو كان الأمر يتعلق بالمرأة ، لفهم أن العاطفة تنوب عن القدرة الجنسية التي لا تعتبرها ضمن أولوياتها بعد مضي وقت طويل على الزواج . « هذا الموقف القوى لرزقه » .

لا تقاوم أيها الرجل أحكام الطبيعة ، هذا شعار يرفعه

(عبد الرحمن برادعى) ضد ميل الرجال إلى إيقاف عوامل الزمن فالرجل وبعد عمر من المتعة والشباب والربيع عليه أن يتقبل تغيير قدراته الفيزيولوجية ، فخريف العمر قدر لا مفر منه .

الاعتماد على المقويات لاستحضار عزيمة الشباب لا يعيد الحلقة المفقودة إلى العلاقة الزوجية فالزمن يبرد العاطفة والمقويات الجنسية لا تؤججها فلمَ شراؤها إذا كانت الغاية كما يدعون علاقة زوجية حميمة .

(عبد الرحمن) المتزوج منذ عشر سنوات ، قرّر أن لا يقترب من تلك الأدوية فهى لا تشترى له الدفء الذى توفره علاقته بزوجته ، إضافة إلى أنه يخشى من آثارها الجانبية التى هو فى غنى عنها .

بغض النظر عما إذا كانت هناك آثار سلبية للمقويات الجنسية ، فإن المهندس عامر لا يجد فيها ضالة الرجال فمادام المبرر لشرائها شحن العاطفة فهو يرفضها اليوم وسيفعل ذلك بعد دخوله العمر الحرج فتلك الأدوية تدعم الجسم وتقويه لذلك أطلق عليها مقويات ومَن سيحتاج إليها سيكون فى حالة من الافتقاد الشديد كالمساعدة الخارجية .

أما العاطفة فهى . . عالم آخر . . ومَن يمتلكها تجاه الشريك لن يحتاج إلى بطارية تشغل طاقاته ، ولو تقدّم فى السن ، وإذا ما احتجت إليها يوماً قد أستعين بها لكن بحذر فالجسم الذى لن يلبى رغباتنا سيكون هشاً بشكل يجعلنا نخشى عليه من طاقة أو جرعة زائدة من المقويات التى لطالما أضرّت بمَن يتناولها من دون وعى . . وبهذا يختم عبد الرحمن كلاَمه .

- سحر :

المقويات الجنسية باتت اليوم مطلب الصغير قبل الكبير باعتراف واحد من جيل الشباب ، فالكل يظن واهماً أن الفياجرا هى الحبة السحرية التى تشفى وتقوى وتزوّد الواحد منا بطاقة خرافية . . والنتيجة - كما يقول (محمد باشات) - تعوُّد على دواء لا يفهم استعمالاته كل مَن يشتريه .

فافتقاد المشورة الطبية فى تناول المقويات يعود بالضرر على الشباب ، وهم يتناولونها من باب الفضول والطمع متجاهلين وهُم فى فورة حماستهم الأثر السلبى الذى تتركه لاحقاً .

لكن الجهل فى تناول المقويات لا يقتصر على سن

الشباب ، فواحد من معارفى دفع حياته ثمناً للفياجرا حين باتت شغله الشاغل بعد زواجه الثانى وهو فى الثالثة والثمانين من عمره .

ولا يتفق(محمد) مع رأى (موسى وعبد الرحمن) ، لا تتوقف صلاحية الجسم إذا لجأ إلى بدائل طبيعية كالزنجبيل والعسل والحليب والجرجير والحبة السوداء وغيرها من المقويات غير الكيميائية التى لا تسبب أخطاراً فيما بعد .

علاقة الشباب مع المقويات الجنسية نشطت فى الآونة الأخيرة بعد ما دخلت قائمة السلع المُعْلَن عنها فى وسائل الإعلام المرئية - (محمد غاوى) - لم يكن سابقاً يسمع عن إقبال من الشباب على المقويات الجنسية لكن بفضل الإعلانات المشجعة أصبحت اليوم المُحرّض السريع والأكيد لعلاقات زوجية من الأرجح أنها لم تعد تحمل دافعاً كافياً لإتمامها .

فالمقويات - كما يعرفها (محمد) - الذى لم يتجاوز الخامسة والعشرين بمثابة المأكولات الجاهزة التى تغنى الرجل عن تحضيرها فلماذا لا يتعاطى بها ما دامت فاعلة ومُنشّطة كما يسمع ويرى على شاشات التليفزيون كل يوم ؟ !

لكن كم يختلف الطعام الذى نحضره عن الطعام الذي نشتريه جاهزاً ؟ يُعلق محمد ضاحكاً ، فالمتعة التى يحصل عليها الأزواج بحبة الفياجرا زائفة وأشبه (بالضحك على الذقون) لذلك فهى تضرب العلاقة الزوجية وتجعلها محل سخرية إذا تغنى طرفاها بسعادة يعرفان سلفاً مقدار زيفها .

ـ كتب ومراجع هامة للمعرفة الجنسية الصحيحة :

ـ ماذا تعرفين عن الرجال : د/ أيمن الحسينى . مكتبة ابن سينا ـ القاهرة .

ـ تحفة العروس أو الزواج الإسلامى السعيد : محمد مهدى الأستانبولى : دار الفكر العربى .

ـ فنون فى غرفة النوم : شركة ألفا للنشر والإنتاج الفنى القاهرة .

ـ الضعف الجنسى داء له دواء ! ! : د/ أيمن العدوى مكتبة ابن سينا ـ القاهرة .

ـ تحرير المرأة فى عصر الرسالة الجزء السادس : عبد الحليم أبو شُقة دار القلم ـ الكويت .

ـ أسرار المرأة فى الحب والجنس : باربارا دى أنجليس الدار المصرية للنشر .

ـ أسرار للرجال فقط : محمد عبده مغاورى . مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة مصر

ـ مباهج الزواج : الدكتور محمد فتحى : مؤسسة الخانجى بالقاهرة .

ـ الزواج المثالى : الدكتور محمد فتحى : مؤسسة الخانجى بالقاهرة .

كيف تسعدين زوجك : الدكتور محمد فتحى : مؤسسة الخانجى بالقاهرة .

٣.النفور بسبب الأهل وتدخلاتهم :

إن الزواج بالنسبة للمرأة يعنى الأمومة ، والأمومة تعنى العطاء ، والزوجة إن أعطت فليس لأنها تنتظر المقابل الذى يعود عليها ، بل لأنها رمز العطاء ولأنها ترجو وجه الله والدار الآخرة ، إن المرأة يجب أن تقف خلف زوجها وتصبر عليه فى الأزمات وتخفف عنه فى المصائب وتعينه على تجاوز الصعوبات حتى وإن لم يقدرها حق قدرها حتى وإن لم يعرها إهتماماً كافياً فسوف يقدرها ولو بعد حين .

إن الزوجة التى تدخل عش الزوجية الجديد يجب أن تثق فى نفسها وفى قدرتها على إنجاح هذا الزواج وفى إصرارها

على تجاوز أيه عقبات تعترضه فلا ينبغى لها أن تسارع إلى بيت أهلها عند أى خلاف مع زوجها أو مع أسرته المقيمة معه بل تصبر أكثر وأكثروتبحث عن الوسائل الكفيلة بالعلاج والحل ، فالتى تعتاد الخروج من بيت زوجها تدمر جزءاً من بناء بيتها النفسى والوجدانى وتتيح الفرصة لتدخلات الغير ، وغالباً لا تكون فى صالح استمرار العلاقة الزوجية فى نقائها وصفائها .

ولتعلم كل زوجة أن كل بيت فيه مشكلات واختلافات فى وجهات النظر لكن يمكن استيعابها وامتصاصها بالتفاهم والتغاضى فى أحيان كثيرة .

- إن أشهر أسباب هبوب العاصفة الزوجية هو تدخل الآخرين فى تلك الحياة الزوجية سواء كان هؤلاء من الأهل (أهل الزوج - أهل الزوجة) أو الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران سواء كان التدخل بحسن نية أو بسوء نية .

ويعتبر إفشاء الأسرار الخاصة بالحياة الزوجية هو العامل الرئيسى والمباشر لتدخل الآخرين فى الشئون الخاصة جداً بالزوجين فيؤدى ذلك إلى الإساءة لعلاقات الحب والصداقة المتبادلة بين كل من الزوجين والأهل .

فلتثق كل زوجة وليثق كل زوج فى أن معظم الخلافات يمكن معالجتها لو لم يعلن عنها بل إن ما يُعلن على الملأ يستحيل علاجه . . والصدع فى الحياة الزوجية يستحيل رأبه إذا تدخل فيه الآخرون .

٤.النفور بسبب عدم التكافؤ فى المستوى أو العمر:

أرى أن التكافؤ عنصر هام فى قيام الحياة الزوجية السعيدة ، التكافؤ النفسى والأخلاقى . . التكافؤ الاجتماعى . . التكافؤ الاقتصادى ـ نوعاً ما ـ التكافؤ الدينى والثقافى ، فالتباين النفسى والأخلاقى ـ مثلاً ـ سبب ذو أهمية كبيرة فى الخلافات الزوجية لأن أول ما يجب توفره بين الزوجين هو التجانس في النفسية وهذا التجانس هو ولا شك وليد تربية وتوجيه أخلاقى متشابه وإلا فلا مجال لهذا التجانس النفسى بين الزوجين إذا كان كل واحد منهما يعود إلى بيئة مختلفة تربوياً وأخلاقياً .

قد يهمل الرجل مثلاً هذا العامل المهم فى إنجاح الزواج ولكنه لا يلبث أن يصطدم بالحقيقة ويرى بأن هوة كبيرة تفصل بينه وبين المرأة التى أقدم على الزواج منها تحت تأثير نزوة عابرة أو منفعة دنيوية زائلة .

إن الاختلاف النفسى يجعل لكل من الزوجين نظرته الخاصة إلى مختلف الأمور التى تعترضهما يومياً .

وستكون هناك معركة مستمرة بين الاثنين يحاول كل واحد منهما أن ينتصر على الآخر وأن يفرض عليه أخلاقه وسلوكه .

لهذا نرى أن درجةً معينةً من التوافق النفسى والسلوك التربوى يجب أن تتحقق بين الزوجين ، وإلا فالزواج مهدد بزوابع الخلافات .

أما عن التكافؤ الاجتماعى فإنه تابع للتكافؤ النفسى الذى يقوم عليه ويسانده فإنه باختلاف الطبقة الاجتماعية تختلف الأساليب التربوية والأنماط الأخلاقية وبالتالى تستحيل المعاشرة الزوجية أو تكثر الخلافات .

ويأتى التباين الاقتصادى بعد هذا مرتبطاً إلى حد كبير بالسبب الأول للخلافات الزوجية وهو التباين النفسى وارتباطه به عكسى لا طردى فكلما قوى الترابط النفسى والأخلاقى بين الزوجين ضعف تأثيره على حياتهما والعكس صحيح أى كلما ضعف الترابط النفسى والأخلاقى بينهما ازداد تأثيره على حياتهما وكان عاملاً فى هدم الزواج .

ولكن يجب ألا نفهم من هذا الكلام أن هذا السبب قد ينعدم تأثيره على حياة الزوجين مهما كان الترابط تاماً بينهما فتأثيره السلبى قائم ولا يمكن لنا إنكاره .

أمّا ما نعنيه بالسبب الاقتصادى المادى فهو أن يكون أحد الزوجين غنياً والآخر فقيراً أى أن التفاوت المادى كبير بينهما وهو سبب يجب ألاّ نغفله .

والأغلب أن يكون الخطر كبيراً إذا كان التفاوت المادى لمصلحة الزوجة ، ويقل هذا الخطر - إن لم ينعدم - إذا كان التفاوت لمصلحة الزوج ؛ ذلك أن الرجل أقوى من المرأة ويملك من عوامل القوة المعنوية والمادية ما يجعله سيد الساحة وأن المال قد يزيد مهر هذه القوة ولكنه ليس كل شئ فيها .

أما المرأة التى هى أضعف بحكم طبيعتها فقد تستغل قوتها المادية لتعلو على الرجل وتسيطر عليه وتكونَ هى صاحبة الكلمة والسيد المطلق فى البيت فكأن المال هو النافذة التى سمحت لها كى تطل برأسها على الرجل من علٍ فتشمخ عليه وتعامله معاملة القوى للضعيف .

وهناك التباين الثقافى الذى يحد دون تجاوب الرجل مع

المرأة فى حياتهما سواء كان الأفضل الرجل أم المرأة وبالطبع لكل قاعدة شواذ لكن الأغلب الأعم أن التكافؤ الثقافى والعقلى والفكرى عتصر هام لنجاح الحياة الزوجية .

أما بالنسبة للتباين الدينى فقد ينجح زواج رجل مسلم من كتابية وقد يفشل فى حالات أخرى ولكل زيجة ظروفها وتبعاً لشخصية الزوج ومدى تدينه ، أما إذا تزوج رجل متدين من امرأة قليلة الدين فقد تذهب بدينه وتنقصه وقد قال ﷺ : **« ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن »** .

وكذلك إذا تزوجت امرأة متدينة من رجل قليل الدين فإنه فى الغالب سيُنقص دينها وقد جاء فى سورة البقرة توجيه كريم للرجال والنساء باختيار ذى الدين وذات الدين فى الزواج ، يقول سبحانه : **﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾** [الآية : ٢٢١] .

ويقول ﷺ لأولياء الأمور : **« إذا أتاكم من ترضون دينه**

وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » قالوا : يا رسول الله : وإن كان فيه ؟ قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات . وقال عليه الصلاة والسلام للرجال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » فالزوجة المتدينة تكون عوناً على الدين ، فإذا كانت غير متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له . . . المرأة ذات الدين لا تنخدع لهواها ولا ترخص نفسها ولا تهمل شأن بيتها ولا تغفل عن تربية أبنائها وتأديبهم وإصلاح شأنهم ولا عن حقوق زوجها ، فالدين علاج ناجح لشقاء النفوس وواق لها من فساد الخلق والتردى فى مهاوى الرذائل ، وإذا رجعنا للشرع وجدنا أن الكفاءة حق للمرأة ولأوليائها ويندرج تحت ذلك أربع حالات :

١ ـ إذا زَوّجت المرأة الكاملة الأهلية نفسَها من غير كفء بدون رضا وليها فللولى حق الاعتراض على هذا العقد وله أن يطلب التفريق بينهما أمام القضاء لعدم الكفاءة .

٢ ـ وإذ زَوّج الولىُ المرأة الكاملة الأهلية من غير كفء بدون إذنها فالعقدَ صحيح وموقوف نفاذه على إجازتها (موافقتها) .

٣ ـ وإذا زوج الولى المرأة البالغة العاقلة برضاها من رجل دون بحث عن كونه كفؤاً أو غير كفء ثم تبين له أنه غير كفء فليس للولى ولا للمرأة حق الفسخ لعدم الكفاءة .

٤ ـ أما إن اشترط الولى الكفاءة أو كان الزوج (الرجل) قد أخبره وقت العقد أنه كفء ثم ظهر أنه غير كفء فإنه يحق للزوجة ولوليها طلب الفسخ لأن الرضا بالزواج تم على اعتبار أن الزوج (الرجل) كفء [1] .

.النفور بسبب الفرق الشاسع فى العمر:

اكتفت الشريعة الإسلامية ببيان الحكمة من الزواج وبيان غاياته الاجتماعية النبيلة من كونه سبباً لسكن النفس واطمئنانها وقيامها بواجباتها وبناء خلية اجتماعية صالحة تمد المجتمع بنسل صالح قوى كامل ، ولم تضع حداً لفارق السن بين الزوجين ، فذلك مما تتنبه له العقول السليمة وتعيه الإرادة الحكيمة . . .

---

(١) الشيخ عبد اللطيف حمزة (مفتى مصر سابقاً) الكفاءة بين الزوجين ضرورية . أخبار اليوم ٢ فبراير ١٩٨٥ الصفحة السادسة . وراجع كتاب : كيف تسعدين زوجك : د/ محمد فتحى ، الناشر : مكتبة الخانجى ـ القاهرة .

والناس فى هذا مختلفون فكم من متقدم فى السن أكثر قدرة على القيام بواجباته الزوجية وأكثر استعداداً لإسعاد زوجته وملء بيتها رغداً وهناءً من كثير من الشباب ، إلا أن بعض الناس قد تعميهم المصلحة العاجلة عن الضرر الآجل وتهمهم مصالح أنفسهم قبل مصالح أبنائهم وذويهم وقد يرون الثروة والجاه وسيلة للسعادة دون الفتوة والشباب فيقدمون على تزويج بناتهم من شيوخ يعجزون عن القيام بواجباتهم الزوجية ويستحيل أن تكون حياة الفتاة معهم حياة قلب وروح بل حياة أشباح تتهاوى وقبور تفتح لتستقبل أصحابها ، مثل هؤلاء يسيئون إلى بناتهم بالغ الإساءة ، والشريعة - وإن لم تنص بصراحة على منعهم من هذا العمل - إلا أن روحها وأهدافها التى أعلنتها من شرع الزواج تمنعهم منه وتشنع عليهم صنيعه .

ومن المؤسف أن الفتيات أنفسهن قد يكن راغبات فى هذا الزواج للبواعث ذاتها وهذه البواعث غير كريمة فى نظر الخلق ولا مرضية فى نظر الشريعة ، ومثل هذا الزواج لا يعصم الفتاة ولا يحقق لها الهناء والاستقرار . لذلك وجب أن يتدخل القضاء لمنعه عملاً بالسياسة الشرعية فلولى الأمر منع المباح إذا نشأت عنه مفسدة فكيف إذا كان الأمر حراماً ؟!

وبذلك أخذ قانون الأحوال الشخصية فى وجوب تقارب الزوجين فى العمر ونص على أنه إذا كان الفارق كبيراً ولا مصلحة فى هذا الزواج فللقاضى أن لا يأذن به ، ونعم ما فعل ، غير أن القانون لم يحدد للفارق سناً محددة وقد جرت محاكمنا الشرعية على اعتبار الفارق المسموح به ما كان دون العشرين عاماً فإن زاد على ذلك كان غير مسموح به ، وقد يكون هذا مقبولاً على وجه العموم .

ـ تكمن أهمية الحديث عن فارق السن فى المشكلات الناتجة عنه ، والتى نلمسها جميعاً فى حياتنا الاجتماعية ، ففارق السن المناسب بين الزوجين هو ما بين خمس وعشر سنوات لأن الفتاة أسرع نضجاً من الفتى فى نفس العمر ، وفى نفس الوقت يكون الرجل أكثر شباباً من المرأة فى السن المتأخرة ، أى أن الرجل فى سن الخمسين أكثر شباباً من المرأة فى نفس السن ، وفارق السن فى الزواج له أهميته حتى يستطيع الرجل إدارة البيت بخبرته وحكمته .

وفارق السن المناسب يجعل المرأة تقدر زوجها أكثر وتنظر إليه نظرة احترام وتقدير لأنه الأكبر والأكثر خبرة وهكذا تسير السفينة بربان واحد وسط أمواج الحياة الهادرة .

عاقبة الحرام :

قال رجل : « يا رسول الله : أى الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو نداً لله وهو خلقك ، قال : ثم أى ؟ قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قال : ثم أى ؟ قال : أن تزنى حليلة جارك » فأنزل الله تصديقها : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان : ٦٨] ، وقال عز وجل ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [النور : ٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « أتى رجل إلى رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فقال يا رسول الله : إنى زنيت . فأعرض عنه ، ثم رد عليه أربع مرات . فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى ﷺ فقال : أبك جنون ؟ قال : لا . قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم . فقال النبى ﷺ : اذهبوا به فارجموه » .

وفاء زوجة :

عن رجل من بنى أسد قال : أضللت إبلاً لى فخرجت فى طلبهن فهبطت وادياً وإذا أنا بفتاة أعشى نور وجهها نور

بصرى ، فقالت لى : يا فتى مالى أراك مولّها (ساهى القلب ذاهل العقل) فقلت : أضللت إبلاً لى فأنا فى طلبها ، فقالت : أفأدلك على من هى عنده وإن شاء أعطاكها ؟ قلت : نعم ، ولك أفضلهن ، قالت : الذى أعطاكهن أخذها وإن شاء ردهن ، فسله عن طريق اليقين لا من طريق الاختيار ، فأعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن كمالها ، فقلت : ألك بعل ؟ قالت : قد كان ، ودُعى فأجاب فأعيد إلى ما خُلق منه ، قلت : فما بالك فى بعل تؤمن بوائقه (شروره) ولا تُذَم خلائقه ؟

فرفعت رأسها وتنفست وقالت :

كنا كغصنين فى أصل غذاؤهما
ماء الجداول فى روضات جنات

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه
دهر يكر بترحات وفرحات

وكان عاهدنى إن خاننى زمن
ألاّ يضاجع أنثى بعد مثواتى

وكنت عاهدته إن خانــه زمـــن

ألاّ أبوء ببعلٍ طول محيـــاتــى

فلم نزل هكذا والوصل شـيمتنــا

حتى توفى قريباً مـذ سِــينــات

فاقبض عِنانك عمَن ليس يردعه

عن الوفـــاء خــلافٌ بالتحيـات

٥. النفور بسبب الخيانة من أحد الطرفين:

- الغيرة والشك:

الثقة تبقى دائماً أحد الروافد التى تروى الحب وتغذيه ، وتجعل المحب ينام قرير العين سعيداً ومتأكداً من أن حبيبه مهما واجه من إغراءات على وجه الأرض فلن يرضَ بغيره حبيباً . . ولذلك فإن أقصى درجات الحب يواكبها أيضاً أعلى مستويات الثقة .

ومن شرنقة الحب والزواج تخرج الغيرة التى قد تكون أحياناً مقبولة مفيدة تمنحنا إحساساً بالخصوصية وقدراً كبيراً من الأهمية ، وفى أحيان أخرى قد تتمخض عن شعور آخر

مدمر إسمه الشك ، يكون كفيلاً باقتلاع نبتة الحب من جذورها ليحطم معها بيت الزوجية فوق رأسى الزوجين ومن معهما من أبناء .

وفى تحقيق بعنوان « كثير من الشك قليل من الحب »(١) رصدت مجلة زهرة الخليج بعض الحالات للشك والغيرة واستطلعت رأى البعض فى هذه القضية الهامة التى تلقى دائماً بظلالها على حياة الزوجين .

ـ شك لا ينتهى :

فى الحالة الأولى يقول صاحبها (عبد الله . ج) : أصبحت لا أطيق الجلوس فى المنزل بسبب زوجتى ، الشك ، أصبح السمة المتميزة لعلاقتنا الأسرية كل كلمة أو تصرف لابد وأن يكون وراءه شئ أو له معنى خفى . . لا أصدق ما وصل إليه حال أسرتنا .

كانت هى الصديقة والحبيبة اخترتها بعقلى وكانت نعم الزوجة ، معاً اجتزنا كل الصعاب ودارت بنا عجلة الحياة وأنجبنا الأولاد وزادت المسؤليات والأعباء وتفرغت هى لرعاية الصغار بينما تحملت أنا مسئولية تأمين المستقبل لهم

---

(١) العدد ٩٠٢ ، ٦ يوليو ١٩٩٦م : تحقيق سامية عبد الحميد .

بالعمل ليل نهار . وبعد أربع سنوات لا أدرى ماذا حدث بالضبط ؟ . . أصبحت زوجتي كمجرد عاملة نظافة للمنزل والحياة الأسرية أصبحت مملة ولم يعد أمامي إلا العمل أو الهروب إلى الأصدقاء لقضاء أوقات معهم ، لكن زوجتي لم تقتنع بهذا وتصورت أنني أسير على طريق الخيانة وتحولت الحياة إلى جحيم فكل تصرفاتي مشكوك فيها .

ضغطت على نفسي وحاولت أن أعود إلى سابق عهدى معها وحرصت على الجلوس في المنزل فترات طويلة في محاولة لإعادة الثقة والتفاهم بيننا ، فماذا كانت النتيجة ؟! .

صور لها خيالها أن المرأة التي أقمت معها علاقة تركتني وبدأت تسأل من هي وما مدى معرفتك بها و . . و . . ! اتهامات لا تنتهي ، لا أصدق أن هذه الزوجة التي أحببتها ، هل وصل بها الأمر إلى هذا الحد ، تتصور أوهاماً وتحولها إلى حقائق وتصدقها . . ويتساءل صاحبنا . . من المسئول عما وصل إليه حال زوجتي ؟ . . أقسم بأنني لست السبب ، وتصرفاتي كلها طبيعية ، ولم أفعل ما أخجل منه . . ترى هل السبب هو الفراغ الذي أصبحت تعيش فيه بعد أن تركت عملها وتفرغت للأولاد ! . . هل السبب كثرة مشاهدتها الأفلام والمسلسلات وتأثرها بها . . ؟ كل ما أعرفه أن

محاولاتي لنزع الشكوك من قلبها فشلت والله سبحانه وحده يعلم ـ كيف ستكون النهاية ! .

ـ زوجتي السبب :

أما صالح . . فحكايته مختلفة . . فهو من البداية يرجع سبب شكوك زوجته في تصرفاته إلى كونها اجتماعية أكثر من اللازم ، بيتها مفتوح ٢٤ ساعة للصديقات ورنين الهاتف لا ينقطع ، تلك الجارة تحكي لها مأساتها وتلك تستشيرها في مشكلة زوجية وهذه تسألها النصيحة . . كل يوم على هذا المنوال . . والسوالف لا تنتهي .

ويواصل صالح : في البداية كانت زوجتي تحكي لي معاناة الصديقات وتستشيرني وتستمع لرأيي ـ لكنها بدأت تنظر إليّ بعين الشك خاصة عندما أدافع عن زوج صديق أبرر له مواقفه وتحول الأمر بالنسبة لي إلى مأساة عندما وقفت بجانب صديق تزوج للمرة الثانية . . منذ هذا اليوم غاب التفاهم بيني وبين زوجتي وتطور الأمر إلى شكوك لا حدود لها ، وينتهي كل حوار بيننا إلى عبارة مكررة تعيدها على مسامعي كل يوم « طبعا كل الرجال مثل بعضهم ولابد أنني أعيش في غفلة من أمري . . قد تكون على علاقة بواحدة ومن يدري يمكن تكون متزوجاً بأخرى ولا أدري » !

ويستطرد قائلاً : أحب زوجتى وأسرتى ورغم أن كل تصرفاتى عادية ولم تتغير سلوكياتى مطلقاً إلا أننى مقتنع بأن كثرة الحكايات التى تسمعها زوجتى من صديقاتها وما يواجهن من مشكلات زوجية انعكست عليها فى اللاشعور وأصبحت تعتقد أن كل الرجال يسيرون على نفس النمط . . فشلت كل محاولات إعادة الثقة ، وضغوط العمل الكثيرة جعلتنى أتركها تتحدث ولا أدافع عن نفسى .

ـ حماتى بداية طريق الشك :

إسماعيل . . حكايته مختلفة ، يقول : زوجتى ممتازة لكن أمها جازاها الله هى السبب . . تطاردنا كشبح ولا يتحرك لسانها إلا بالشك وانعكس الحال على زوجتى التى أصبحت تردد كلام أمها دون انقطاع ويقول : طبيعة عملى تحتم علىّ الانتقال من مكان إلى آخر بحكم ارتباطاتى كما أن اتصالاتى كثيرة وهنا تكمن المشكلة التى أدت إلى كثرة الشد والجذب بينى وبين زوجتى حيث اندلعت الخلافات وضاقت النفوس ، طلبت منها أكثر من مرة أن نحكم العقل لكن للأسف إزداد الأمر سوءاً ، ووصلت بغيرتها إلى حد الجنون والطامة الكبرى تقع إذا لم أتصل بها بمجرد وصولى

المكتب تلاحقنى بالتليفون وتسأل السكرتيرة التى اختارتها بنفسها عن خط سيرى أين ذهبت ومع من ومنذ متى ! . . وبعدها تبدأ المعارك التى لا تنتهى . . أصبحت الأمور لا تطاق ، تتدخل فى شئونى الخاصة والعامة وتلاحقنى بنظراتها أينما ذهبت . . ومع رنين الهاتف فى المنزل تكون أسرع من البرق إليه ولا أستطيع أن أصف ما يحدث لو أغلق أحد الخط قبل أن تعرف المجيب ، تثور ثورتها . . وهكذا تستمر أيامنا ! .

ـ الرجال أيضاً يشكون :

وكما تغار المرأة وتظهر غيرتها فى صورة شك من أى تصرف للزوج مهما كان بريئاً فهناك الكثير من الرجال أيضاً يحولون حياة زوجاتهم إلى جحيم من الشك والغيرة .

هند زوجة منذ أكثر من أربعة عشر عاماً وأم لأربعة أبناء ضحكت عندما سألتها رأيها فى الزوجة التى تشك فى تصرفات زوجها مهما كانت هذه التصرفات بسيطة وقالت : أنا عندى الوضع معكوس . . زوجى هو الذى يشك فى تصرفاتى ، ويسألنى باستمرار أين كنت ؟! . . ومن كان على الهاتف . . وأسئلة أخرى كثيرة لا تنتهى . . أتضايق

وأتعصب وأنا أشعر بالمراقبة المستمرة . . أتمنى أن أقول لزوجى هذا أسلوب خطأ ، وكثرة الأسئلة تسبب المشكلات ! . . ولكن أحيان كثيرة أقنع نفسى بأن أسئلته لا تنبع عن شك ولكن عن حب وغيرة .

وعائشة تعترف بأنها زوجة غيور وتقول : لا توجد امرأة على وجه الأرض لا تغار لكن لابد أن أعترف بأن هناك غيرة مدمرة ، وغيرة أخرى حارة تجعل للحياة طعماً ، أرفض الغيرة التى لا حدود لها لأنها تعنى فقدان الثقة بين الزوجين .

أما عايدة فتعترف بأنها تشك فى تصرفات زوجها وتقول : هو الذى أجبرنى على ذلك ، تصرفاته كلها مريبة ولم يكن أمامى إلا مراقبته . . نعم كنت أرسل السائق خلفه لأعرف أين ذهب ومع من ؟! وكان شكى فى محله . . لقد استأجر شقة خاصة يقضى فيها أوقاتاً مع أصدقائه . . وكانت المواجهة مثمرة . لقد وعدنى بأن يعود إلى سابق عهده وأقسم بأن الشقة كانت للهو البرئ فقط . سامحته لكن هذا لا يمنع أن الخوف سيطر علىّ أحياناً ولن أتنازل عن مراقبته بين فترة وأخرى .

ورغم أن الغيرة والشك من سمات المرأة إلا أن الكثيرات

منهن يرفضن هذه السلوكيات التي تعني فقدان الثقة مما قد يؤدي إلى هدم حياة كاملة .

- لماذا الشك؟

علياء الخميري مديرة مركز الصناعات البيئية واليدوية تتساءل : لماذا الشك والقلق ؟! . . يجب على المرأة أن تكبر عقلها وتتصرف بحكمة ، الحياة الزوجية أساسها الثقة المتبادلة وإذا انعدمت الثقة تبدأ المشكلات .

التفاهم والمرونة من القواسم المشتركة والضرورية لنجاح تلك المؤسسة الاجتماعية التي تقوم على المودة والرحمة ، وأعتقد أن وجود أرضية مشتركة للحوار والتفاهم والصراحة مع الوعي الكامل لدور كل من الزوجين يشطب من قاموس حياتهما أي شك أو ريبة .

- الغيرة المدمرة:

وتطرح صافية درويش مسئولة العلاقات العامة بالاتحاد النسائي سؤالاً : لماذا تعكر المرأة صفو زوجها وتنكد عليه في كل طلعة خاصة إذا كانت تعرف انشغاله وخط سيره! . .

وتقول : أي زوج سيكون صباحاً في الدوام وبعد الظهر عادة ما يكون لديه مكتب أو شركة يعمل بها وأحياناً يلتقي

أصدقاءه ! . . لماذا إذن تشك زوجتك . . بالتأكيد فإن تصرفها هذا يأتى بنتيجة عكسية . . وكما يقولون « كثرة الدق تفك اللحام » وتستطرد . . من المؤكد . . فمثل هذه الزوجة ستجعل زوجها يمل منها . . لا مانع من الغيرة ولكن ليست تلك المدمرة التى تحاول من خلالها الزوجة السيطرة على زوجها .

ـ كل ممنوع مرغوب :

وترى نسمة ابراهيم زوجة وأم منذ عشرين عاماً . . أن كل ممنوع مرغوب ولهذا فلابد أن تعطى الزوجة الثقة لزوجها وتجعله هو الذى يراقب نفسه ويحاسبها ، فالغيرة والشك سلاحان قاتلان للعلاقة الزوجية ، والزوجة الذكية تتغاضى عن الكثير من سلوكيات الزوج حتى تحافظ على حياتها .

وتروى نسمة موقفاً حدث لها شخصياً . . عندما سافر زوجها مدة طويلة ، وتسلّمت هى بدلاً منه فواتير الهواتف الخاصة به وبمكتبه . . ماذا فعلت ! تقول : كان بإمكانى أن أفتحها أتعرف على أرقام الهواتف التى بها لكنى لم أفعل ، لماذا أخلق بيننا شيئاً من لاشئ وعندما عاد أعطيته إياها كما هى مغلقة ويكفينى نظرة العرفان التى رمقنى بها لثقتى فيه .

ـ تحكيم العقل:

أما فوزية خميس (موظفة) فتدعو المرأة أن تحكم عقلها لأن الغيرة مدمرة لأن كثرة السؤال والإلحاح على الزوج تؤدى إلى نتائج خطيرة وتقول : المرأة التى تشك فى زوجها لو ارتدى ملابس أنيقة أو تعطر وهو يغادر المنزل ، امرأة تعانى من الفراغ وفقدان الثقة فى نفسها أولاً وقبل أى شىء . . ولابد أن تعرف أن كثرة الشك تبعد المسافات بينهما . . وبالتالى تنهار الحياة الزوجية .

على الزوجة أن تعامل زوجها بثقة وتشعره بأنه إنسان مثالى وكامل لا يتصرف بطريقة خاطئة مطلقاً فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تضمن بها زوجها وحبه وإخلاصه .

ـ لا مانع من السؤال:

ولا مانع عند صفاء سحور (موظفة بالاتحاد النسائى) من أن تسأل الزوجة زوجها أين ذهب أو مع من ! . . أو لماذا يهتم بمظهره هذا اليوم بالذات وغيرها من الأسئلة العابرة التى يحتمها موقف بعينه ، لكن على أن يكون ذلك السؤال من باب الفضول فقط وليس من منطلق الشك والغيرة .

وترفض فاتن السيد (محاسبة بالاتحاد النسائى) المبدأ

من أساسه وتقول : إن الزواج الناجح يعتمد أولاً وأخيراً على الثقة المتبادلة واتفاق الزوجين على الخطوط العريضة للحياة المشتركة . . والسعادة ليست لغزاً ، ولابد أن تدرك المرأة أنه إذا غاب التفاهم والثقة فقدت العلاقة خصوصيتها بين الشريكين .

ـ الرجل هو السبب :

وتوجه مريم عبد الله الاتهام إلى الرجل الذى يصل بزوجته إلى هذه المرحلة من الشك ويجعلها تسأل أين ذهب ومع من ؟! . وترى أنه إذا سألت الزوجة زوجها فتصرفاته بالتأكيد هى السبب ، بعض الرجال يتصور أن الزوجة لا تعنى شيئاً ، وهم فقط الذين من حقهم الخروج والدخول على مزاجهم دون اهتمام بالزوجة أو البيت وهذا بالتالى يدفعها إلى أن تلجأ إلى أى اتجاه آخر ويكون الرجل هو السبب . لابد أن يكون هناك ترابط بين الزوجين وتفاهم وتستطرد قائلة : والمرأة أيضاً مسئولة عن بعض تصرفات زوجها إذا تركته من البداية يفعل ما يحلو له هنا ستبدأ مؤشرات الفشل ولابد أن يتحمل الطرفان المسئولية ويكون بينهما حوار مشترك وتفاهم وحب .

ـ أزمة ثقة:

وعلم النفس له رأى فى مثل هذه المواقف التى تحدث فى العديد من البيوت وقد تكون سبباً فى هدم الحياة الأسرية ، فيقول الدكتور مدحت الصباحى الطبيب بمستشفى الطب النفسى فى أبو ظبى : لابد أن نتفق أولاً على أن الغيرة أسلوب دفاعى ناتج عن عدم الثقة فى النفس ومشاعر غير ناضجة وحب تملك ، والشخص الغيور أو الشكاك يعانى من انفصام . . والغيرة إما طبيعية أو مرضية ، الأولى وكما قلت سابقاً ناتجة عن عدم ثقة الشخص فى نفسه وفى شريك حياته فإذا سأل أحد الطرفين الآخر وكانت نبراته تحمل فى طياتها الشك ، فإن ذلك قد يلفت انتباهه إلى أمور كانت فى الأساس لا تعنيه ولنأخذ مثالاً على ذلك . . الزوجة التى تسأل زوجها عن سر اهتمامه بإحدى صديقاتها وتكرر السؤال ، ماذا سيحدث ؟! . . تلقائياً فإن ذلك سيلفت انتباه الزوج إلى تلك المرأة وقد تتحول الأوهام إلى حقيقة .

ويواصل الدكتور مدحت حديثه قائلاً : أما الغيرة المرضية فإنه لا يستطيع تشخيصها إلا الطبيب ، فقد تكون ناجمة عن أعراض مرضية أخرى مثل بعض الأمراض النفسية وهذه تحتاج علاج سلوكى أو دوائى .

وينصح الدكتور مدحت الصباحى الزوجين بضرورة التفاهم والمصارحة ومواجهة أى مشكلة وعلاجها بسرعة حتى لا تتفاقم ويصل الحال بهما إلى أزمة ثقة ، لو سألت الزوجة زوجها فعليه أن يجيبها بصراحة ويبسط الأمور ، ونفس الشئ بالنسبة للزوجة التى يسألها زوجها .

ـ الكذب قبل الحب أحياناً (١) :

نتائج مثيرة جاءت بها دراسة أمريكية قامت بها جامعة كاليفورنيا مؤخراً حيث أظهرت بعد استطلاع رأى آلاف الأزواج والمخطوبين الشباب أن الصدق والصراحة الكاملة فى العلاقات العاطفية يمكن أن يؤديا إلى انهيارها . . طبعاً المقصود هنا لم يكن التحريض على الكذب فى الحقائق والسلوكيات ، ولكن الدراسة أوصت بعدم الإفصاح عن المشاعر السلبية خاصة فيما يتعلق بالشكل ودرجة الجمال ، وأيضاً الانطباعات الإيجابية تجاه الآخرين ووضعها فى مقارنة مع الطرف الآخر .

وعند سؤال بعض الشباب ممن هم فى نفس ظروف الذين تم إجراء الدراسة عليهم : هل تلجأون للكذب بالفعل

---

(١) مجلة الشباب المصرية العدد ٣٤٦ / مايو ٢٠٠٦م .

لتحاشى الخلافات وسهام الشك والغيرة والاتهامات وبدافع من المحافظة على الحب وراحة البال . . كانت تلك هى إجاباتهم :

تقول سالى فؤاد : زوجى شكاك وغيور جدا لدرجة أنه يقوم بتفتيش حقيبة يدى من ورائى ، كما أنه كثيراً ما يعبث فى أرقام ورسائل الموبايل ليعرف كل الذين يتصلون أو أتصل بهم وبسبب هذه السلوكيات كثيراً ما تحدث بيننا مشاجرات وخناقات بدلاً من أن تشملنا حالة من الرومانسية والحب المتبادل والذى كان بيننا قبل الزواج . . وبصراحة غيرة زوجى الشديدة يمكن أن تدفعنى لأن أكذب عليه حيث لا توجد بيننا ثقة متبادلة !!

أما عادل سليم فيقول : بسبب قلة الثقة تتجسس خطيبتى علىّ لدرجة أنها تفتش سيارتى بحثاً عن حتى منديل أو رائحة عطر حريمى ولكنى أعتقد أن غيرتها هذه هى دليل على حبها الشديد لى ! ولكنى أحافظ على حالة الحب هذه فأنا أتجمل كثيراً فى حوارى معها كما أقوم بصرف نظرها تماماً عن بعض الأمور التى تقوم بإثارتها بدافع الغيرة .

وترى فاطمة أنه من الأجدى لاستمرار الحياة الزوجية أو العاطفية بشكل عام أن نقوم بإخفاء بعض الحقائق أو

الأحداث ، فمن الممكن أن تتسبب كلمة صدق . . لم يكن من الضرورى ذكرها . . فى أزمة تهدد مستقبل أسرة بأكملها .

يقول وائل حسين : أكذب فى أحيان كثيرة لأن زوجتى من النوع الغيور جداً لذلك أتجنب الحديث معها عن علاقتى بزملائى وزميلاتى فى العمل . . والمشكلة أنه من عادة زوجتى أن تسألنى يومياً فى الصباح والمساء عن كل شئ أتعرض له فلا أجد مهرباً من هذه الأسئلة إلا بالكذب والتأليف .

وترى شيرين علام أن اضطراب الحياة الزوجية بسبب الشك أو الغيرة والكذب يتوقف إلى حد كبير على نوعية العلاقة التى تربط بين الزوجين فإن كان التفاهم والثقة هما جسر التواصل بينهما فإنه يستحيل أن يشك أى واحد منهما فى الآخر وستشهد حياتهما مقداراً عالياً من الأمان والاستقرار العاطفى ولكن ذلك يرتبط أيضاً بالمصداقية وعدم الخيانة أو الخداع ، ومادامت علاقة الطرفين قوية ولا تتأثر بأى حادثة أو موقف عارض فإنه يجب أن يسود الصدق فى كل الأمور والإفصاح عن كل شىء .

وتضيف علياء سامى أن الأزواج أو المخطوبين هم شركاء فى كل شئ ومن هنا ليست هناك خصوصيات فى

علاقتهما فيجب أن يصارح كل منهما الطرف الآخر ويشركه فى مشكلاته وهمومه وعلاقاته ولكن يجب أن يكون هناك قدر من التحفظ فى مصارحة الرجل لزوجته عن شىء معين . . بل ويحدث أن بعض الأزواج يقومون بالتفاخر بعلاقاتهم النسائية فى العمل مثلاً أمام زوجاتهم من أجل إشعال نار الغيرة على سبيل (الهزار) ولكن هذا غير مقبول فقد يؤدى لزرع الشك فى قلب الزوجة التى سرعان ما تغير من نمط سلوكها وطريقة تعاملها مع زوجها .

ويقول محمد أمين : الرجال هم الأكثر قدرة وجرأة على المراوغة فى الحياة الزوجية فنحن فى مجتمع شرقى مازال يحتفظ بقيمة « سى السيد » الذى يستطيع أن يتلاعب بقلوب الفتيات على الرغم من أنه متزوج أما المرأة أو الفتاة فهى مغلوبة على أمرها لذلك لا تملك سوى الشك والغيرة على زوجها الذى لا يقدر هاتين القيمتين فهما « توابل الحب » !

ـ نموذج لامرأة محترمة ورجل غير محترم :

كانت تنتفض من الغضب ، وهى تطلبنى راجية ، أن (تفضفض) أمامى عما يعتمل فى صدرها ، كعادتها حين تكون فى مأزق ، أو حين تتصدى لمعركة من المعارك الكثيرة

فى الوظيفة ، إنها موظفة مرموقة فى شركة دولية ، تعمل فى حقل التأمين ، وهى تفخر دائماً بأنها وصلت إلى هذا المنصب بـ (ذراعها) وليس بالتزلف أو باستعمال فيتامين (واو) أى الوساطة !

ما سبب انتفاضة السيدة رقية ؟ قالت : إنه ذلك الحقير الذى يعمل مديراً ، فى أحد المصارف العربية الكبرى . لقد التقته فى ندوة تخص العمل ، ووجدت فيه رجلاً نشيطاً ، يفهم فى تفاصيل المهنة ويجيد العثور على حلول للمشكلات ، ويمتلك موهبة التفاوض ، التى تزيل العقبات بين أطراف النزاع ، وتمهد الطريق للتفاهم الذى يرضى الجميع .

فى آخر الندوة ، حياها بحرارة وأشاد بكفاءتها ، قائلاً لها : « أستاذة رقية . . لقد تعاملتُ مع رجال كثيرين فى حقل الاقتصاد ، لكننى بصراحة لم أواجه شخصاً فى مثل كفاءتك » . أسعدها الثناء ، وهى تعبّر عن سعادتها ، بعبارة مازالت مطبوعة فى بالى . إذ تقول : « لقد سقى نبتة النرجس المزروعة فى أعماقى ، كلنا يا صديقى نرجسيون بدرجة أو بأُخرى » .

ولهذا ، فإنه عندما طلب منها عنوانها الإلكترونى ، لم

تتردد في فتح حقيبتها وإعطائه بطاقتها ، التي تحمل العنوان والهواتف ، في البيت وفي العمل ، كانت تتوقع أن يستمر التواصل على الصعيد المهني والوظيفي ، ولم تتوقع أبداً ما حصل بعد ذلك . ما الذي حصل ؟

« نهار الجمعة الماضي ، بقيت وحدي في البيت عصراً ، إذ ذهب الأولاد وأبوهم إلى النادي ، للعب كرة المضرب ، ثم رن جرس الهاتف ، وسمعت صوت ذلك الرجل ، يحييني ويسأل عن أخباري . والحق أنني فوجئت ، لأنه يكلمني في البيت ، ومع هذا فقد رددت تحيته بأحسن منها ، وسألته عن أخبار عمله . ورحنا نتبادل المجاملات مدة دقيقة ، حين ران صمت قصير . وإذا بصوته يتحول فجأة إلى ما يشبه الفحيح في هذه اللحظة ؟ » وسألها : ماذا تلبس ؟

صُعقت السيدة رقية ، حيث أنها ارتبكت ولم تعرف كيف تواجهه بشكل حاسم . اصطنعت الهدوء وردت عليه بأنها مثل أي ربة بيت ، يوم الجمعة ، ترتاح من هموم الأناقة ولوازم المظهر ، لكنه ازداد صفاقة وراح يطلب منها أن تصف له ، بالظبط ، ما تلبس !

صرخت فيه : « هل أنت في وعيك ؟ ألا تخجل من هذا

الكلام ؟ » . كانت تريد أن تصفق السماعة فى وجهه ، لكنها أبت أن تبدو مهزومة أو خائفة . وراحت تقول له أن ظنها قد خاب فيه ، وإنها لن تسمح له ، بعد الآن ، بأن يتصل بها ، بل أن يمزق بطاقة عناوينها . بعد ذلك ، أقفلت السماعة وهى تمسح وجهها من العرق البارد ، الذى غزاها من فرط الغضب .

تسألنى رقية : « هل الذنب ذنبى ؟ إننى أراجع عشرات المرات كل كلمة ، وكل حركة بدرت منى أثناء الندوة ، فلا أجد ما يجعل منى مطمعاً لأمثال هؤلاء الرجال المرضى ؟ » .

وأقول لها : « لأنه من هؤلاء المرضى ، فإن الذنب ليس ذنبك ، يا سيدتى المديرة . وأنا أفهم تماماً ثورتك ، لقد طعنك ، لا فى أنوثتك أو كرامتك ، وإنما فى ذكائك وثقتك بنفسك ، وتلك هى الطعنة اللئيمة . . خيّبه الله » .

زوجتى تخوننى بلسانها :

« أكثر النساء كلاماً أقلهن ذكاءً » بهذه العبارة استهل أستاذ اللغة الإنجليزية مروان حديثه « لقد طلقت زوجتى منذ خمس سنوات لأنها خانتنى بلسانها الثرثار إلى درجة لم أعد أحتملها » .

لم يسامح مروان طليقته إلى اليوم « أساءت إلى كرامتى وجرحت مشاعرى عميقاً وبِتُ لا أطيق رؤيتها أو سماع صوتها » .

سمير - مهندس ميكانيكى - فى منتصف الثلاثينات من عمره قصة أخرى لم تحمل له السعادة يوماً . . هو أيضاً تزوج بامرأة عاش معها سنتين قبل أن ينفصلا بسبب فضحها أسراره وعيوبه أمام أهله ومعارفه من دون اكتراث أو اهتمام لكرامته « كنت أحبها ولم أدرك أن اهتمامى الزائد بها وبرغباتها سيهشم دورى كرجل ، صورتْ للمجتمع أنى ضعيف الشخصية انهزامى وأنها تسيطر علىّ وتحركنى بمشيئتها . . آمنتُ بحب يتجدد كل يوم وليلة وبأننى يجب أن أغفر لزوجتى هفواتها الصغيرة كى أتمتع بفضائلها الكبيرة لم تستحقنى يوماً ، كان يجب أن أضع حداً لتصرفاتها الخائنة فتركتها دون عودة » .

ويقول أ . د / ونيس إبراهيم : « تتمتع الثرثارة بذكاء محدود فكيف نلومها وهى لا تعى أنها بكلامها على زوجها تسئ إلى نفسها وتدنى من قيمتها . . ينجح الزواج ويزدهر عندما يرفع أحد الزوجين من شأن شريكه ويفشل عندما يعتبر أحد الشريكين أنه أهم من الآخر . . يجب إبقاء

الأسرار فى مكانها الطبيعى داخل البيوت وبذلك نتفادى اتجاه العلاقة إلى المجهول . . إن العلاقات الأسرية تُبنى بالصبر والحكمة ولاشئ يزعج الرجل بقدر التفكير فى أنه أساء اختيار الزوجة الصالحة فى وقت لا يشغل تفكيره إلا أولاده وبيته قبل أن يقدِم على قرار متسرع أو ظالم » .

ـ نور للقلب :

العين هى الدرة الثمينة التى لا تقدر بثمن وقد سماها الله تعالى الحبيبة والكريمة كما جاء فى حديث رواه البخارى أن النبى ﷺ قال : « أن الله عز وجل قال : إذا أخذت كريمتى عبدى ـ وفى رواية حبيبتى عبدى ـ فصبر واحتسب لم أرض ثواباً دون الجنة » .

والعين من أعظم أسرار قدرة الخالق عز وجل فهى برغم صغرها بالنسبة إلى كل المخلوقات من حولها فإنها تتسع لرؤية كل هذا الكون الفخم بما فيه من سماوات وأراضين وبحار وكل المخلوقات .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هل فى غض البصر عن المحرمات أثر على صحة الإنسان ؟

يقول الدكتور محمد السقا عيد ـ أخصائى جراحة العيون

ـ ثبت علمياً بالأبحاث والدراسات الطبية أن تكرار النظر بشهوة إلى الجنس الآخر وما يصاحبه من تولد رغبات جامحة لإشباع الغرائز المكبوتة كل ذلك يفضى بالشخص إلى مشاكل عديدة قد تصل إلى إصابة جهازه التناسلى بأمراض وخيمة مثل : احتقان البروستاتا أو الضعف الجنسى وأحياناً العقم الكلى ، كما أثبتت بعض الدراسات الاجتماعية فى المجتمعات الغربية أن عدم غض البصر يورث الاكتئاب والأمراض النفسية ، وأن التفسخ الأخلاقى والتحلل الجنسى فى تلك المجتمعات إنما هو بعض من نتائج عدم وجود دستور دينى أو قيود أدبية أخلاقية ينظم عمل هذه الحاسة النبيلة ويرشد استخدامها فى الحياة بما يتوافق مع صحة الإنسان البدنية والنفسية .

فحاسة النظر أقوى الحواس على الإطلاق من ناحية الاستجابة للإثارة الجنسية ومعنى أن يستعملها الإنسان دون وعى ولا نظام معناه أن يبدد توازنه النفسى وبلا طائل يجنيه سوى توهم المتعة بما يرى .

ولغض البصر ثمرات كثيرة منها :

١ ـ أنه امتثال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ .

٢ ـ أنه يورث القلب أنساً بالله .

٣ ـ أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم إلى القلب .

٤ ـ أنه يقوى القلب ويفرحه ويكسبه نوراً ويورثه ثباتاً وشجاعة وقوة وفراسة صادقة .

٥ ـ أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب .

٦ ـ أنه يفرغ القلب للفكر فى مصالحه والاشتغال بها .

٧ ـ أنه يقوى العقل وينميه .

٨ ـ أنه يخلص القلب من آلام الحسرة .

٩ ـ أنه يخلص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة .

١٠ ـ أنه يفتح للعبذ طريق العلم ويورث القلب محبة الله والحكمة .

فغض البصر واجب على من لم يقدر على الزواج وواجب على من تزوج أن يستعف بزوجه ويصون بصره عن الحرام حتى لا يفتح على نفسه مدخلاً من مداخل الشيطان وقديماً قال الشاعر :

كل الحوادث مبدأها من النـــظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثاً قال آخر :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

من أجل ذلك قال جلّ شأنه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] .

فإذا سرنا على هذا النهج نكون من زُمْرَة الصالحين الأطهار والمؤمنين الأبرار .

رُوى أن سليمان بن يسار خرج إلى الحج وكان وسيماً جميلاً وكان معه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فذهب رفيقه إلى السوق ليبتاع شيئاً وبقى سليمان فى الخيمة وحده فبصرت به أعرابية فراقها جمال وجهه فذهبت إليه وجلست بين يديه وأسفرت عن وجهها وكأنه فلقة قمر فقدم إليها طعاماً ظاناً أنها ما جاءت إلا لجوعها ولكنها قالت : لا أريد طعاماً وإنما أريد ما يكون من الرجل لأهله ، فقال لها : جهزك إبليس لعنه الله ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب . . فلما وصل إلى سعيه وطوافه وانتهى منهما أخذته سنة من النوم فرأى رجلاً وسيم الطلعة طيب الرائحة فقال لهَ : من

أنت ؟ قال : أنا يوسف ، قال : يوسف الصِّديق ؟ قال : نعم ، قال : إن شأنك مع امرأة العزيز زليخا لعجيب ، فقال له يوسف عليه السلام : شأنك وشأنك صاحبة الأبواء أعجب .

وكما تكون العفة فى الرجل كذلك فى المرأة ومردها دائماً إلى الزاجر الدينى والوازع الخلقى والتربية المنزلية ، وإنما يعف الإنسان رجلاً كان أو امرأة متى كان له من دينه زاجر ومن نفسه واعظ ومن خلقه رادع وحسب العَف رضى الله عنه ما عاش ومثوبته له بعد أن يموت وأنه من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج : ٢] .

- العفة والاستعفاف :

العفة هى كف النفس عن المحارم وعما لا يجمل بالإنسان فعله ومنها العفة عن اقتراف الشهوات المحرمة ، ويأتى فى مقابل العفة : الدناءة والخسة فى كثير من صورها .

والعفة مطلوبة من المتزوج وغير المتزوج وإن كانت فى حق المتزوج آكد ، ولذا كانت العقوبة عليه أشد وفى الحديث

« لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » متفق عليه .

يقول الدكتور باجيه « عفاف الشباب يقى صحتهم عقلهم وقد دلت التجارب على أن ضبط النفس فى الإنسان والحيوان عن الشهوات عامل قوى للنماء والصحة » كما أن العفة فى السبيل لحياة زوجية سعيدة حيث يقدم عليها الزوجان بطهارة ونقاء .

ثمرات وفوائد العفة :

ـ النجاة من الفواحش : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] وذلك أن النظرة والمحادثة والخلوة والملامسة أبواب للزنى فمن فتحها فسيصعب عليه النجاة من الزنا .

ـ النجاة من أضرار الفواحش : فهناك العقوبات الربانية لمرتكب الفواحش من سخط الله عليه وإبعاده من رحمته وعقابه فى الآخرة بعد فضحه على رؤوس الأشهاد وإقامة الحد الشرعى عليه وهناك الأضرار الاجتماعية والنفسية والمرضية والخلقية .

ـ طهارة الفرد ونقاء المجتمع : فالعفيف سيعيش فى دنياه فى ظلال الرحمة الإلهية والدعاء الملائكى واشتياق الحور العين له كما أنه سيحيا حياة اجتماعية مستقرة بالسمعة الطيبة والذكر الحسن والزواج السعيد والمجتمع المتماسك المحصن ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة بأنس الطاعة وبهجة القرب من الله ولذة العبادة وحلاوة الإيمان ، وسيكون فى مأمن من تلك الأمراض الخبيثة كما أنه سيسعد ويسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة بحيائه وعفافه وحشمته وتقواه وستره . . فقل لى بربك . . ألا يسعد المجتمع بأمثال هذا ؟!

ـ العفيف فى ظل الله : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين » متفقٌ عليه .

ـ الاستعفاف فى سبيل الزواج المثالى : فإن الشاب الذى أرخى العنان لشهوته وتعود على تدنيس الأعراض وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد لن يطيق صبراً عليها وإن تزوج إلا أن يتوب ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته ، وكذلك الفتاة التى خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبة نصوح .

أما أهل العفاف من الرجال والنساء فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين ويرى كل منهما فى الآخر الحب المخلص والمنحة الأبدية وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر حتى النهاية .

وقد ذكر صاحب كتاب « المعرفة الجنسية » حقيقة طول فترة السعادة الزوجية لذوى العفة من الرجال فقال :

« لقد عرفت بحكم معرفتى شيوخاً ناهزوا الخامسة والسبعين لم يعتر قابليتهم الجنسية وهن ، ولما سألتهم عن سر هذه الحيوية العجيبة ردوا بأن احتفاظهم بنشاطهم يرجع إلى العوامل الآتية :

١ ـ لم يدعوا العادة السرية تتملكهم وهم فتيان .

٢ ـ عندمت بلغوا مبلغ الرجال صانوا أنفسهم فما تعرضوا فى حمأة الرذائل .

٣ ـ بعد الزواج لزموا حد الاعتدال فما فرّطوا فى قواهم ولا اختزنوها مدة طويلة .

٤ ـ لم يستعملوا المخدرات والكحول والدخان .

٥ ـ ما لجأوا قط إلى المقبلات الصناعية وما قربوا نساءهم إلا وهم فى صحة جيدة .

ـ العفة صون للأسرة : فهى الجزاء العادل لمن حفظ أعراض الناس أن يحفظ الله عرضه أما من عبث بعرض غيره فإن جزاءه من جنس عمله حيث سيجد من يعبث بعرضه وشرفه كما قال المثل : « دقة بدقة وإن زدت زاد السقا » وكما يقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

عفوا تعف نساؤكم فى المحرم

وتجنبوا ما لا يليق بمسلم

من يزنِ فى بيت بألفى درهم

فى بيته يُزنى بغير درهم

من يزنِ يُزْنَ به ولو بجداره

إن كنت يا هذا لبيباً فافهم

إن كل من خانوا زوجاتهم أو معظمهم يجدون أن خيانتهم هى الحب الوحيد الذى يعوض حرمانهم العاطفى أمام زواجهم العقلانى التقليدى . . يفكرون فى الحب كما يفكر السياسى فى معركة الانتخابات فلا بأس من زيادة عدد المحبات إلى أقصى حد لأن المعركة حامية الوطيس وكلما زادت المعجبات ولو واحدة زادت فرصة النجاح . . . يقول

ﷺ : « يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فأما التى فى الدنيا فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر ، وأما التى فى الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار » .

وما تهدّمَ الكيان الأسرى للمجتمعات الغربية إلا قرينه لتفشى الخيانات الزوجية ، ولذا فالعفة هى الأمان وهى الصون الذى يحفظ كيان الأسرة .

- الاعتدال فى الغيرة :

ينبغى أن يصون كلٌ من الزوجين شريط حياته كما أسلفنا لكننا الآن نشير إلى عنصر هام يرتبط بعلاقة الزوجين ببعضهما وهو الغيرة خاصة إن لم تكن فى محلها فإنها تهدم البيت وتشرد الأبناء وتقطع أواصر المحبة والمودة فينبغى على الزوج أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله ﷺ عن تتبع عورات النساء وقال ﷺ : « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » لأن بعض الظن إثم .

وقال على رضى الله عنه : « لا تكثر الغيرة على أهلك فتُرمى بالسوء من أجلك » . وأما الغيرة فى محلها فلابد منها وهى محمودة ، قال عليه الصلاة والسلام : « إنى لغيور ، وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب » .

ـ الشك يا حبيبى :

الشك فى الغالب لا يمكن اعتباره دليلاً على عدم ثقة الزوج فى زوجته ، ولكن قد تكون هناك دلائل أو مؤشرات أو تصرفات هى التى أوجدت ذلك الشك فى عقل وقلب الزوج تجاه زوجته ، ومواطن الشك التى قد تضع الزوجة نفسها فيه عديدة منها الشك فى أن الزوجة معجبة بآخر أو أن هناك شخصاً ما آخر فى حياتها غير زوجها ومؤشراته السرحان المستمر أو التحدث فى التليفون وقطع المحادثة فجأة إذا دخل الزوج أو الخروج بدون إذن الزوج أو إدعاء الذهاب إلى أماكن ويثبت للزوج أنها لم تذهب إلى تلك الأماكن . . . ولعلك بعد هذا تقول أن تلك الدلائل أو الإشارات غير صادقة أو لعل الصدفة هى التى وضعت الزوجة فى هذا الموضع الذى يثير الشك فيها ولكن قد تكون حقيقة الزوجة غير ذلك على الإطلاق ، أقول قد يكون هذا

صحيحاً . . . ولكن على الزوجة التى تقوم بذلك كل ما فى وسعها لإسعاد زوجها أن تراعى سلوكياتها وتصرفاتها ومواقفها مع زوجها أولاً بأول حتى لا تتعرض لشكوكه فيها وهذا ليس بالشئ اليسير لأن هذا يستلزم منها الوقوف على سيكولوجية الزوج ومعرفة حالته النفسية ومدى تحمله وعلى كيفية تفكيره والوقوف على ما يحب ويكره وما يثيره وما يستفزه ، والمواقف التى تعجبه وتلك التى يشمئز منها . . وبالتأكيد إذا استطاعت الزوجة أن تعرف جيداً فكر زوجها ومشاعره الوجدانية ونزعاته فإنها بالتأكيد ستكون قادرة على تجنب كل مواطن الشك التى يمكن أن تجول بخاطره وعندها ستكون تلك الزوجة قادرة فعلاً على كسب مودة زوجها وإشاعة السعادة فى قلبه .

ـ الخيانة الزوجية :

تشكل الخيانة الزوجية تهديداً خطيراً لاستقرار المجتمع واستمراره كما تقوض بقية القيم الأخلاقية الأخرى كالصدق والأمانة والشرف وأيضاً القيم الإنسانية التى تربط بين الناس كالرحمة والإيثار والتعاون ، والرجل السوى يتحطم تماماً أمام الخيانة من زوجته خاصة إذا كان من بيئة سوية تلتزم دينياً

ولها قيمها الأخلاقية الرفيعة وذلك لأن مثل هذه البيئة ترى الزواج علاقة مقدسة وترى الوفاء والإخلاص كأساس لهذه العلاقة .

لا مودة ولا رحمة فى الخيانة ، بل الخيانة هى المقابل العكسى تماماً للمودة والرحمة فلم تعد الزوجة هى سكن الزوج وحده ولكن هى سكن مشاع مباح ولم تعد الزوجة هى حرثه الذى يأتيه متفرداً متميزاً وإنما تصبح حرثاً عمومياً تطؤه كل قدم .

إنه انهيار للمعنى . المعنى فى كل شئ طيب فى الحياة ولذلك ينهار من هول الصدمة وعدم التصديق ويعانى ألماً فظيعاً يستمر معه إلى أن يودع الدنيا .

ألم خيانة االزوجة لا يزول عند الرجل ويظل وقتاً طويلاً يعانى الآثار التدميرية للحدث حتى يستطيع أن يلملم نفسه وإن كان لن يستطيع أبداً إعادة بناء ذاته المنهارة وكيانه المتهاوى ورجولته المبعثرة خاصة إذا كان الحدث مفاجئاً له وغير متوقع .

والغريب فى الأمر أن المرأة تغفر وتتسامح وتنسى خيانة الزوج ولكن الزوج لا ينسى أبداً ، ولعل لهذا دلالته الربانية

وذلك لأنه لا يمكن أن ينصلح أمـر الكون إلا من خـلال فضيلة المرأة . . فضيلة المرأة هى الأساس ، ولهذا لا يمكن أن تقاس فضيلة المرأة بفضيلة الرجل وأهمية وجسامة وخطورة وعظمة فضيلة المرأة تفوق كثيراً فضيلة الرجل ولذلك فإن البيئة السوية تنظر بهلع إلى خيانة المرأة . .

إن الدور الحقيقى للمرأة يبدأ بعد الميلاد حيث التربية والتنشئة ،حيث التخليق النفسى والفكرى والوجدانى والأخلاقى والإنسانى والاجتماعى ، هذا هو دور المرأة كأم ولذلك يجب أن تكون فاضلة . . امرأة غير فاضلة لاتصلح أماً . . ولكن نعود ونقول إن دور المرأة الفاضلة لا يكتمل ولا يؤدى على النحو الأكمل إلا من خلال رجل فاضل وبذلك يتحقق قول العزيز الحكيم ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور : ٢٦] صدق الله العظيم .

ـ الحب والزواج:

يقول المنفلوطى فى كتاب النظرات (الجزء الأول) :

قرأت فى بعض المجلات قصة قصَّها أحد الكُتاب وموضوعها أن كاتبها غاب عن بيروت بضعة أعوام ثم عاد

إليها بعد ذلك فزار صديقاً له من أثرياء الرجال ووجوههم ومن ذوى الأخلاق الكريمة والأنفس العالية فوجده حزيناً كئيباً على غير ما يعهد من حاله قبل ذلك وعرف منه أن زوجه قد خانته مع رجل وضيع فى مثل عمرها فذهب إليها الكاتب ليعرف منها سر فرارها من بيت زوجها فلقيها فى منزل عشيقها فاعتذرت إليه عن فعلتها بأنها لا تحب زوجها لأنه فى الأربعين من عمره وهى لم تبلغ العشرين وقالت إنها جرت على حكم الشرائع الطبيعية وإن خالفت فى ذلك الشرائع الدينية لأن الأولى عادلة والثانية ظالمة - معاذ الله - وقالت إن ما يسميه الناس بالزنا والخيانة هو فى الحقيقة طهارة وأمانة لأن أساسه الحب وكل ما هو أساسه الحب فهو طاهر شريف وإن كان فى أعين الناس عيباً وعاراً ، وقالت : ما الخيانة ولا الجريمة ولا الغش ولا الخداع إلا أن تعاشر المرأة زوجاً تكرهه معاشرتَها من تحبه لأنها لا تكون فى حكم العقل ولا فى نظر العدل زوجاً له ما دامت لا تحب ولا تألف عشرته !! وقالت : لو أدرك الناس أسرار الديانات وأغراضها لعرفوا أنها متفقة فى هذه المسألة مع الشرائع الطبيعية وأنها ربما تَـعُدُّ المرأة فى بيت زوجها زانية وفى بيت عشيقها طاهرة إذا كانت تكره الأول وتحب الثانى !

ـ ويقول المنفلوطى رداً على تلك الآراء الشاذة لتلك المرأة المنحرفة الضالة :

إن كانت هذه الفتاة عفيفة طاهرة كما يزعم الكاتب فقد أخطأ علماء اللغة جميعاً فى وضع كلمة الفساد فى معاجمهم لأنها لا مسمى لها فى هذا العالم ـ عالم العفة والطهارة والخير والصلاح ـ ولا يمكن أن يكون المراد منها فتاة المواخير لأنها لم تترك وراءها زوجاً معذباً ناقماً منكوباً ، ولم تكن راضية تمام الرضى عن نفسها ولا مغتبطة بعيشها فتبلغ فى حالها مبلغ « ورده الهانى » .

كل الأزواج ذلك الرجل إلا قليلاً فإذا جاز لكل زوجة أن تفر من زوجها إلى عشيقها كلما وقع فى نفسها الضجر من معاشرة الأول وبرقت لها بارقة الأنس من بين ثنايا الثانى فويل لجميع الرجال من جميع النساء وعلى النظام البيتى والرابطة الزوجية بعد اليوم ألف سلام !

أيها الكاتب ، ليس فى استطاعتى ولا استطاعتك ولا فى استطاعة أحد من الناس أن يوقف دورة الزمن ويصد كَرّ الغداة ومرّ العشى حتى لا يبلغ الأربعين من عمره فتراه زوجته غير أهل لمعاشرتها إذا علمت أن فى الناس من هو أصغر منه سناً وأكثر رشاقة وأنضر شباباً .

إن الضجر والسآمة من الشئ المتكرر المتردد طبيعة من طبائع النوع الإنسانى فهو لا يصبر على ثوب واحد أو طعام واحد أو عشير واحد ، وقد علم الله سبحانه وتعالى ذلك منه وعلم أن نظام الأسرة لا يتم إلا إذا بنى على رجل وامرأة تدوم عشرتهما ويطول ائتلافهما فوضع قاعدة الزواج الثابت ليهدم بها قاعدة الحب المضطرب ، وأمر الزوجين أن يعتبرا هذا الرباط رباطاً مقدساً حتى يحول بينهما وبين رجوعهما إلى طبيعتهما وذهابهما فى أمر الزوجية مذهبهما فى المطاعم والمشارب من حيث الميل لكل جديد والشغف بكل غريب ، « وإن كان الإسلام قد أباح للرجل تعدد الزوجات مثنى وثلاث ورباع فلأنه فُطرَ على هذا فتقتضى طبيعته هذا وليست المرأة مثله فى ذلك فهى بفطرتها لا تقدر على معاشرة أكثر من رجل ـ هذا لمن سلمت فطرتها من الميل والاعوجاج والانحراف ـ » .

٦ ـ النفور بسبب بحث المرأة على المساواة الزائفة :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء : ٣٤] .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾

[النساء : ٣٢] .

ـ يقول الدكتور / عاهد بركات (عدو المرأة) : عندما أتحدث عن المرأة فإننى أقصد المرأة العاملة المتبرجة السافرة التى تطالب بحريتها ناسية ومتناسية أن الإسلام قد أعطاها حريتها الكاملة والمتكاملة وجعلها ربة بيت ، وما أجمل هذه الصفة إذا تقيدت بها المرأة . . لقد كتبت مراراً وطالبت بأن تعود المرأة إلى منزلها ولكن الجهلاء اتهمونى بالتخلف والرجعية . . ولكن إذا عادت المرأة إلى بيتها فهى بالفعل ستؤدى الرسالة السماوية التى خلقها الله من أجلها وهى تربية جيل جديد يتحلى بالأخلاق والعادات .

أما بالنسبة للمرأة التى تخرج من البيت فهى مثل السيجارة تتلذذ بها عند استعمالها ولكن بعد أن تنتهى منها ترميها لتشعل سيجارة ثانية وهلم جرّا ومهما اختلف نوع السيجارة فهى ولا شك ضارة .

وعدائى للمرأة نابع من تصرفات المرأة فى هذا المجتمع وليس كما اتهمونى بأننى اكتويت بنار إحداهن . . كلهن نار والنار أول ما تأكل تأكل نفسها .

إن جميع القوانين المدنية فى العالم اليوم تعطى الرجل المرتبة الأولى فى العائلة وتجعله المسؤول الأول عن الإشراف والتدبير كذلك الأديان السماوية جميعها قالت بما قاله القرآن الكريم والمسيحية التى تنتشر انتشاراً واسعاً فى العالم تمنح القوامة للرجل وتطلق عليه لقب رأس العائلة حيث تشبه العائلة بالجسد والرجل رأسه .

ويتفوق الرجل على المرأة فى أكثر من مجال أو ميدان منها :

ـ فى قوة الجسم وسلامته فلا يتعرض لما تتعرض له المرأة من الحمل والرضاعة والحيض والولادة وكل هذا يجعلها فريسة الألم والضعف والمرض مما يجعل جسد الرجل أميل للسلامة والقوة وأصبر على تحمل الأعمال الشاقة التى لا تستطيعها المرأة بشكل عام .

ـ فى عمق التفكير وسلامته ، فإذا صح أن العقل السليم فى الجسم السليم فذلك يعنى أن نصيب الرجل من عمق التفكير وسلامته أقوى منه عند المرأة .

ـ فى الشجاعة وصلابة العاطفة :

فالمرأة تعنى الأنوثة ، والأنوثة تعنى رقة العاطفة

والإحساس وهذه بدورها تعنى شدة الانفعال وسرعته وإن نصيب الرجل من كل هذا أقل منه عند المرأة .

ـ فى إتمام الفرائض الدينية لأن الأعراض الجسدية التى تمر بها تُعفيها شرعاً من أداء بعض الفروض كالصلاة والصيام والجهاد .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن القوامة الزوجية قد أعطيت للرجل عن جدارة واستحقاق وظل الرجل يمارس هذا التكليف دونما معارضة تُذكر حتى كان عصر الحضارة الغربية المادية حيث أعطيت المرأة حرية واسعة بما يساويها بالرجل .

ـ فلتسقط الديمقراطية الزوجية :

تقول زوجة متحضرة متفلسفة : أفق أيها الزوج ، فالزوجة الآن تعمل وتأخذ دوراً مماثلاً ومقارباً لدور زوجها وتساهم فى المنزل بدور إيجابى وفعال ؛ ليس فقط فى تربية الأولاد ولكن فى الحصول على مصدر الرزق وبالطبع هذا يجعل الزوج يتقلص ، فالاعتقاد الراسخ هو أن المشاركة فى المسؤولية المادية من ناحية الزوجة تجبر الزوج على أن يصبح ـ لاشعورياً ـ أكثر تسامحاً وتساهلاً فى السماح لزوجته بأن تلعب نفس أدواره فى قيادة سفينة الحياة الزوجية وأن يكون

ديمقراطياً . . والنتيجة أن السواد الأعظم من الزيجات التى رفعت فيها الزوجة لواء الديمقراطية والمساواة هى وجود الانشقاق والاختلاف فى الرأى وعدم الوفاق مما جعل إحدى المثقفات تفيق فجأة أمام المأذون الذى جاء لينهى حياتها الزوجية بالطلاق ، وجدناها تصرخ وتقول : تسقط الديمقراطية . . وبمجرد نطقها بذلك انفرجت أسارير الزوج وعادا للحياة معاً فى سعادة حقيقية أساسها السكن والمودة والرحمة وليس شعارات الغرب الزائفة . . وحتى فى الغرب بدأ التراجع والعدول عن تلك الشعارات ففى عام ١٩٦٥م قالت الدكتورة « أليس روسى » الأمريكية فى كتابها « المرأة فى أمريكا » : « إن المقصود بالمساواة بين الجنسين هو تخنيث أدوار النساء والرجال بحيث تتشابه أدوار النساء والرجال فى مجالات النشاط العقلى والنفسى والسياسى والمهنى ويتكاملان فقط فى المجالات التى تفرضها الفروق التشريحية بين الجنسين » .

وتقول السيدة « كريستيان كولنج » الكاتبة الفرنسية فى كتابها « أريد العودة للمنزل » : « إنه إذا كان للمرأة طفل فهذا مشكلة وإذا كان لديها طفلان فإن المشكلة تصبح عشرة أضعاف أما إذا كان لديها ثلاثة أطفال فعندها تتضاعف

المشكلة مائة مرة ذلك لأن للأطفال حاجات نفسية وعاطفية ومستلزمات جسدية أساسية لا تستطيع غير الأم توفيرها وإنجازها بالقدر الكافي . . . إن المدنية التي لا تقدم العناية التامة للأطفال هي مدنية مهددة بالموت » .

وقد قامت مجلة ماري مكير الباريسية باستفتاء الفتيات الباريسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل ٢,٥ مليون عن رأيهن في الزواج من العرب وكانت الإجابة لـ ٩٠٪ منهن :

بنعم ، والأسباب كما قالتها نتيجة الاستفتاء :

- مللت المساواة بالرجل .

- مللت حالة التوتر الدائم ليل نهار .

- مللت الاستيقاظ عند الفجر والجري وراء المترو .

- مللت الاستيقاظ للعمل حتى السادسة مساء في المكتب والمصنع .

- مللت الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم .

- مللت الحياة الاجتماعية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا حول مائدة الطعام . . .

ومن الطريف أن العنوان : « وداعاً عصر الحرية والمساواة وأهلاً بعصر الحريم » .

ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة المرأة تحتاج إلى نظرة موضوعية في الشرق والغرب تجعلهم يعيدون كل شئ إلى نظامه الطبيعي فيسعد الفرد وتسعد الأسرة ويسعد المجتمع الإنساني كله ويبتعد عن المشكلات الجسمية والنفسية المتنوعة التي حلت من جراء بعده عن الأوضاع الطبيعية التي فطر الله الناس عليها .

ـ ضرورة الحفاظ على مميزات المرأة وشخصيتها :

خلق الله الذكر والأنثى وخص كلاً منهما بخصائص تميزه وعليهما أن يحافظا عليها ويراعيا ذلك التميز فلكل شخصيته المتفردة ومن الخطأ محاولة التشبه بالشخصية الأخرى وتقمص بعض خصائصها . . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخاري .

وعنه قال : « لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » .

إن الخصائص الفطرية لكل من الرجل والمرأة إنما تثبت وتصقل بالممارسة العملية لمهام كل منهما فى الحياة وإذا لم تتم هذه الممارسة وقام أحدهما بمهام الآخر أو بأقدار كبيرة منها فإنه سوف يكتسب بعض خصائص الآخر وتضمر فى الوقت نفسه بعض خصائصه الذاتية وعندها لن تستقيم حياة الفرد رجلاً كان أو امرأة .

على أنه كما يحدث الانحراف عن هدى الله وسنة نبيه بتشبه المرأة بالرجال فيما خصهم الله به يحدث الانحراف كذلك بالغلو فى التميز أو التمييز ونسيان كون النساء شقائق الرجال كما قال رسول الله ﷺ حتى تكاد تسلب المرأة كل صفة إنسانية عامة تجمعها مع الرجل وتصبح إنساناً من الدرجة الثانية أو الثالثة فتضيع كرامتها وتنمحى شخصيتها فلا استقلال لإرادتها ولا حرية لاختيارها ولا مجال لمشاركتها فى مجال اجتماعى خيّر أو نشاط سياسى واجب وكأنها مخلوق قاصر عاجز وليست إنساناً كاملاً قرر الإسلام لشخصيتها معالم راسخة وحقوقاً ثابتة .

لقد جاء الإسلام مؤكداً لحق المرأة وأكد القرآن فى أكثر من موضع على ضرورة أخذ مشورتها واحترامها لاسيما إذا كانت المشورة فى أمر يخصها كمسألة إرضاع الطفل لأنها هى

التي تقوم بعملية الإرضاع « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ويقول سبحانه ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ .

وفي السنة نجد شواهد كثيرة تثبت حق المرأة في إبداء مشورتها ورأيها ووجوب احترام هذا الرأي وتلك المشورة وقد كان النبي ﷺ يشاور زوجاته فيما يعرض له من أمور ومما ورد في ذلك : شكواه للسيدة خديجة رضي الله عنها مما عرض له في غار حراء وطلبه لمشورتها فيما يفعل فكان أن أشارت عليه رضي الله عنها أن يقص ما رآه على ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان قد تنصر في الجاهلية وله معرفة بأمور الوحي فقبل ﷺ مشورتها وانطلقا إليه معاً .

واحترامه ﷺ لقرار بريرة بشأن زوجها مغيث وكانت قد رفضت أن تبقى زوجة له بعد أن أعتقت وظل هو على عبوديته على الرغم من شفاعة رسول الله ﷺ لمغيث عندها وهذا يدل على تقديره ﷺ لرأي المرأة ومشورتها وأنه ﷺ كان يترك لها مطلق الحرية في اختيار ما تراه صالحاً لها من أمورها الخاصة حتى ولو كان في ذلك ما يخالف رأيه ومشورته ﷺ ما دام الأمر غير ملزم .

٧ـ غضب الرجال من بعض المهن التي تختارها المرأة :ـ

ـ مثال حي :[1]

وجه نسائي بارز في ساحة العدالة . . أول من حصل على الدكتوراه في هيئة النيابة الإدارية . . وتحمل درجة نائب رئيس هيئة النيابة الإدارية . . إنها المستشارة الدكتورة نهى الزيني التي جمعت بين عشق القانون وحب الأدب ، ولأنها تنتمي لمهنة الدفاع عن الحقوق . . فقد أبت السكوت على التجاوزات التي شابت العملية الانتخابية في دائرة بندر دمنهور ، وكانت شهادة حق سجلها لها التاريخ . . التقتها مجلة (الزهور) وكان هذا الحوار .

ـ كل إنسان وليد بيئته ، فهل كان للنشأة تأثيرها على شخصية نهى الزيني الإنسانة والقاضية ؟

نشأت ـ بحمد الله تعالى ـ في أسرة متدينة ومترابطة ، وعلى مستوى مرتفع جداً من الثقافة ، سواء الأب المرحوم المستشار عثمان الزيني الذي كان من كبار رجال القضاء في مصر ، وكان شخصية معروفة وسط زملائه بشدة احترامه لنفسه ، وبالكفاءة والنزاهة الشديدة ، وبمجموعة من الصفات الشخصية والخلقية الرائعة ، وبرغم مرور تسع

---

(١) مجلة الزهور : العدد ٧٠ ، سبتمبر ٢٠٠٦ م .

سنوات على وفاته ما زلت أسمع عنه من الثناء والتقدير ما يثلج صدرى ، ويؤكد لى أن الإنسان حين تكون حياته سطوراً مضيئة ؛ فإنه يظل طيب الذكر بعد وفاته ، وأن خير ما يترك الوالد لأولاده السمعة الطيبة التى تشرفهم بقية حياتهم ، أما والدتى فرغم أنها ربة منزل فإنها سيدة على درجة عالية من التعليم والثقافة ، وكانت محبة للآداب ، وحريصة على أن نقضى أوقاتنا فى القراءة والاطلاع والأعمال المفيدة بشكل عام ، ومن خلالها أحببت الكتابة الأدبية والشعر ، وكانت رغم تعليمها الأجنبى ذات أسلوب متميز فى اللغة العربية ، وتعلمت منها أن الإنسان مهما كان متمكناً من أى لغة أجنبية ؛ فإنه لا يساوى شيئاً ما لم يتمكن من لغته الأصلية ، وكذلك ومن فضل الله علىّ أن تأثرت فى طفولتى بتلك الثقافة العريضة التى تميز بها جدى الذى كان أستاذ قانون ، ثم وزيراً للمعارف قبل الثورة ، وكان شخصية موسوعية ليبرالية ، وأجمل ما فيه - من رأيى - أنه كان مؤمناً إيماناً عميقاً بالمساواة بين الرجل والمرأة ، وطبق ذلك على أبنائه ، فلم أعرف فى عائلتى أية تفرقة بين الولد والبنت فى أى شأن من شئون الحياة ، وهو فضل من الله سبحانه وتعالى حيث جنبنا هذا الوعى وتلك المعاملة الراقية ما يصيب غيرنا

من اضطرابات نفسية نتيجة التفرقة الظالمة على أساس الجنس والذى يؤدى بالمرأة إلى أحد اختيارين كلاهما خاطئ ؛ فإما أن تستسلم فتصبح إنساناً بلا كرامة ، وبلا قيمة فى الحياة ، وإما أن تحاول إثبات ذاتها عن طريق مصارعة الرجال وكأنها في معركة معهم ، أما التوازن فى الشخصية فلا يكون إلا نتاجاً لتربية سليمة ترفع شأن الفتاة دون افتعال وترسخ فى أعماقها أنها تقف على قدم المساواة تماماً مع أخيها دون حاجة للصراخ للمطالبة بهذه المساواة .

ـ بصفتك نائبة رئيس هيئة النيابة الإدارية ، هل لديك وقت لممارسة العمل الأهلى ؟

إلى جانب عملى فى النيابة الإدارية أقوم بإلقاء بعض المحاضرات فى القانون ، وأشارك فى التحكيم وتقديم استشارات ، وأسهم فى الأبحاث التى تقوم بها بعض الجهات المصرية والأجنبية ، كما أمارس بعض النشاطات الأهلية ، وأهمها مشاركة مجموعة من نشطاء العمل المدنى فى تأسيس جمعية « الحق فى الدواء » ، والتى أشرُف حالياً برئاستها .

ـ وما أهم أهداف هذه الجمعية ؟

« الحق فى الدواء » هى أول جمعية فى مصر والعالم العربى أنشئت للدفاع عن حق المريض فى الحصول على الدواء ، باعتباره أحد حقوق الإنسان ، وتم إشهارها رسمياً منذ حوالى سنة ، وتضم الجمعية فى عضويتها مجموعة من كبار الأطباء والصيادلة ورجال القانون والاقتصاد والفكر والثقافة ، وكل منهم عَلَم فى مجاله ، وكانوا شديدى الحماس منذ البداية لتكوين هذه الجمعية إيماناً بأغراضها النبيلة .

وأهمها : تنمية الوعى الشعبى بالحقوق القانونية المتعلقة بالدواء ، ومساندة شركات الدواء المصرية فى مواجهة المافيا العالمية التى تريد أن تقضى على صناعة الدواء فى مصر ، ومنع احتكار صناعة وتجارة الدواء ، وكذلك العمل على توفير الدواء اللازم للمحتاجين وبسعر مناسب أو بالمجان - حسب الأحوال .

ما رؤيتك لما وصلت إليه المرأة فى مجال القضاء ؟

أحب أولاً أن أوضح موقفى من تولى المرأة القضاء ؛ فهناك من يرفضون هذا الأمر استناداً إلى أسباب شرعية ، وهناك بالفعل خلاف فقهى حول مدى شرعية تولى المرأة

للقضاء ، وهناك دراسات عديدة فى هذا الشأن ، وأنا أؤيد بشدة الرأى الذى يقول : إنه لا يوجد مانع شرعى من تولى المرأة للقضاء ؛ لأن الأصل فى الأشياء الإباحة ، ولا يجوز المنع والتحريم إلا بدليل قطعى الثبوت والدلالة ، وقد عجز المعارضون عن أن يقدموا دليلاً واحداً قطعياً على تحريم تولى المرأة للقضاء ، فمن قال : إن القضاء خاصة فى ظل الأنظمة المعاصرة هو من قبيل الولاية العامة ؟ واعترض على من يقول : إن القضاء لايناسب قدرات المرأة وإمكاناتها ، الحقيقة أن هذا كلام فيه الكثير من الظلم والتجنى ، فالواقع يقدم لنا كل يوم نساء يملكن العلم والقدرة على العمل والنظرة الموضوعية فى الحكم على الأمور أكثر من كثير من الرجال ، فالفرق هنا ليس بين رجل وامرأة ، لكن الفرق هو بين إنسان يملك الصفات التى تؤهله لهذا المنصب ، وإنسان لا يملك هذه الصفات ، بصرف النظر عن كونه رجلاً أو امرأة ، وأهم هذه الصفات : العلم ، والخبرة القانونية ، والخُلق العالى ، والنزاهة ، والبعد عن الشبهات ، وكذلك الموضوعية واتزان الشخصية التى تجعل القاضى فى منأى عن

الانحـراف عن الحق فى حكمـه ، وتجـعله مـحل احـتـرام للمتقاضين ومصدراً لاطمئنانهم ، وأظن أنه لن يختلف معى أحد على أن هذه الصفات ، كما قد تتوافر فى بعض الرجال فإنها كذلك تتوافر فى بعض النساء ، فلا نقول : إن كل النساء يصلحن للقضاء ، كما أنه ليس كل الرجال صالحين له .

أما بالنسبة لتقييمى لما وصلت إليه المرأة المصرية فى مجال القضاء ، فبمنتهى الصراحة المحصلة مازالت صفراً ، فلا توجد قاضية حتى الآن على المنصة ، باستثناء السيدة تهانى الجبالى التى تم تعيينها فى المحكمة الدستورية العليا ، وهو إنجاز مهم ، ولكنه ليس كافياً ؛ فالمحكمة الدستورية محكمة لها طبيعة سياسية ، ولا تفصل بين المتخاصمين ، وهى ليست داخلة فى السلطة القضائية ، وإنما هى هيئة قضائية مستقلة ، ومازال مجلس القضاء الأعلى يرفض تولى المرأة القضاء ، أقصد القضاء بمعناه الحقيقى .

ـ أعلم أنك تحبين الشعر وتكتبين القصص القصيرة .. فكيف جمعت بين عشق القانون والأدب ؟

كما قلت لك سابقاً : فقد تربيت فى أسرة تجمع بين

التكوين القانونى والموهبة الأدبية ، والحقيقة أنه إذا كان تذوق الأدب يعتمد على الوسط البيئى إلى حد كبير ؛ فإن الكتابة ، سواء للشعر ، أو القصة هى موهبة فى المقام الأول وملكة يمنّ بها الله ـ سبحانه ـ على من يشاء من عباده ، وإن كان صقلها بالقراءة والممارسة والتمكن من أدوات التعبير ضرورياً ، وقد بدأت كتابة الشعر منذ مرحلة الطفولة تقريباً ، ثم كتبت قصائد عديدة ، سواء فى مناسبات عامة أو خاصة والتعبير عن النفس بالشعر يصدر قسراً عن الإنسان ، فأنا لا أجلس مثلاً إلى مكتبى وأقول : إننى سوف أكتب قصيدة ، كما أفعل عندما أكتب بحثاً قانونياً ، ولكن القصيدة تأتى من داخل النفس تلقائياً ، وبطريقة قسرية ، وقد أستيقظ من نومى بلا مقدمات ، وأجدنى أتناول الورقة والقلم وأكتب أبياتاً من الشعر ، ثم أحتفظ بها ، أو ألقى بها فى سلة المهملات حسب الأحوال ، وقد أكون جالسة فى مكان طبيعى جميل كشاطئ بحر ، أو مكان ريفى وأكتب ، وقد لا تأتينى الرغبة فى الكتابة مدة طويلة ، ثم تأتى بلا مقدمات فتجبرنى على التعبير ، ولكنى فى كل الأحوال أرى أن تجربتى الشعرية هى تجربة خاصة جداً ، ولا أرغب فى نشرها على الملأ وإن كنت ألقى بعض أشعارى فى مناسبات خاصة ، أو أمام

بعض النقاد ومتذوقى الشعر ، ورغم أن كثيرين نصحونى بنشر أشعارى ؛ فإننى لا أرغب فى هذا مطلقاً .

ـ وهل لديك مؤلفات قصصية وقانونية ؟

لقد انتهيت مؤخراً من كتابة مجموعة قصصية يجمعها خيط واحد هو العلاقة بين المرأة والرجل ـ من وجهة نظر المرأة ـ وهناك فى رأيى بعض الاختلاف فى الرؤية حول هذا الموضوع ـ وأفكر حالياً فى عرضها على دار نشر ؛ لنشرها بصورة لائقة . أما بالنسبة للقانون ، فلى عديد من المؤلفات الموجودة بالمكتبات ، وكذلك الأبحاث المنشورة فى بعض الدوريات القانونية فى عدة مجالات قانونية أهمها : القانون الدستورى والملكية الفكرية .

ونظراً لأن الأعمال الأدبية التى نشرت لى كانت محدودة للغاية ، وفى أوقات متباعدة ، فلم تتح لها أية دراسة نقدية ، وربما كنت أنا السبب ؛ فقد تركت القانون فى داخلى يطغى على الأدب ، واكتفيت طويلاً بممارسة الكتابة الأدبية لمجرد الشعور بالمتعة ، ثم أحجم عن نشرها ، ولكنى عرضت أعمالى على بعض النقاد بصورة شخصية ـ والحمد لله ـ كانت الإشادة بها كافية لتجعلنى أفكر جدياً فى دخول ساحة الفكر والتعبير كأديبة ، وليس كقانونية فقط .

ـفى رأيك ما الأسباب الحقيقية لنجاحك كقاضية وأديبة ؟

فضل الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً ، ثم الصدق والجدية فى تناول الأمور ، وفى كل عمل يقدم عليه الإنسان ، حتى لو كان صغيراً ، وأنا أرى أن مشكلة الجيل الحالى أنه ليس جاداً بالقدر الكافى ، فهو يتناول الأمور بشكل سطحى ، وتنقصه النظرة المتعمقة ؛ لذلك أرى أن واجبنا أن نوجه أبناءه إلى الاهتمام بالقضايا الكبرى ، وأن تكون أهدافهم واضحة ومحددة ، وأن يسعوا لتحقيقها بكل جدية ؛ فحينئذ ينفذون أمر الله سبحانه وتعالى فى خلافة الأرض .

ـما الدرس الذى تعلمته من مهنتك ؟

هناك درس مهم تعلمته من مهنتى ومن حياتى كلها ؛ خلاصته : ألا أحكم على الآخرين بغير أن أضع نفسى مكانهم ، فالتسرع فى الحكم على الأشخاص ، أو الأشياء ، أو البحث فى ضمائر الناس قد يؤدى إلى الظلم ، وكما قال سبحانه فى محكم كتابه «وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل » ، وأننا لنا الظاهر وحده ، ولله سبحانه وتعالى الظاهر والباطن .

ـ ولهذه النقطة تكملة فى الفصل القادم بإذن الله تعالى .

* * *

تعقيب :

ـ راتب الزوجة :

لكن الحياة المعاصرة دفعت بالمرأة المسلمة إلى الدخول فى ميدان العمل اليومى المنظم على حساب بيتها ومملكتها الصغيرة وعلى حساب وظيفتها الأساسية كمنشئة أجيال وراعية أمة وبانية مستقبل ، وخاضت المرأة المسلمة مختلف مجالات العمل فأصبحت موظفة أو مديرة أو وزيرة أو عاملة فى مصنع أو بائعة فى متجر أو مُدرسة فى مدرسة . . . الخ

ونحن لا نناقش حق العمل للمرأة فهو معروف مقرر طالما التزمت بآداب وسلوك وأخلاق دينها وابتعدت عن الشبهات وكان العمل حلالاً مع ضرورة التأكيد على أن رعايتها للبيت والزوج والأولاد هى أساس رسالتها فى الحياة ولكننا نتحدث هنا عن مشكلة نتجت عن خوض المرأة المسلمة لميدان العمل وحصولها على راتب أسبوعى أو شهرى أو غير ذلك وحق الزوج فى هذا الراتب . .

وفى المجال الاجتماعى والإنسانى نفضل دائماً أن تتغلب لغة الشعور والأحاسيس على تصرفات الزوجين فالزوجة التى تعمل وتحصل على راتب لا يجب أبداً أن

تتعامل مع زوجها على أساس راتبها وكأنها أصبحت مستقلة عنه وتستطيع أن تتصرف بدونه بل عليها أن تنظر إن كان زوجها فى حاجة إليه سارعت بتقديمه عن حب ومودة وطيب خاطر دون مَن أو تذكير أو محاسبة لأنها جزء من سفينة الحياة الزوجية ، كما أن الزوج الكريم لا يجب أن ينظر إلى راتب زوجته ويتعامل معه دون النظر إلى مشاعرها لأنه أصلاً المكلف بالإنفاق عليها وعلى أسرته بل والمكلف بالإنفاق على أدوات الزينة لزوجته . .

الأسرة التى فهمت رسالتها تحرص فيها الزوجة على مشاركة زوجها فى أعباء الحياة إن استطاعت ويحرص فيها الزوج حرصاً أشد على عدم المساس براتبها إلا بكامل رضاها وموافقتها وبعد إلحاحها كذلك .

الفصل الخامس

.قضايا شائكة.

١ . الحب أعمى لكن الآخرون يرون !!

٢ . أين حريتى !!

٣ . بعض المهن للنساء مرفوضة بأمر الرجال !

٤ . زواج المصريات من العرب .

٥ . الممنوعات الزوجية جمرٌ تحت الرماد !

٦ . بسبب زوجى صرت الأم والأب .

٧ . هل يحق للزوجة تقاضى أجر عن مسؤوليتها فى بيتها ؟!

٨ . هل تُفاقم مؤسسات الزواج مشكلة الطلاق ؟!

١.الحب أعمى لكن الآخرون يرون !![1]

كل يوم يمكن أن يسأل أى واحد منا : ما الذى أعجبه فيها ؟ عندما نشاهد زوجين ، عروسين خصوصاً ، ونعتبر أن الزوج أجمل من الزوجة ، أو أنه « أفضل » منها وأرفع شأناً ، كما هى حال ولى العهد البريطانى تشارلز وكاميلا باركر ، اللذين تزوجا بعد قصة حب دامت ٣٤ عاماً .

فهل الحب أعمى كما يقولون ؟ وهل هناك مكان مع الحب الحقيقى ، لاستخدام أداة الاستفهام أو التساؤل أو الاستفسار ، لماذا وكيف وأين ومتى ؟

ـ لا تعطى " دانة زين الدين " الطالبة فى كلية الصيدلة ، أهمية كبرى للشكل ، « فالروح لها أهمية أُولى ، التى تستمر مع الإنسان ، أما الشكل فيتغير ، مهما كان الحب . والإنسان يتعود على الآخر ، مع مرور الأيام ، ومهما كان شكله » . تقول ذلك على الرغم من أنها (تُحب بعقلها) بحسب تعبيرها ، من دون أن تنفى دور قلبها ، « لكنه ليس الدور الأساسى . فالحب يتولد من تطابق الأفكار والتفاهم والمستويين الاجتماعى والثقافى المتقاربين . فليس من

---

(١) مجلة زهرة الخليج / العدد ١٣٧٧ / ١٣ـ٨ـ٢٠٠٥ م

المعقول أن ترتبط المثقفة بإنسان جاهل تحت اسم الحب » ما تعرضت له الفتاة المغربية هند الأشعارى ، جعلها ترفض موقف الذين يعطون المظهر اهتماماً ، تروى : « فى يوم من الأيام ، أحببت شخصاً جميلاً ، بهرنى مظهره ، وكنت وقتها أعمل فى باريس . ومع مرور الأيام اكتشفت شخصيته الحقيقية ، فوجدت أنه لا تناسق بين داخله وخارجه ، تصرفات سيئة ، ومعاملته أسوأ ، مع أنه كان من جنسيتى نفسها . فتعلمت الدرس ، أنّ على الفتاة ألا تنبهر بالمظهر ، بل الاهتمام بالشخصية » .

لم تتوقف هند عند هذه المحطة ، وسرعان ما دخلت فى قصة أخرى : « تجربة ثانية مع شخص آخر ، وكان مشروع خطبة لم يكتمل ، ولم أتوقف عند مسألة الشكل ، مع أنه " أوكى " لكننى أعجبت كثيراً بتصرفاته معى ، حتى بعدما وقفت أسرته فى طريق ارتباطنا ، ومازلت مرتبطة به كصديق » .

وتؤكد هند ، أن سلوك صديقها معها ، هو الذى جعلها تقع فى غرامه (بدرجة أكبر) . « على الدوام كان يحب أن يرانى سعيدة ، ويُلبّى طلباتى » .

تُساند أمل الخطيب ، وهى سيدة أعمال سورية ، الرأى

السابق . إذ تؤمن بأن « الشكل يتراجع مع المميزات الأخرى التى تراها الإنسانة فى الشخص الذى تحبه ، والعكس يحدث كذلك . وقد أحبُّ أنا صاحبة الأعمال ، رجلاً أقل منى ، إذا وجدت فيه ما يشجعنى على الارتباط به ، فى حين قد لا يرى الآخرون هذه المزايا . فجَمَال الروح هو الأبقَى ، والشكل يتراجع ، ويجب ألا ننسى أن لكل قاعدة شواذاً » .

من هذه النقطة تنطلق المذيعة التليفزيونية غزل الرويلى قائلة : « أنّ ما يراه المحب لا يراه الآخرون ، وإرضاء الناس غاية لا تُدرك ، وقناعتى الشخصية ، هى التى تحكم اختياراتى ولا شئ آخر غير هذا» .

تعطى سحر ، وهى زوجة أردنية ، « القلب الأهمية الأولى » ، وهذا ما طبّقته عندما تزوجت : « والعين تعشق قبل القلب أحياناً . الصفات الجميلة تجذبنى أكثر من أى شئ آخر ، وهذا ما حدث معى عندما تزوجت . وكثيراً ما نرى فتاة جميلة تتزوج بشخص غير جميل ، والعكس صحيح » .

ترى فاطمة محمد ، طالبة جامعية ، من أب سورى وأم روسية ، أنّ « مَن يحب لا يرى الأشياء الناقصة فى الشخص الذى يحبه ، ولكنه يراه غاية فى الكمال ، ولا يهمه الشكل

ومـا يراه هو لا يراه الآخـرون » . والسـبب ، هو أنّ « مـرآة الحب عمياء ، وهناك أمثلة كثيرة تؤكد هذه المقولة » .

« الناس أذواق » فى نظر ندى خاطر ، موظفة ، و « كل واحد يرى الجَمَال من وجهة نظره هو ، ولا توجد قاعدة ثانية نستطيع من خلالها الحكم . المهم المعاملة الحسنة ، لا الشكل » .

تستعين شوق ، موظفة مبيعات ، بتجربتها الشخصية ، لتؤكد ما تقوله ندى : « فقد أُحب شخصاً لا يمتلك من الوسامة الكثير ، لكن أسلوبه فى التعامُل معى يجعلنى أحبه أكثر وأكثر » .

تفكر شوق بصوت مرتفع ، وتردد : « ربما يكون السبب فى ارتباط شاب جميل فتاة غير جميلة ، أو فتاة جميلة بشاب غير جميل ، هو التعويض » .

وتعطى ميعاد ، الطالبة الجامعية ، البحرينية ، هؤلاء الذى يختارون وفق ميولهم الحق . بينما تُفضِّل صفية أن « تكون المرأة أجمل من الرجل الذى ترتبط به ، كى تستطيع السيطرة عليه ، ويظل يحمد ربه ، ليلاً ونهاراً ، على أنه ارتبط بها » . فالمظهر عند صفية له « دور كبير فى عملية الاختيار ، شرط أن تكون هى أجمل منه » .

ثمَّة سرّ يكمن وراء ذلك ، يُسميّه لؤى الأخرس ، رجل أعمال أردنى ، « العلاقة الخاصة » ، فهناك « أشياء يراها الشخص الذى يقع فى الحب . فقد تكون هذه المرأة غير جميلة المنظر ، لكنها تسعده فى علاقتها الخاصة . وهذا ينطبق كذلك على الرجل » .

المنطق نفسه يكرره سعيد ، موظف إيرانى متزوج ، يؤمن بأنّ « ما يراه المُحب لا يراه الآخرون » .

ومع اعتراف مايد محمد ، بأهمية جَمَال الشكل ، إلاّ أنّه مع جَمَال الروح : « مؤكد هذا الشخصى يرى جَمَال الروح أولاً ، فقد تكون جميلة ولا تستطيع أن تعيش معها يوماً واحداً . فجَمَال الروح هو الذى يبقى ، أما جمال الشكل فلا عُمر له . فقد تكون ملكة جمال ، ولكنّ قلبها أسود ، وقد تكون جميلة وتتعرض لحادث يُفقدها جمالها ، فيذهب جمال الشكل ويبقى جمال الروح » .

يضع منصف ويليام ، رجل أعمال ، التفاهم فى المقدمة ولا ينفى دور الشكل ، « لأنه جزء من الوجاهة الاجتماعية . لكن لكى يستمر الحب ، لابد من التفاهم » .

يعود المخرج التليفزيونى يونس قطيفان لأفلاطون الذى

قال : « النساء طويلات الشعور قليلات العقول » . والجَمَال بالنسبة إلى المرأة ، هو جمال الروح . فقد ترى امرأة جميلة وعندما تتحدث إليها ، لا تستطيع رؤيتها ، أو كما يقول نزار قباني « كوني جميلة واصمتي » . فالجَمَال ليس هو كل شئ والزواج في النهاية قسمة ونصيب ، ولكن من المهم التكامل وأجمل لحظات الحب ، حب لحظة البوح ، عندما تقول لزوجتك ، مهما كبرت في العمر ، يا صغيرتي» .

ـ الدكتور فؤاد عبد اللطيف : ربما المصلحة هي الأساس

ـ الدكتور محمد سامح : أحياناً العاشق نفسه لا يعرف السبب

« الجَمَال في عين من يَرى » عبارة يبدأ بها الدكتور فؤاد عبد اللطيف تعليقه : « فلان يرى في الإنسانة التي يحبها ، أشياء لا نراها نحن . قد تكون العاطفة هي الأساس ، وقد يكون الجنس ، أو أمور أُخرى . وقد يكون هذا الرجل يبحث عن الجوهر الداخلي للإنسان ، ولا يقف أمام المظهر كثيراً .

والشخصية قد تكون السبب في إقدام فتاة في العشرينات من عمرها ، على الارتباط برجل ستيني ، لا

لمظهره أو ماله ، إنما لقوة شخصيته ، أو أنه يلعب دور الأب بالنسبة إليها . وهذا لا ينفى وجود حالات أُخرى ، قد تكون المصلحة هى الأساس فى ارتباط الشخص ، أو ادّعائه أنه يحب هذه الفتاة أو تلك ، وينطبق هذا على المرأة أيضاً » .

أما الدكتور محمد سامح ، اختصاصى الطب النفسى ، فإنه يرى أن « الحب شعور طبيعى لكل البشر . وكل شخص يبحث عن تلبية حاجاته العاطفية والنفسية والاجتماعية ، وهو بهذا الحب يحقق اكتماله النفسى والروحى والاجتماعى . ومن الطبيعى أن يحب الإنسان الجمال ، ولكن حاجات الإنسان تختلف . وغالباً ، فإن الأشخاص رقيقى الإحساس الذين يُعانون ضغوطاً مختلفة ، ولا يستطيعون تحمّل مشكلات الحياة ، أو مروا بتجربة حزينة ، واكتئاب ، هؤلاء تختلف نظرتهم إلى الحياة ، ولعلهم يسعون إلى جوهر الحقيقة ، ويبتعدون أكثر عن المظاهر والزيف والشكليات . ويبحث مثل هؤلاء عن ضالته التى تكتمل بها نفسه ، وتسمو روحه ، ويستغنى بها عن الآخرين ، وتصبح نموذجاً لحواء ، أو يصبح هو نموذجاً لآدم . وبهذا تكون أولوياته اختلفت ، ما يفسر ما يُشاع عن أن « مرآة الحب عمياء » ، بمعنى أن ما يراه الإنسان فى شريك حياته ، لا يراه الآخرون » .

ويرى الدكتور سامح ، أنّ « مسألة الاختيار تخضع لعوامل وشروط لا يعرفها إلاّ الإنسان نفسه ، وقد لا يدركها هو ، لماذا أحب هذه الإنسانة ؟ ولا يعطى إجابة محددة ، بمعنى أن الإنسان بنفسه لا يستطيع أن يُحدّد ، لماذا أحب مَن أحبَّه ؟ ولكن من وجهة النظر النفسية ، نستطيع أن نقول ، إنّ هذا « المحبوب» هو الذى لبّى الحاجات الحقيقية ، وعرف كيف يصل إلى القلب والعقل ، حتى أصبح المُحب يشعر بالاكتمال » .

« مثل هذه الأنواع من الحب ، ولا نزال مع الدكتور سامح ، تكون شديدة القوة والتأثير ، ولا يَسعد الإنسان ، إلاّ باكتمال القصّة » .

ـ أين حريتى ؟[1]

سؤال يطرحه الزوج والزوجة عن الاستقلال الغائب . . أين حريتى ؟!

مشروع الزواج له دائرتان دائرة الرجل ودائرة المرأة . . الدائرتان يجب أن تشتركا ولا تمتزجا . . تندمجا ولا تختلطا . . فمحافظة كل من الرجل والمرأة على حرية شريكه

---

(١) مجلة المرأة اليوم / العدد ٢٣٦ / ١٠ سبتمبر ٢٠٠٥ . تحقيق : چينا تادرس .

تسـاعـده علـى الاسـتـمـتـاع بالجـزء المشـتـرك بينهـمـا وفى المجتمعات الشرقية نجد أن الرجل حظى بقدر من الحرية يفوق القدر الذى حصلت عليه المرأة ، فتجده منذ نعومة أظافره يحصل على ما يريد ، وعندما يشب قليلاً لا تجد من يحاسبه على دخـوله أو خروجـه ، فى حين يغلق البـاب على الفتـاة داخل المنزل ، وأحـيـاناً تمنع حـتي من التـعليم ، هكذا يبـدأ الرجل حيـاته الحرة المستقلة حتى دخول قفص الزوجية ، لذلك يبقى دائماً قرار الزواج هو الأصعب على الرجل ، فى حين أنه الأسهل على المرأة ، فهو يدخل القفص وهى تخرج منه .

قابلتهـا وكـانت تحتسى قـدحاً من القـهـوة وهـى شـاردة الذهن ، فاقتربت منهـا وتركتهـا تقص حكايتـهـا : أنا وزوجى نحيـا معـاً منذ خمس سنوات ، ولكننى فى الحقـيـقة أشـعر وكـأنها خمس عشرة سنة ، بعـد أشهـر قليلة وجدته يتصرف كالسجين ، يضيق بحديثى ، ويمل التليفزيون قبل أن يفتحه يشتاق إلى الخروج مع أصدقائه ، يريد أن يخرج معهم بمفرده لأنه يكون على راحته أكثر وهو بصحبتهم دون أن أكـون معه . . كل الرجـال يحبون قضـاء بعض الوقت بعيداً عنا ، بصحبه أصدقائهم ، إذ يحلّقون بعيداً عنا قليلاً ، ثم يعودون

مرة أخرى ، لكننى أنتظره كل يوم فى المنزل وأعمل كالخادمة « أكنس وأمسح الأرض ، وأجهز الطعام ، وأذاكر للأولاد » وفى النهاية أنتظره حتى يعود من عمله ليأكل وينام ، ثم يستيقظ ليجلس معنا قليلاً ، ثم يبدأ فى التململ أحيانا يدعونى إلى الخروج ، ولكن بدأ مؤخراً شجارنا الدائم حول أصدقائه ، يريد دائماً أن يخرج معهم بمفرده ، ويقول لى إنها نزهات رجالية ليس فيها شئ ، لماذا أجلس فى المنزل فى حين يخرج هو ، أيتزوجنا الرجال فقط لنخدمهم ؟ ثم أنا لا أخرج مع صديقاتى أبداً وأكتفى بمحادثتهن تليفونياً ، كما أننى لا أعمل ولا أحب العمل ، أنا أحبّه هو ، وأريد أن أخرج معه مثلما كنا نفعل أيام الخطبة ، أشعر أحياناً بأننى أعاقبه على حبّى له ، وأحياناً أخرى أشعر وكأنه يندم على زواجه لأنه ـ كما يقول ـ يفقد حريته شيئاً فشيئاً ، وبدأ شعور السجين يسيطر عليه .

تركتها وهى لم تصل بعد إلى حل لأجد شخصاً آخر يبحث عن حل . . يقول :

أنا متزوج منذ فترة ليست كبيرة ، لكنها كافية لأعرف لماذا نسمى عش الزوجية « القفص » . . لقد تخليت عن الجلوس على المقهى لألعب الطاولة أو الشطرنج أو حتى

لأدخن الشيشة ، وأنا أتذكر مع أصحابى أيام الصبا والشباب طبعاً أنا لم أتنازل عن أصدقائى ، لكننى لم أعد معهم كل يوم ، والأكثر من ذلك أننى من بداية زواجى سألت زوجتى عمّا يرضيها ، وطلبت منها أن تترك لى بعض الوقت لأخرج مع أصدقائى ، لكن « كلام الليل مدهون بزبدة يطلع عليها النهار تسيح » ، أيضاً عند زواجى تخليت عن مالى والذى كان لى وحدى ، أما بعد الزواج فبدأت أحمل هم « الست الناظرة » المنتظرة فى المنزل لتحاسبنى ، أما على إهدار أموالى فى شراء السجائر التى لا تضر ولا تنفع ، أو على جلبى البسكويت لأن لديها منه الكثير ، أو على العصير ، لأنها لا تحب هذا النوع ، صحيح هى لم تجرّبه من قبل ، لكنها تشعر بأنه لن يعجبها ، هكذا باختصار تحوّلت حياتى إلى جحيم .

تركته غارقاً فى مشكلته وهو لا يعرف من أخطأ ، وكيف يحسن التصرف دون أن يخرب بيتاً أحبه حقاً وكوّن فيه أسرة اعتقد يوماً أنه سيتحدى العالم وسينجح ، هكذا مضيت لأجد رجلاً آخر لديه قصة مختلفة . . فكانت له هذه الكلمات : أنا رجل أعمال ناجح ، ولى مكانة كبيرة فى المجتمع ، وأحتاج إلى السفر كثيراً ، ليس لى أصدقاء وكل الوقت المتبقى بعد يوم العمل الشاق أقضيه مع زوجتى

وأولادى ، أحب الجلوس فى المنزل وأشتاق إليه كثيراً ، وأيضاً أحب النزهات العائلية مع الأسرة ، وأكثر ما يزعجنى التسوق ، وأكره اللف على المحال ، وزوجتى تحب التسوق وتشعر بأنه متعتها الوحيدة ، حسناً إن كانت تحب التسوق فلتتسوق كما يحلو لها لكن بمفردها ، وإن كانت مشاهدة الأفلام والمسرحيات تعجبها فلنشاهدها معاً سواء مع الأبناء أو دونهم ، أهم شئ أن نتعرف على الأنشطة المشتركة بيننا ، والتى نستمتع بتحديدها ، والقيام بها حتى وإن كانت ممارسة رياضة ما ، فهذا سيترك لها فرصة رائعة للتمتع بوجودها معى ، وفى الوقت نفسه لا أحرمها مما تحب ، ولم أحاسبها قط على مصاريفها ، وإلا لماذا أعمل ليل نهار ؟ أعمل لأوفر لها ما تريد ، وأنا واثق بحسن تقديرها الأمور ، وعدم الإفراط فى الصرف على ما لا يهم ولا ينفع . . تلك هى مشكلتى « باختصار زوجتى لا ترضى أبداً » .

وهذه سيدة لم تتوقف عن نفث دخان تبغها منذ أن جلست ، اقتربت منها لأسألها . . أشاحت بوجهها بعيداً كأنما تخفى أسرار الكون فى هاتين العينين المليئتين بالدموع ، وقالت : أنا زوجة منذ عامين ، أحب زوجى وبيتى كثيراً ، ومشكلتى تكمن أساسا فى الحرمان من حريتى ، كنت فى

بيت أسرتي حرة في اختيار ملابسي ، وطريقة حياتي ، ونوع تعليمي ، كانت لي شخصية مستقلة ، والآن يحرمني زوجي من حقي الطبيعي في الحياة ، يحرمني من العمل ، بل أكثر من ذلك يستنكر عليّ - مثل الكثير من الرجال - أن أكون طموحاً ، وأن أحقق ذاتي ، ويفرض عليّ البقاء في المنزل والاكتفاء بخدمته ، لم أعترض في بداية زواجي ، وبقيت في المنزل ، ولكن لا أخفيك سراً أنني كنت أشعر بأنه يجب عليه صنع تمثال لي مقابل ما أفعله ، وإلا لماذا سمعت كلامه وتخليت عن أحلامي هكذا بلا مقابل لمجرد أنه زوجي ؟ لا بالطبع هذا لا يتناسب مع شخصيتي وطبيعتي الحرة لأنه أيضاً حرمني من التواصل مع صديقاتي ، فصرت محبوسة ومكبوتة ، وعقلي يتقلّص ، فلا يوجد فيه ما ينميه ، وأصبحت أحاديثي معه مملة ، فلا أعرف سوى أسعار الخضر والفاكهة ، وتصيّد الأخبار ، فيملّني ويفضل البقاء مع أصدقائه . . هل هذا عدل ؟

تركتها وسط علامات الاستفهام التي طرحتها عساها تجد حلاً ، ومضيت لألتقي شخصاً آخر كانت أنامله تعتصر قلم رصاص ذا سن سمين ولون باهت مثبت على ورقة بيضاء كلها عدا مساحة صغيرة في الورقة كان يخط عليها

خطوطاً كثيرة ، سألته وأنا أنظر إلى الورقة ، فجاءتنى مليئة بالمشاعر المتضاربة ، وهكذا بدأ الكلام وكأنه يجمع حبات عقد انفرطت فى كل مكان ، وأصبحت لملمتها أصعب من نسيانها : أنا فنان تشكيلى ، عيناى تلاحظان كل ما هو جميل فى الكون ، هذه هى المادة التى أحيا عليها ، زوجتى تريد زوجها مغمض العينين ، لا يرى سواها ، ولا يرسم سواها ، غيرتها قاتلة ، تبحث عمّا يديننى ، لا تستطيع فهم مشاعر الفنان المرهفة ، عيناى تلحظان ما يراه غيرى عادياً ، تدوّنان وتسجلان ما سأخطه فى لوحة ليست لى علاقة بها شخصياً ، لوحة أقتبس ملامحها مما يلتصق بذهنى من ملامح بصراحة غيرتها قاتلة للفنان والإنسان ، لم تستطع أن تفهم أن وجود ملامح أخرى فى الرسم لا يعنى أبداً غياب ملامحها ، فلها مكان أكبر فى القلب ، ولكنها أبت ورفضت واستنكرت ألا تكون موجودة فى كل لوحة .

لملمت أوراقى وأسئلتى لأضعها أمام المختصين لأتعرف على آرائهم ، لعلنا نجد لهم حلاً يساعدهم على تفهم مشاعر الطرف الآخر .

الدكتورة عايدة محمد نور الدين ، اختصاصية العلاج النفسى ، بدأت كلامها مستنكرة أن يكون الرجل الشرقى من

هؤلاء الذين يسمحون لزوجاتهم بالحرية ، وقالت : لا يوجد شئ اسمه حرية منفصلة لكل طرف على حدة ، لماذا يكون لكل منهم أصدقاء مختلفون ؟ لابد أن يشترك الرجل والمرأة معاً فى الصداقات وقضاء وقت الفراغ ، وإلا ستنتج عن ذلك فجوة عاطفية ووجدانية ، وأضافت : الرجل الشرقى بوجه عام لا يفضّل الزوجة ذات الشخصية المستقلة أو القوية ، بل يفضل التى تقدّس الحياة الزوجية والتى ليست لها إرادة مستقلة ، بل تقنع به وتقدّسه ، أما عن حرية الأزواج فتقول : معظم من يلجأن إلى العيادات النفسية هن من السيدات اللواتى يشعرن بالإهمال من قبل الزوج الذى يعمل طول النهار ، وما إن يرجع إلى البيت حتى يعاود الخروج مرة أخرى مع أصدقائه ، وهذا يشعر الزوجة بالغيرة عليه ، والتى هى من أكبر مسببات الخلافات الزوجية وفى كثير من الأحيان يصل بها هذا الأمر إلى حد الاكتئاب والتوتر والقلق والوسواس القهرى الذى يدّمر حياتها وحياته .

وترى الدكتورة عايدة أن الرجل الشرقى منذ طفولته يميّز فى المعاملة ، فى حين أن الفتاة تهمل وتكبت ، مما يؤدى به إلى ممارسة الدور نفسه عندما يكبر ، وأيضاً عدم استعداد الرجل لتقبّل فكرة أن يكون لزوجته فكر مستقل يختلف معه

أحياناً ويتفق معه فى أحيان أخرى ، وانعدام الثقة ، كل ذلك يؤدى فى كثير من الأحيان إلى كبت المرأة وسلبها حقها فى العمل حتى لا تحتك برجال آخرين من الممكن أن يؤثروا فيها ففى مجتمعنا الشرقى لا يسمح للمرأة بالتعامل مع الرجال والتعرف عليهم ، لذلك تبقى منغلقة بعض الشئ ، مما يؤدى إلى تخوف الزوج من أن تنفتح زوجته على عالم من الممكن أن تجد فيه ما لم تجد عنده ، أو أن تتأثر بما لا يتوافق مع حياتها الأسرية .

توجهنا بالأسئلة نفسها إلى الدكتور يوسف التيجانى ، اختصاصى الاستشارات النفسية والعصبية ، فقال : وجود هذا الجزء من الحرية صحى جداً ، لأنه فى كل الأحوال مهما اتفق الزوج وزوجته سيظل دائماً هناك جزء غير متطابق فى الميول أو الهوايات ، سيسعد كلاهما بالاشتراك فيه مع أصدقائهما مبتعدين قليلاً ومنعمين بقدر من الحرية لا يضر أياً منهما ، بل يعودا ليسعدا معاً مرة أخرى بتقاربهما .

ويرى الدكتور التيجانى أن الزوجات فى الغالب الأعم مقهورات من جانب الأزواج . . « لأننا فى مجتمع ذكورى لا مجال فيه لأنثى تحاول أن تتحرّر من سيطرة الزوج ، فالرجل يشعر بأنه الأقوى ، صاحب الدخول ، وبالتالى

صاحب الأمر والنهى، وفى النهاية هو المستفيد ، فهى تجلس فى البيت لتجهز له كل ما يريد ، ولا تناقشه وتسمع وتطيع كل ما يأمرها به » .

ويستنكر الدكتور التيجانى هذا الكلام ، ويقول : « نفقد نصف طاقة المجتمع الإبداعية بإهمالنا المرأة ودورها الفعال فى المجتمع ، فتنميتها الفكرية تساعدنا فى تربية وتنشئة جيل مثقف يعى ما يحدث حوله » ، ويطالب الرجال بأن يتحلّوا بالديموقراطية ، وأن يتخلّصوا من عقد سى السيد ، وأن يشاركوا زوجاتهم مشكلات الحياة المختلفة ، وأن يستشيروهن ، فما خاب من استشار ، وتوجّه للزوجات بعدة نصائح أهمها أن تكف الزوجة عن الغيرة غير المبررة ، وألا تحاول أبداً السيطرة على زوجها ، بل تتركه يسعد بحريته ، ليتركها تنعم بحريتها ، وأيضاً تتعلم كيف تكون حرة فى حدود ما يسمح به الدين والمجتمع والأخلاق .

٣.بعض المهن للنساء مرفوضة بأمر الرجال ![١]

لم يعد عمل المرأة يشكّل للرجال ، على الأقل لقسم منهم ، محط تساؤل كبير ، وإنما السؤال الإشكالى هو :

---

(١) مجلة زهرة الخليج / العدد ١٢٩٣ / السبت ٣ / ١ / ٢٠٠٤ .
تحقيق : ريما كيروز .

ماذا تعمل المرأة ؟ أو إذا أردنا صوغ السؤال بمنطق « أكثر ذكورية » : ماذا يجب أن تعمل المرأة ؟ وماذا يجب ألاّ تعمل ؟ أىّ المهن التى يجب أن تختار وأىّ المهن التى يجب أن تعزف عنها وتترفّع عليها ، لا لأنها مهن « مُشينة » أو تحطّ من قدرها ، بل لأن المجتمع « لا يرضاها » لها .

والمجتمع هو الرجل .

والرجل هو الذى يحدد المسموح من المهن للمرأة .

والرجل هو الذى يُقرر المرفوض منها للمرأة .

إذا كانت المرأة فى مجتمعاتنا ، انتزعت بعضاً من حقوقها ، فى العلم والعمل ، والقرار الفردى الحر ، فإن هذا البعض ، على محدوديته ، لا يزال يحكمه الرجل . هو من يقرر أن يمنحه أو يسحبه ، فهو الذى منَّ عليها بـ « حقوقها » هو الذى سمح لها بأن تتعلم ، ثم هو الذى أجاز لها أن تفتح باب بيتها لتدخل سوق العمل .

لكن عفواً ، ليس أى عمل ، فهناك مهن للمرأة مكتوب عليها : « مرفوضة » ، إن لم يكن بخط واضح وصارخ ، فبموقف اجتماعى لا لبس فيه .

إنها مهن مقبولة ومطلوبة وأساسية ، لكنها « غير مرغوبة »

للمرأة ، هكذا قرر الرجل بكل بساطة ، من هذا المنطلق ، ثمّة مهن عدة ، لا يحبذها رامى جميل للمرأة ، لكنه يحرص على أن يسجل فى البدء ، رفضه المطلق أن تكون المرأة مديرة عليه ، فى أى مهنة كانت ، « فأنا لا أحب أن تحكمنى امرأة » .

وبعد أن اطمأن إلى تسجيل وجهة نظره الصريحة ، فى هذا الخصوص ، انتقل لاحقاً إلى الحديث عن المهن الأخرى التى لا تدخل فى خانة المهن المرفوضة أو « المحظورة » للمرأة : « فأنا لا أحب أن تعمل المرأة ممرضة . فمهنة التمريض متعبة وتتطلب « دوامات ليلية » ، كما أن شروط عملها ، لا تناسب المرأة ، حيث تتطلب الكشف على الرجال والتعامل مع أطباء ذكور ، وهو أمر لا يتقبّله مجتمعنا كما لا تسمح به عاداتنا وتقاليدنا » . . . .

ويرفض رامى كذلك ، أن تعمل المرأة مضيفة طيران ، فهذه المهنة تتطلب منها السفر كثيراً ، وتُعرضها لمخاطر كبيرة وبالمثل لا يجد أن الصحافة تناسب المرأة ، حيث تضطرها إلى التعامل الذكورى بشكل واسع ، مشدداً : « لن أسمح لزوجتى أو ابنتى أو أختى بالعمل فى مهنة تجمعها بالرجال ، وتلهيها عن تكوين أسرة ، والاهتمام ببيتها ، مع احترامى

الكبير النساء اللاتى يعملن فى مهن ، يرينها تناسبهن » ، مستدركاً فى هذا المجال : « فى الحقيقة أن مهنتى تجمعنى بالعديد من الموظفات ، وعلىّ أن اعترف بأنهن جدّ محترمات ومتعاونات وكفؤات » .

وبالنسبة إلى عاطف قانصو ، وهو مهندس كهربائى ، فإن أهم شرط فى الوظيفة ، التى يؤثرها لزوجته ، أن تكون مهنة مريحة ، ولا تسبب لها إرهاقاً جسدياً أو نفسياً . لذا وبخلاف رامى ، فإن عاطف لا يمانع أن تكون مديرة أو فى موقع مسؤول ، طالما أن موقعها يحقق شروط الراحة المهنية .

وفى ما يختص بالمهن ، التى يرفضها للمرأة بشكل عام يقول : « لا أحب أن تعمل خادمة أو نادلة أو بائعة ، ولا أحبها مطربة أو ممثلة أو مضيفة طيران ، أو حتى مهندسة تعمل فى الموقع ، فهذه المهن قد تعرّض المرأة لمواقف محرجة وإهانات ، هى فى غنى عنها ، إضافة إلى أنها مهن متعبة وتسرق الوقت ، فلا تتيح لها فرصة التمتع بحياتها» .

بيد أن رفض عاطف هذه المهن ، لا يعنى أنها معيبة أو تنتقص من شأن المرأة ، « فكل فرد فى هذا المجتمع ، له دوره من موقعه أيّاً كان ، ثم إننا نجد فى هذه المهنة ذاتها ، أكثر من

نموذج للمرأة « العاملة » ، وبالتالي لا نستطيع أن نعمم هنا ، بحيث إن لكل امرأة شخصيتها وظروفها ودوافعها ، التي تصبغ المهنة بها ، فإما أنها تُعلي من شأن المهنة ، أياً كانت ، أو قد تنحرف بها إلى مسار آخر غير مقبول » .

عندما طرحنا هذا الموضوع على إياد القدسي ، الذي يعمل موظفاً إدارياً في بنك ، فكر ملياً قبل أن يُجيب مبتسماً : « كل مهنة تعتمد على شكل المرأة الخارجي ، لا أحبها ، وهذا الشرط ينطبق على المرأة ، في اختيارها أي وظيفة من الوظائف ، الموجودة في أي مجتمع من المجتمعات » . ويؤكد : « أنا مع المهنة التي تبرز علم المرأة وثقافتها . وبالطبع لست ضد امرأة جميلة وناجحة في مهنتها ، بسلاح الخبرة والدراسة ، لأنني أعتبر أنّ كل المهن محترمة ، ما دامت المرأة محترمة » .

أما بالنسبة إلى المهنة التي يفضلها إياد للمرأة ، من دون غيرها ، فيقول : « أحب أن تخوض المرأة المعترك السياسي أو أن تعمل في الحقل الطبي أو القانوني ، مع تقديري واحترامي دورها كربة منزل وأم وزوجة » .

ولا يحدد فادي حبيب ، مهندس مدني ، مهنة أو وظيفة بعينها ، يرفضها للمرأة من دون غيرها ، مجملاً في هذا

الصدد : « أنا ضد كل مهنة تضع المرأة فى موقف محرج أو مزعج ، أو لا ينسجم وروح مجتمعنا الشرقى ، فهناك مهن كثيرة من هذا النوع غير مناسبة للمرأة ، وبالأخص تلك ، التى تُضطر فيها إلى أن تتعامل مع عدد كبير من الناس ، ومن شرائح اجتماعية وثقافية مختلفة ، ما يحتم عليها التعاطى مع أخلاقيات ، وطباع وسلوكيات مختلفة ، وتحمُّل ما تفرزه ، من مواقف غير لائقة ، قد تؤثر سلباً فى نفسيتها » .

فى المقابل ، يجد فادى مهناً كثيرة تليق بالمرأة ، أكثر مما تليق بالرجل ، لاسيّما المهن التى تتطلب الكثير من الدبلوماسية ، والهدوء والحكمة والصبر والفن ، كالعمل فى مجال الفندقة والمستشفيات والبنوك ، أو فى الوظائف ، التى لا تأخذ الكثير من وقتها ، ما يمكّنها من التفرّغ لأمور حياتية أخرى ، « ويبقى فى النهاية ، أن القرار الفصل يعود إلى المرأة ، فهى فقط مَن تستطيع أن تختار المهنة ، التى تراها مناسبة بحسب شخصيتها ومستواها التعليمى وخبرتها » .

من جانبه ، لا يُمانع عادل النعيمى ، أن تعمل زوجته أو أخته أو ابنته فى أية مهنة ، ما دامت هذه المهنة ، لا تجمعها بالجنس الخشن : « أُحب أن تعمل المرأة فى مجال الطب ، أو أن تكون مدرِّسة ، أو إدارية فى أحد المراكز التابعة للشرطة

النسائية ، شرط ألاّ يجمعها عملها بالرجال ، لأننى لا أقبل أن تعمل فى مكان مختلط ، أو أن تتعاون مع رجال ، مهما كانت الظروف » .

وهذا لا يعنى أن المهن المختلطة ، التى تعمل فيها الكثير من النساء المحترمات ، هى مهن ، لا سمح الله ، غير شريفة ولكنها والكلام لعادل ، « عاداتنا وتقاليدنا ، هى التى تمنعنا من تقبُّل هذا الواقع » .

بدوره ، يبدو عبد الرحمن شركس واثقاً بخياره : « أفضّل المرأة المدرِّسة على أية مهنة أخرى ، ولا أحب أن تعمل المرأة فى مهن خاصة بالرجل أصلاً . ذلك أن المجتمع العربى نشأ على مبدأ معاملة المرأة ، كمخلوق ناعم ورقيق ، له مكانته الخاصة ، والخاصة جدا » :

وعلى أية حال فإن موقف عبد الرحمن ، لا يعكس تشدداً من جانبه ، إذ لا يمانع فى أن تعمل المرأة فى أى مهنة أخرى تناسبها ، كالهندسة أو الطب . « والمرأة المحترمة فى النهاية ، تجعل أى مهنة تختارها محترمة » .

ومع ذلك ، ثمّة مهن لا يحبّذها عبد الرحمن للنساء ، « فأنا لا أحب أن تعمل المرأة " سكرتيرة " ، لتضطر إلى

مجاملة الجميع ، ولا أحبها كذلك أن تشتغل مندوبة مبيعات أو فى مجال التسويق ، لأنها قد تجد نفسها فى مواجهة ضغوط جمَّة ، بحيث قد تقوم بأى شئ للترويج للسلعة التى لديها ، وإقناع الزبائن بشتى السبل ، كى تحافظ على عملها الأمر الذى يُلحق أحياناً بكرامتها المهانة » .

ويجد عبد الرحمن أن المجتمع ، قد يظلم بعض النساء فى مهن كثيرة ، خصوصاً المهن النسائية الآتية من المجتمع الغربى ، وهنا يقول : « على المجتمع أن يقدّر ويحترم كل امرأة تكد وتعمل بشرف فى أى مهنة كانت ، لمساعدة زوجها فى إعالة أسرتها ، وتأمين سبل الحياة الكريمة لعائلتها » .

من طرفه ، يرى صالح المنهالى ، وهو رجل أعمال ، أن المرأة ، ومنذ قديم الزمن ، تساعد الرجل فى كل مجالات الحياة ، وتواكبه خطوة بخطوة ، وبعد أن صار العالم اليوم أكثر انفتاحاً ، بدأت المرأة تثبت نفسها وتحقق نجاحات لافتة فى ميادين ومهن كانت حتى عهد قريب حكراً على الرجل .

لكن ، حين يتعلق الأمر بزوجته ، فإن لصالح رأياً آخر « لا أوافق على أن تعمل زوجتى فى أية مهنة ، وأصر على أن تكون ربة منزل ، تهتم بشؤون البيت والأسرة . وأنا

متأكد من أن المرأة ، عموماً ، لو أدت واجباتها الأسرية الكاملة ، فإنها لن تجد الوقت لفعل أى شئ آخر » .

ويضيف : « بالنسبة إلى ابنتى ، فواجبى أن أتيح لها فرصة الدراسة ، للحصول على أعلى الشهادات . وهى حرّة إذا أرادت أن تعمل مستقبلاً ، سواء أكان لرغبتها فى ذلك أم مساعدة زوجها » .

على ضوء الآراء التى حصدناها من الرجال ، لم يكن فى استطاعتنا تجاهل صاحبة الشأن فى هذه القضية . فكان لزاماً أن نقف على طبيعة مواجهتها اليومية فى مجتمع ذكورى ، يرسم حول مهنتها علامة استفهام كبيرة ، فيها إدانة ، أكثر مما فيها من تشكك واستفسار .

تعترف سناء خليل ، وهى ممرضة ، بأنها تعانى كثيراً من انتقاص الرجال مهنة التمريض ، حيث تتحدث عن تجربتها فى هذا الشأن بمرارة : « لا أعرف لماذا يرفضون هذه المهنة الإنسانية ، ويعاملوننا كأننا فاشلات أو منحرفات ، متجاهلين شهاداتنا العلمية ، التى نلناها بعد عناء ، ومتناسين أيضاً قدرتنا على تحمّل الضغوط ، فى مواجهة المرض ، مع كل مريض نرعاه ونحرص على التخفيف من ألمه ؟ » .

وتعزو سناء رفض الرجال هذه المهنة ، لأسباب عدة ، « فثمَّة مَن يعترض على طبيعة دوام المرضى الليلى . وهناك مَن يتهمنا بإقامة علاقات غير شريفة مع الأطباء » . وتضيف : « لا أدرى سبب هذا الاعتقاد العارى عن الصحة تماماً . وللحقيقة فمجتمعنا يفضل الممرضة الأجنبية ، ويحترمها أكثر من ممرضة بلاده ، حتى وإن كانت على ذات القدر من العلم والكفاءة » .

ومع ذلك ، لم تفكر سناء فى تغيير مهنتها إطلاقاً ، « لقد درستُ التمريض لأننى أعشق المهنة ، ومقتنعة بها تماماً وعلى المجتمع أن يعى ، أن المرأة تستطيع إذا أرادت ، أن تحافظ على نفسها فى أى مهنة كانت . وعن نفسى فأسعى إلى تغيير نظرة الناس المجحفة إلينا ، آملة فى أن تضيق الهوة التى تباعد بيننا » .

وها هى كريمة جبّار ، عارضة أزياء ، تحب مهنتها وتدافع عنها ، على الرغم من إقرارها بأن الرجل الشرقى يتبنى موقف المعارض من هذه المهنة .

ولا تنكر كريمة أنها تسمع أحياناً بعض التعليقات ، التى تحاول الحط من شأن ما تقوم به ، لكن ، « ما أسمعه هنا وهناك ، من تعليقات وانتقادات ، يدخل من أذن ويخرج

من الأخرى ، فأنا لا أرى عيباً في أن أعرض الأزياء في قاعة محدودة ، ولمجموعة محدودة من الناس . وعلى كل ، فأنا لا أتعرّى مثل النساء ، اللاتي نراهن في الطرقات والأماكن العامة بملابس فاضحة .

وأتساءل : لماذا لا يُوجَّه النقد إليهن ، بدل أن يوجه إلى العارضة وإلى مهنتها ؟ » .

ولم يخطر ببال كريمة أبداً ، فكرة تغيير مهنتها أو الاستسلام للأقاويل ، « فأنا مقتنعة بأن ما أقوم به ليس خطأ أو عيباً » .

« لو كنت أتقن مهنة أخري ، لغيّرت مهنتي من دون تردد ، فقط لأتحاشى نظرة المجتمع إليّ » .

هذا ما صارحتنا به فيفيان ، التي تعمل مضيفة طيران ، منذ أكثر من ثلاث سنوات . عندما التقيناها لم تستطع أن تخفي أساها ولوعتها ، حيث راحت تحدثنا عن معاناتها قائلة : « إنها مهنة رائعة ، لكن المجتمع لا يرحم . أذكر كم مرة « جوّعتُ » نفسي كي أحافظ على رشاقتي ، ليقبلوا بي مضيفة جوية» .

وتتابع : « أهلي وافقوا وقتها ، ولكن مؤخراً بدأت أمي

تخبرنى عن ثرثرة الأقارب والجيران ، وبأنها لم تعد قادرة على إسكاتهم . ومازاد الطين بلّة ، أننى كنت على علاقة بشاب من محيطى ، لكنه تركنى لأنه لم يستطع تحمّل سفرى المتواصل » .

وهل تفكرين فى التخلى عن مهنتك ؟

- « إنها مهنة الأحلام ، ثم إننى لا أستطيع أن أتركها فى الوقت الراهن ، فلدىّ الكثير من الالتزامات » . وتتوقف فيفيان لحظة ، قبل أن تكمل بنبرة لم تخلُ من اليأس : « أحس أحياناً أننى أعيش فى غربة دائمة . لا أعرف ماذا أقرر فى المستقبل ، ولكن آمل أن يتغير مجتمعنا ، ويتوقف عن ظلم المرأة العاملة » .

أما حياة قاسم ، فتعمل سكرتيرة ، منذ أكثر من ست سنوات ، وعندما أخبرناها أن بعض الرجال يرفضون مهنة السكرتيرة للمرأة ، جن جنونها وكأننا بكلامنا ، نصب الزيت على النار : « سئمت هذه السخافات ، فليقولوا ما يشاؤون فأنا لا أكترث ، يكفينى أننى أقوم بواجبى ، بكفاءة وبما يرضى الله ويرضى ضميرى » .

وحياة متزوجة ، ولديها أولاد ، وعائلتها ، كما تؤكد ،

تحترم مهنتها وتؤمن بأهميتها فى المجتمع ، مثل أى مهنة أخرى . « ولو لم يشجعنى زوجى لَمَا استمررت حتى اليوم ، ولَمَا أصبحت سكرتيرة تنفيذية فى شركة كبيرة ، أديرها فى غياب صاحبها » .

وتختتم بسؤال استنكارى : « ثم هل علىّ أن أكون سكرتيرة ، لأكون على نحو غير محترم ؟ ألا يمكننى أن أقوم بذلك فى أى مهنة أخرى ، بل حتى وأنا ربة منزل ؟ » .

وتُلخّص سميرة المالكى وجهة نظرها ، فى هذه المسألة ، بكلمة واحدة هى : « الغيرة » . فالغيرة ، كما تراها ، هى التى تمنع الرجل من قبول مهنة المرأة ، الغيرة منها وعليها .

وتفصّل سميرة ، وهى إدارية ، هذه النقطة فتقول : « من الأزواج مَن لا يقبل أن تعمل زوجته فى المجالات ، التى تجعلها تحتك بالرجال ، لأن ذلك يُشعره بالغيرة الشديدة عليها ، ومنهم مَن يغار ، من أن تتقدم عليه زوجته ، فتشغل منصباً أرفع من منصبه وأعلى شأناً ».

وأثار كلام سميرة ، حماسة زميلتها فى العمل موزة محمد ، التى بادرت إلى القول : أعتقد أن رفض الرجل مهناً كثيرة تعمل فيها المرأة ، يعود إلى أن تفوّق المرأة فى

بعض المجالات ، يجعله يشعر بالخطر من إمكانية الاستغناء عنه ، فكلما تقدمت المرأة وبرزت ، أحس الرجل بتقلص دوره فى حياتها وفى المجتمع ، وهذا لا يناسبه » .

وتعى موزة أن تربينا الشرقية ، قد تلزم المرأة العمل فى محيط نسائى ، « لكن هذا لا ينفى أن مهن الأرض كلها صالحة للمرأة . والمرأة هى التى تختار أن يبادلها الآخرون الاحترام أو العكس » .

وتبدى أميرة سعادة ، وهى مديرة محاسبة ، استعدادها لتبادل وجهات النظر مع الرجل ، « لكنى ضد أن يفرض علىّ اختيار مجال مهنتى ، ما دمت قد اخترت مهنة شريفة ، وليست فيها إساءة لى ، أو لأى فرد من أفراد العائلة » .

وحول ما إذا كانت هناك مهن ، تلائم النساء أكثر من غيرها ، تشير فى هذا الصدد قائلة : « كلنا نتفق على أن ظروف مجتمعنا ، تجعل من بعض المهن ، ملائمة أكثر من غيرها للنساء ، كقطاع التعليم والطب ، والهندسة والصحافة والقانون ، والمهن الإدارية ، فى مقابل رفض أو عدم تقبّل مهن أخرى ، مثل السائقة والنادلة والميكانيكية وغيرها من المهن ، التى فصّلها المجتمع على مقاس الرجل

فقط » ، وبالنسبة إلى أميرة ، فإن المقياس الذى يحدد أن هذه المهنة مقبولة ، وتلك مرفوضة ، لا يعتمد على طبيعة المهنة بالضرورة ، بقدر ما يعتمد على كفاءة المرأة ، ومدى نجاحها وتميزها فى أداء وظيفتها ، « بالتالى أرفض أى مهنة قد تكون رائعة ولائقة جداً بالمرأة ، لكن مَن تعمل فيها ليست ناجحة أو كفؤة» .

ـ للرفض أسباب

ما المنطلقات أو المبررات التى يعتد عليها الرجل ، بوصفه نتاج مجتمع ذكورى ، فى رفض مهن للمرأة وقبول غيرها ؟

يتناول الدكتور عابد أبو مغيصيب ، استشارى الطب النفسى ، هذه المسألة موضحاً : « من حيث القدرة العقلية ، فإن المرأة تستطيع أن تعمل فى أى مهنة تريد ، لكن مجتمعنا الشرقى يميل إلى أن يسند إليها وظيفة لا ترهقها جسدياً ، ولا تتعارض مع كونها أماً وربة بيت » .

وحتى قبل ثلاثين عاماً ، كان مجتمعنا ، وفقاً للدكتور أبو مغيصيب ، يرفض أن تخرج المرأة من البيت . « وها نحن اليوم نرى آلاف المدرسات والطبيبات والممرضات والبائعات فالرجل فى يومنا هذا ، ليس كما كان عليه سابقاً ، والمرأة

بدورها تغيرت ، وتطور دورها فى الحياة . لهذا كله ، ليس ثمة مبرر للرجل ، لأن يرفض أى مهنة للمرأة ، ما دامت مهنة محترمة » .

وحول ما إذا كان للأمر علاقة بنظرة الرجل الدونية إلى المرأة يقول : « إنّ نظرة الرجل الدونية إلى المرأة ، مرتبطة بالتطور الزمنى ، فقبل بضع مئات من السنين ، كانت المرأة حتى فى أوروبا ، مهمشة ، ومع التقدم فى الزمن ، والارتقاء فى الوعى والفكر ، نالت المرأة حقوقها المهضومة لتنافس الرجل فى شتى ميادين المجتمع ، وبعد أن كان الرجل يسيطر بـ« عضلاته» على زمام الأمور الحياتية ، برز دور المرأة فى التخطيط والتركيز ، وإدارة شؤون الأسرة ، إلى أن نشأ شكل من أشكال التوازن فى العلاقة بينهما وبين دوريهما ، وما نتج عن ذلك من قدرة المرأة على الإبداع والخلق ، وخدمة الإنسان والمجتمع » .

ويتطرّق الدكتور أبو مغيصيب إلى الضغوط النفسية ، التى تتعرض لها المرأة أحياناً ، جراء شعورها برفض الرجل مهنة بعينها لها ، وهى ضغوط تتولد نتيجة تعرضها لأنماط عدة من المضايقات ، كالتعليقات أو توجيه الإهانات أو الإساءة المباشرة ، وإظهار عدم الاحترام لها . وهو ما يؤدى

فى النهاية إلى تعطيلها عن أداء دورها فى المجتمع وتحطيمها بدل تشجعيها وحفزها .

ويرى الدكتور جواد فطاير ، رئيس قسم علم الاجتماع فى جامعة الإمارات ، « أن تحفُّظ المجتمع إزاء اشتغال المرأة فى مهن بعينها ، وحصرها فى مهن أخرى ، ما هو إلا مؤشر إلى تحفظه إزاء مكانة النساء بشكل عام ، وانعكاس للمعتقدات السائدة ، سواء أكانت اجتماعية أم دينية . ويجب ألاّ يغيب عن الأذهان ، أن صوت عقل الرجل ، هو صوت عقل المجتمع ، وغالباً ما يكون التحفُّظ آتياً من الخوف على المرأة ، أكثر من الخوف منها » .

وهل هناك مهن محترمة للمرأة ، وأخرى غير محترمة ؟ ومَن يحدد تلك التصنيفات ؟

- « لا يمكن وصف أى عمل بأنه حقير أو محترم ، فكل الوظائف والمهن فى النهاية مصدر للرزق ، لكن المكانة الاجتماعية ، التى يضيفها المجتمع على المهن ، هى محور القضية هنا . والمجتمع يصنف المهن عادة ، بناء على أهميتها الإجتماعية . أما بخصوص الفوارق والتطبيق ، بناء على النوع ، ذكراً كان أم أنثى ، فكثير من المهن يقبلها المجتمع

للرجل ، ولا يقبلها بسهولة للمرأة ، مثل الوظائف المتعلقة بالنظافة ، والحراسة ، وغيرها من الأعمال التى تتطلب جهداً جسدياً » ، مستطرداً : « ولقد أضفى المجتمع على " جسد " المرأة قيماً ، مثل الرقة والنعومة والضعف ، والوسامة والهشاشة وغيرها من المواصفات . لذا قبلها المجتمع فى الإعلان مثلاً ، ولم يقبلها فى توزيع الصحف فى الشوارع ، أو قبلها فى الهندسة المعمارية ، ولم يقبلها فى الهندسة الميكانيكية ، التى تَتطلب جهداً كبيراً » .

ويتساءل الدكتور فطاير : « هل للمرأة أن تغضب من هذه الخصوصية ؟ » .

ويجيب عن تساؤله : « نعم ولا ، فبعض النساء يجدن أن تدخل المجتمع فى التصنيف المهنى ، نوع من إيقاع الظلم بهن ، والتحكّم فيهن ، وهضم حقوقهن ، بينما ترى فئة أخرى ، أن هذه الخصوصية تعبّر عن تقدير المجتمع مكانة المرأة الخاصة فى المجتمع » .

ويلفت الدكتور فطاير فى هذا الجانب ، إلى أن هذا الرفض الذكورى ليس فردياً ، وإنما سلوك جمعى ، له جذوره التاريخية المتوارثة ، « ولا شك فى أن ثمة تاريخاً

طويلاً ، من الظلم والإجحاف فى حق المرأة من الرجل ، لكننا لا يمكن أن ننكر أن الديانات السماوية ، وخاصة الإسلام ، قد رفضت التمييز بين المرأة والرجل ، فى كثير من القضايا ، وخاصة الواجبات والحقوق وبالذات العمل ، إلا أن المجتمع الحديث لا يزال متمسكاً بمعايير وتقاليد اجتماعية تضفى عليها الصبغة الدينية ، حتى تعطيها القوة والشرعية » .

ـ مهن مرغوبة :

من خلال استطلاع آراء العديد من الرجال ممَن التقيناهم كان هناك ما يُشبه الإجماع فى ما بينهم ، على المهن التى يختارونها للمرأة ، أو يفضلونها لها أكثر من غيرها . وهذه المهن هى :

- مدرّسة .
- طبيبة .
- مهندسة .
- محامية .
- مصممة ديكور داخلى .
- موظفة حكومية .
- موظفة فى بنك .

وحرص الرجال كذلك على أن يشددوا في اختيارهم الوظيفة الأنسب للمرأة ، على عامل الدوام ، بحيث يكون الدوام « مريحاً » ، بمعنى أن يكون قصيراً أو محصوراً في فترة النهار ، بعيداً عن الدوام الطويل أو الدوام الموزع على فترتين ، أو الدوام القائم على « نظام الورديات » .

٤.زواج المصريات من العرب.[(١)]

عقود غير موثقة وأبناء مجهولو النسب . .

زواج المال بالجمال . . أصدق وصف لظاهرة زواج العرب بالفتيات المصريات ، التي انتشرت في السنوات الأخيرة ، خاصة في الأوساط الفقيرة التي اعتبرت هذا الزواج طوق إنقاذ لها من عبء تربية البنت والإنفاق عليها ، وانتشالاً لها من قاع الفقر من خلال المهر الذي يدفعه الخاطب ، والنقود التي تتمكن البنت من إرسالها إلى أهلها إذا سافرت مع زوجها .

ومع صدور قانون منح الجنسية لأبناء المتزوجات من أجانب ، رغم ضوابطه المجحفة ، فمن المتوقع أن تتصاعد

---

(١) مجلة الزهور : العدد ٤٠ / فبراير سنة ٢٠٠٤م . تحقيق : منى سيف الإسلام .

الظاهرة فى ظل اطمئنان الزوجة ، إلى حصول أبنائها على الجنسية ، إذا انطبقت شروطها عليهم ، فضلاً عن أن بطالة الشباب ، وارتفاع تكاليف الزواج ، من العوامل التى ستؤدى إلى تفضيل الفتاة الزواج من ثرى عربى على انتظار ابن بلدها حتى تصبح إمكاناته ميسرة .

حول هذه الظاهرة فى ظل قانون الجنسية الجديد ، وأبعاد هذا الزواج السلبية والإيجابية والصورة المستقبلية له ، كان هذا التحقيق :

الاسم : أم سيد

المهنة : توفيق الرؤوس فى الحلال ، لكن ليس كل الرؤوس ، فهى متعهدة تزويج الفتيات المصريات من الأثرياء العرب ، سألتها : كيف امتهنت هذه المهنة ، فردت قائلة : الحكاية بدأت عندما تزوجت ابنتى من أحد السعوديين ، ومن خلال العلاقة الطيبة مع أسرته بدأ بعضهم يطلب منى ترشيح عرائس ، وبمرور الوقت أصبحت لى شهرة ، وأصبحت أتقاضى مقابل إتمام الزواج .

وأكملت : حين يريد شخص الزواج من مصرية يتصل بى ، ويحدد يوم وصوله فأرسل له السائق إلى المطار بعد أن

أكـون قـد اتصلت بأهل العـروس المتوفـر فـيـهـا المواصـفـات المطلوبة .

ألا تعرفين لماذا يتزوجون مصرية بالذات ؟

ـ طبعاً أعرف ، فالمصرية تتميز بالتواضع ، وتعيش تحت قدمى زوجها ، بينما الأجنبيات الثريات المتكبرات بسبب غناهن ، قد يتعاملن معهم معاملة سيئة ، بالإضافة إلى تميز المصريات بالجمال .

وليس صـحـيـحـاً ما يقـال عن أن ارتفـاع المهـور فى دول الخليج يؤدى إلى تفـضـيل الزوجـة المصـرية ؛ إذ أن الزوج العربى قد يكون متزوجاً بواحدة أو أكثر من بنات بلده .

وحول مواصفات العروس التى يفضلها العرب تقول أم سيد : أهم الشروط أن تكون بيضاء طويلة ، وشعرها ناعم وأهلها طيبون ومتدينة ، والأفضل أن تكون بكراً .

سألت أم سيد : هل صحيح أن بعض البنات أو ذويهم هم الذين يطلبون الزواج من عربى ؟

فردت : نعم ، ويتركون أرقام التليفونات لأتصل بهم حين أجد العريس المناسب .

وتعترف أم سيد بأن معظم هذه الزيجات عمرها قصير ، وفى أحيان كثيرة يذهب العريس ولا يعود ، فإحدى الزيجات تمت فى الثالثة صباحاً ، وطلقت العروس فى الثامنة من صباح اليوم التالى .

وأحياناً يطلب العريس زوجة ، ولكنها ترفض ، وترى أن قصر عمر هذا الزواج يأتى نتيجة لأسباب طارئة ، ففى كثير من الأحيان يدرك الزوج طمع البنت وأهلها ، وكثير من البنات لا تجد فائدة من الزواج بعد أن تحلت بالذهب ، وصارت ثرية فتسئ معاملته فيطلقها ، وكثير من الزيجات تنجح ، وتستمر .

وتؤكد أن هذه الزيجات انتشرت ، وخاصة فى العائلات التى - اشتهرت بناتها بالجمال - كما أنه ينتشر فى سوريا لشدة جمال الشاميات .

وهنا يتدخل فى الحديث ابنها سيد فيقول : زواج المصريات بالعرب سيزيد مع البطالة والفقر ، وانخفاض سعر الجنيه مقابل الريال ، والمبالغة فى طلبات الزواج ، فإن أهل العروس يصرون على قطعة أثاث اسمها « النيش » تتكلف بمفردها ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه ، لكن الزواج

العـــربى لا يكلف جـــهـــازاً ، بل يحل المشكلة المادية لأهل العروس .

بنات صغيرات وجميلات يحملن لقب مطلقات ، والغريب فى الأمر أن كثيراً من الأسر تعيد التجربة مع ابنة ثانية ، وحتى من طلقت تتزوج مرة أخرى .

روحية ـ ٢٧ سنة : أنا واحدة من ست شقيقات ، تزوجت رجلاً عربياً ، تخفيفاً للعبء عن أمى بعد موت أبى ورغم طيبة زوجى ومعاملة زوجته لى معاملة طيبة لكنى صممت على الطلاق وأعفينى من ذكر السبب .

صفاء ـ ١٧ سنة : رفض الجميع فى البداية زواجى من عربى ، لكن مع إصرارى وصغر سنه وافقوا ، لكن طلقت بعد عدة أشهر ، فلم أتحمل طباعه .

فاطمة ـ ٢٠ سنة : تزوجت أربع مرات من عرب ، وهى الآن فى انتظار الخامس ، وتتمنى أن يستمر الزواج ، وأن تسافر معه .

هبة ونجلاء وصفاء : ثلاث أخوات ما بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين سنة ، يتزوجن من العرب لرفض أبيهن تزويجهن من مصر ، فهو لا يستطيع تجهيز ثلاث بنات .

نجاة - ٢٦ سنة : زوجى متدين ، وطيب لكنى لا أعلم عنه شيئاً غير رقم تليفونه المحمول ، ولم يتصل بى منذ أربعة أشهر .

- وعن الوصف القانونى والطريقة التى تتم بها هذه الزيجات يقول الأستاذ جلال عبد العزيز - المحامى : إن زواج المصرية بأجنبى « عربى أو غير ذلك » يتم بطريقتين :

الطريقة الأولى : أن يحصل الزوج الأجنبى على موافقة من بلده بالزواج من أجنبية ، وتعطى له الموافقة بناء على شروط كل بلد ، ويتم توثيق العقد بالشهر العقارى الخاص بتوثيق عقود الأجانب ، وبهذه الطريقة يتم توثيق الزواج ، والاعتراف به لدى سلطات البلدين ، وتثبت به النفقة والنسب والميراث وحق الاصطحاب إلى بلده .

الطريقة الثانية : عقد زواج شرعى وليس رسمياً ، حيث يحضر المأذون لإلقاء الصيغة الشرعية للزواج ، بشهادة شاهدين عاقلين عارفين بشخصية المتعاقدين ، ومتوفر فيهما شروط الشهادة المطلوبة شرعاً وقانوناً ، يشهدان على أن الزوجين ارتبطا برباط الزوجية الشرعى ، وليس لديها أى موانع شرعية .

ويثبت بهذا العقد النسب لكن لا يعترف به خارج مصر فلا تسافر الزوجة مع زوجها أو يثبت حقها في الميراث إذا توفى عنها .

كيف يتم الطلاق بموجب هذا العقد الشرعى ؟

بطريقة تسمى طلاق الأجانب بناء على دعوة يقدم فيها العقد ، ويتم سماع الشهود .

وكثير من الزيجات فى الغالب لا يوثق ، وينتهى بتمزيق العقد أو غياب الزوج ، وعند الزواج لا تستطيع الفتاة أن تكتب فى العقد أنه قد سبق لها الزواج ، إذ لا وثيقة للطلاق أو شهادة وفاة ، وكثيرات منهن يتزوجن قبل انتهاء العدة .

ومع توصية رئيس الجمهورية بإعطاء الجنسية لأولاد المصرية ثارت بعض الأسئلة يجيب عنها دكتور فؤاد رياض - عضو جمعية القانون الدولى .

ما شروط إعطاء الجنسية لأولاد المصرية من أجنبى ؟

تعطى الجنسية بناء على الرابطة الفعلية للفرد بالدولة ، لذلك فالقانون القديم يعطيها لمن تتأكد له هذه الرابطة بعدة أشياء : الإقامة الكاملة المتواصلة لمدة عشر سنوات ، وأن

يكون قد بلغ سن الرشد ، وله مصدر رزق ، بالإضافة لإتقانه اللغة العربية ، هذه شروط إعطاء الجنسية لأى فرد سواء كانت أمه مصرية أم لا ، والجهة المنوط بها إعطاء الجنسية هى وزارة الداخلية .

إذن ما الذى سيقدمه القانون الجديد ؟

يتم العمل بالقانون القديم بتوصية من رئيس الجمهورية بالتسهيل لأولاد المصرية بناء على ما تبين من معاناة الكثيرات منهن ، ولا يدخل فيه من لم يبلغ سن الرشد ، وبناء عليه لم تحل مشكلة الأولاد الصغار ، وخاصة مصروفات الدراسة .

وعن حجم مشكلة الزواج من أجانب تتحدث ـ **الدكتورة هالة غالب** ـ الأستاذة بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ، فتقول : إن المشكلة الرئيسية هى عدم دقة الإحصاءات ، بالإضافة أن الكثير منها غير رسمى ، فإحدى الدراسات قدرته بـ ٢٨٦ ألف سيدة لديهن مليون طفل وشاب ، وبعضها قدرها بـ ٤٠ ألف حالة زواج من أجانب ، ومركز حقوق الطفل المصرى قدرها بـ ٢٠٠ ألف أم مصرية متزوجة من أجنبى ، أما وزارة الداخلية فقدرتها بما يقرب من المليون شخص مع استثناء أبناء المصرية لأب

فلسطيني والمعاقين ، وأبناء المصرية لأب ليبي أو يمني أو سوداني ، أو أردني ممن حصلوا على الإقامة المفتوحة ، حيث يمثلون ١٠ ٪ فقط من أبناء المصريات المتزوجات من أجانب ، بوثائق رسمية ، وهذا بخلاف آلاف الحالات من الزواج العرفي .

أما تاريخ المشكلة ، وكيف تفاقمت فتقول د. هالة : بدأت المشكلة في الزيادة بعد النكسة ، وزادت خلال عقد السبعينات وإلى الأن أكثر المتضررين هم الفلسطينيون يأتي بعدهم السودانيون والليبيون الذين عانوا طوال عمرهم من غلاء مصروفات الدراسة ، والإقامة فكلهم تقريباً لم يسافر خارج مصر طوال حياته ، بل لم ير أباه ولو لمرة واحدة في حياته ، وتزيد المشكلة تفاقماً إذا كان لهم اخوة من أب مصري حيث تحدث فجوة بسيطة في نفس أولاد غير المصري وزاد المشكلة تعقيداً أن كثيراً منهم تخرج ، وفرصة حصوله على عمل تكاد تكون مستحيلة ، فهم لا يعملون بالمصالح الحكومية ، أما المصالح الخاصة ، فتستبعدهم ، وإن حدث وعملوا فبعد معاناة لاستخراج تصاريح العمل ، والتعامل مع الجهات الرسمية .

هل من المتوقع أن يؤدى قانون منح الجنسية إلى زيادة عدد حالات الزواج من أجانب ؟

ترى ـ د . عزة كريم ـ الأستاذ بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ـ أن مشاكل الزواج من أجانب أخفها مشكلة الجنسية ، فهذه المشاكل متشبعة فكثير من حالات زواج الأجانب غير الموثق لم يتم فيها ثبوت نسب ، وكثير من أبناء هذه الزيجات كتب باسم خاله أو جده بعد عجز الأمهات عن إثبات النسب ، فكثير منهم ليس لديه أوراق يستطيع الحصول بها على جنسية مصرية .

وتضيف دكتورة عزة أن هذا الزواج يفتقد كل أركان الزواج ، ومنها النية فى الاستمرار وفكرة الاستقرار ، بالإضافة إلى فروق السن ، والعادات والطباع ، مما يجعل احتمالات الطلاق كثيرة ، فهو لا يقوم إلا على الرغبة فى المال من الزوجة والمتعة من الزوج . أما أسباب هذا الزواج ، فتقول دكتورة عزة : إذ يقدم كثير من الآباء على ذلك هرباً من الجهاز أو عدم القدرة على التجهيز ، بالإضافة إلى المهر المرتفع وتفضله البنات طمعاً فى السفر والثراء والمستوى المرتفع ، فضلاً عن أن إحجام الشباب عن الزواج بسبب ارتفاع تكاليفه ، جعل البديل أمام الفتاة هو الزواج غير

المصرى ، لكن السبب الرئيسى كما تراه دكتورة عزة هو انعدام الفهم الحقيقى لمعنى الزواج ، وهو الاستقرار والتوافق وغياب معنى الأسرة عن أذهان الكثيرات ، ولو قويت هذه المعانى فى أنفسهن سيتراجع المال أمامها ، بدليل أن كثيرات منهن بعد نضجهن يندمن ويدركن الخطأ الكبير الذى وقعن فيه ، ولا ترفض دكتورة عزة الزواج بين الجنسيات المختلفة ، وخاصة بين العرب فهو يدعم الروابط العربية لكنها ترفض الزواج الذى لا يقوم على الدعائم التى أرادها الله ، وبالتالى لا تتحقق فيه الحكمة فى إعمار الأرض .

٥ ـ الممنوعات الزوجية "جمر" تحت الرماد :[١]

تسود الحياة الزوجية الكثير من الممنوعات التى تطول المرأة . فإمّا يبلغها إيّاها الزوج بشكل مباشر ، وإمّا يوحى إليها بها من خلال نظراته وتصرفاته ، ولكن هذه الممنوعات ليس بالضرورة أن تروق لجميع النساء .

فما هى هذه الممنوعات ؟ وكيف تتعامل المرأة معها ؟

ـ يفرض أغلب الرجال إن لم نقل جميعهم ، قائمة ممنوعات على زوجاتهم . منهم مَن يصل إلى حدّ الطلاق إذا

(١) مجلة زهرة الخليج / العدد ١٣٦٥ / السبت / ٢١ / ٥ / ٢٠٠٥ تحقيق : نسرين درزى .

لم تتقبَّل الزوجة الخضوع لرغبته ، كما حدث مع زياد وأمين فؤاد ، ومنهم مَن يمسك العصا من الوسط ويكتفى بالخصام ونظرات العتاب .

أما النساء اللاتى يتمنين جميعهن وبلا استثناء ، أن يعشن حياة زوجية خالية من العُقَد والمحاذير ، فينقسمن إلى النوع المستسلم ، مثل أنيتا وشيرى اللتين قلّما تُعارضان زوجيهما ، وإلى النوع الأكثر تمرداً ، الذى تمثله تجربة رنسا وجوزيان ،قد يكون الطلاق نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لعدم التزام الزوجة بقائمة الممنوعات التى يفرضها عليها الزوج ، وقد يقع الطلاق لأسباب كثيرة أخرى ، لا يعلم حقيقتها إلاّ المُطلّقان ، وهذا ما حدث فعلاً مع زياد خليل محمد ، الذى انفصل عن أم ابنته قبل خمس سنوات . وهو إنْ لم يشأ الخوض فى تفاصيل الخلاف ، إلاّ أنه أشار فى معرض حديثه إلى أنّ طليقته كانت تسمع كلامه وتخضع لرغباته فى حضورة فقط ، ثم تفعل العكس فى غيابه ، ما كان يثير تحفظه .

ألا تعتقد ان قيودك كانت ترهقها ؟

ـ أبداً ، فأنا لست من نوع الرجال المُتسلِّطين الذين يتعاملون مع الزوجة بمفهوم الأمر والنهى ، وقد كنت خلال

سنوات زواجى مُتساهلاً ومُتسامحاً ، ولم أقيِّد حرية طليقتى بالمفهوم العام للكلمة . وإذا أردنا التكلّم فى العموميات ، فإنه من حق الزوج أن يمنع زوجته من التصرّف بعكس مزاجه ، ومن صلاحياته حتى أن يمنعها أيضاً من الذهاب إلى بيت أهلها إذا اقتضى الأمر ، وعليها طاعته . لكن النساء نوعان ، بعضهنّ مُطيعات ويسمعن الكلام ، وكل همهنّ إرضاء الزوج ، والبعض الآخر يتصرفن على هواهنّ ولا يكترثن لممنوعات الزوج ، وبحسب زياد ، فإن الأمور التى كان يعتبرها خطوطاً حمراً ليست كثيرة ولا معقدة ، وهى تتلخص فى إطار العادات والتقاليد الشرقية ، إضافة إلى تفاصيل أخرى تدخل ضمن طباعه الشخصية .

أما عن ردّ فعله عندما كانت طليقته تتصرف على عكس هواه ، فيقول : « لم أكن أنفعل بشدة ، وإنما اكتفى بعدم التحدث إليها ، وكان تصرفى هذا يرجعها عن خطئها لفترة لأنه ما من شئ يقلق المرأة أكثر من تجاهل الرجل لها» .

أما أيمن اسماعيل الذى مرّ على زواجه سنتان ، فقد عانى فى البداية عدم فهم زوجته طباعه وعدم تقيدها بنظام حياته ، إذ كانت تُخالف رغباته عن غير قصد ، وهو يبرر لها ذلك ويعزو الأمر إلى أنها تصغره بـ ١٤ عاماً ، ولم يكن من

السهل عليها التعرف مباشرة إلى كيفية الالتزام كلياً " بممنوعاته " ، التى وإنْ لم تكن كثيرة إلا أنها مهمة جداً بالنسبة إليه ، « فأنا لا أتحمل أن تكلمنى زوجتى فى أمور تافهة فور عودتى من العمل ، حين أكون منهكاً ، ولا أتقبل أبداً أن تقاطع مشاهدتى برنامجاً ما على التليفزيون من أجل فتح حديث يمكن تأجيله » .

وهذا ليس كل شئ ، فأيمن كزياد ، كانت له تجربة زواج سابقة ، وقد انفصل عن زوجته ، وهى روسية الجنسية ، لأنه كان يمانع أن تعمل . وهنا يوضح قائلاً : « قد لا يوافقنى البعض فى رأيى ، لكن عمل زوجتى مرفوض تماماً بالنسبة إلىّ ، ولا يمكن أن أقبل بعكس ذلك ، ويكفى أنى أعمل طوال النهار لأوفر الاستقرار لأسرتى ، ومن حقى عندما أرجع إلى البيت أن أجد زوجتى فى انتظارى ، وقد أعدت لى كل وسائل الراحة » .

لكن ألا ترى أنّ فى الأمر أنانية أو استبداداً منك ؟

ـ لا أبداً ، فأنا إمّا أقنع زوجتى وإما تقنعنى ، لكن إذا لم تتمكن من إقناعى فعليها أن تنفذ كلامى وألا تعارضنى .

إنّ اختلاف الطباع الاجتماعية بين الأزواج ، قد يكون

مؤشراً لعلاقة فاشلة كما حدث مع أيمن فى زواجه الأول ، لكنها ليست قاعدة عامة . فها هو ثابت فوزى ، متفاهم مع زوجته الرومانية التى ارتبط بها قبل عشرة أعوام ، ولديه منها ابنتان ، « فلو أردت مقارنة زوجتى بالكثيرات من النساء العربيات ، لوجدت أنها تفوقهنّ فى أمر الطاعة ومراعاة التقاليد الشرقية ، والسبب أنها تأقلمت مع طباعى وأدركت بعد السنوات الأولى من الزواج ، أننى صعب المزاج ، ولا أرضى بالخطأ . لذا فهى تتجنب الاقتراب مما هو ممنوع لدىّ » .

مثل ماذا ؟

ـ أولاً ، أنا مدير شركة وأتعامل مع طبقة اجتماعية بارزة لذلك أحرص أن تكون صداقات زوجتى على مستوى من الثقافة والوعى ، بما لا يتناقض مع مركزى ، الأمر الثانى الذى التزمَت به بعد مناورات طويلة بيننا ، هو تربية البنتين بحسب الديانة الإسلامية ، وقد تقيّدت بهذا الشرط ، إلى أن دخلت بنفسها فى الإسلام . أخيراً ، ومع أننى لست متعصباً لكننى أرفض اللباس الفاضح ، وهذا لم يكن يوماً مَا جدال بيننا ، لأنها متفهمة إلى أبعد الحدود .

« أنا معتدل ولا أمنع زوجتى من شئ ، سوى التدخل

في ما لا يعنيها ، ولا سيما الموضوعات المتعلقة بأهلي » ، هكذا باشر مالك على حديثه مبدياً ارتياحه الكلي لتفهم زوجته الكلي له في ما يتعلق بالأمر الوحيد الذي يمانع فيه ، لكنه سرعان ما كرّ سبحة الممنوعات ، وأضاف إليها ما يتوافق به مع أيمن ، إذ قال : « من الخطوط الحمر لديّ أن تطرح عليّ زوجتي الأسئلة عندما أدخل إلى البيت ، فهذا يقلق راحتي ويثير غضبي ، كما أرفض أن تذهب إلى أماكن لا أعرفها أو أن تضع المكياج ، لأني أفضلها على طبيعتها » .

وهل تلتزم زوجتك بكل هذه القائمة من الممنوعات ؟

ـ يضحك قائلاً : غالباً تفعل ، لكن الأمر لا يخلو من بعض التجاوزات ، وهي على مدى ثمانية أعوام من الزواج لم تحد كثيراً عن الخط ، وإن فعلت ، فيكفي أن أعاتبها بنظراتي ، حتى تفهم قصدي ، وهذا هو سر التفاهم والاحترام المتبادل بيننا .

يبدو أن التكلم مع الأزواج ، عند عودتهم من العمل بغير التأهيل والترحاب ، من المحرّمات المتفق عليها بين الرجال ، إذ أنهم بمجرد دخولهم عتبة البيت ، لا يتحمّلون سماع أي سؤال أو تعليق أو طلب ، والويل الويل لمن تخطئ وتفتح فمها ، متجاوزة الحدود . يؤكد هذا العُرف صادق

أحمد عبدو ، المتزوج بامرأتين ، الأولى مرّ على زواجه بها ٢٥ عاماً ، والثانية ثمانية أعوام ، وهو أب لبنت وستة أولاد « من الممنوعات البديهية التى أوصى بها زوجتىّ ألاّ تزعجانى بأى حديث سخيف فى الساعة الأولى من دخولى البيت ، وألاّ تسمحا بإقلاق راحتى عندما أخلد إلى النوم ، وأن تبعدا زحمة الأبناء عنى ، لأننى أكون متعباً وفى حاجة إلى الراحة التامّة » .

وهل تلتزم زوجتاك بالممنوعات ؟

ـ يحاول التهرّب من الإجابة ، كى لا يقع فى مأزق معهما ، ثم يجيب بدبلوماسية ، أحداهما شرسة وعنيدة والأخرى غالباً تسمع الكلام ، لكنهما فى النهاية تخضعان لطوعى ، لأنهما تخشيان غضبى ، فأنا حين أغضب يرتفع صوتى وأتلفظ بعبارات التحذير والوعيد والمُعاتبة ، لكننى أهدأ بسرعة .

ويرى صادق أنه من حق الزوج ، أن يفرض على زوجته رغباته ، وأن يمنعها من القيام بما لا يرضيه « شرط ألا يمحو شخصيتها وألا يضطهدها ، لأنها ليست مملوكة عنده » .

إذا كانت وجهة نظر الأزواج بهذه الجدية ، وبهذا الحزم

فماذا عن رد فعل النساء تجاه مثل هذه الإملاءات وسواها الكثير مما لا يمكن البوح به على صفحات المجلة ؟ وإلى أى مدى تصح مقولة أن المرأة تستسلم فى معظم الأحيان لرغبات زوجها ؟« لا ، أنا لا أطيع زوجى طاعة عمياء ، إنما أناقشه فى كل شئ » ، هكذا ردت رنسا مجلى على سؤالنا عمّا إذا كانت تلتزم بالمحاذير التى يفرضها عليها زوجها ، وتُورد أنهما منذ تزوجا قبل ١١ عاماً ، لم يغيّر أفكاره و « ممنوعاته » لها ، « وأكثر ما يُشدّد عليه ألاّ أخالفه الرأى إذا كنا فى جلسة مع أصدقائه ، حتى إن كان على خطأ ، إذ يعتبر أنه من المُخجل أن أجادله فى حضور الآخرين ، ويقول لى فى البيت عارضى رأيى كما تشائين ، لكن الويل لكِ أن تحرجينى أمام أحد » .

وهل تتحدينه من وقت لآخر ؟

ـ ليس بمعنى التحدى ، لكنى لا أستطيع أن أسكت دائماً عن الخطأ ، فهذا أمر يزعجنى ، ومن دون قصد أجد نفسى أعلّق على كلامه ، إذا لم يعجبنى رأيه ، وتكون النتيجة أن يغضب منى ، لكنى على الأقل « أفشّ » خُلقى بإيضاح وجهة نظرى .

ومن الأمـور الممنوعـة فى عُـرف زوجـهـا ، أن يسـمع ضجـيج الأبناء عندمـا يكون لديهـمـا ضيوف تماماً كمـا هى الحـال مع صـادق ، « وأنا لا يمكن أن أتحكـم دائمـاً فى هذا الأمر ، وأراه يُناظرنى بحدة لأتصرّف وأسـكّتهم فوراً لكنى « أطنش » ، ثم أسمع اللوم بعدها » .

وعلى الرغم من أنّ رنسـا لا توافق أن تخـضع لكل شروط زوجهـا ، إلا أنها تتغـاضى عن الأمر ، لأنها تجده كريم النفس والأخلاق .

ـ مشـاكسـة الزوج موجـودة عند جـوزيان نفـاع ، التى اسـتطاعت على مـدى خـمس سنوات من الزواج ، أن تقنع زوجها بأمور كان يرفضها ، فى حين فشلت فى اقناعه بأمور أخرى .

ومن بين هذه الأمـور ، اخـتـارت تجربتـين ترويهـما : « ففى البداية كان يرفض رفضاً باتاً أن أرتدى ملابس عارية الكتـفين ، لكننى مع الوقت غيّرت رأيه ، وبتُّ ألبس ما يعجبنى عندما يكون برفقتى فى السهرات العائلية ، أو إذا خرجنا للعشـاء ، أما مـا فشلت فى إقناعـه به ، هو مسـألة الوظيفة ، فهو يمنعنى من العمل » .

كما يرفض زوجها أن تمضغ العلكة في الشارع ، وأن تتحدث بصوت مرتفع أمام الرجال ، وفي الأماكن العامة ، وهذا ما لا تفعله أصلاً لأنه يسئ إليها .

٢٦ عاماً من الزواج ، جعلت من أنيتا خير الله امرأة هادئة عكس ما كانت عليه في بداية ارتباطها ، فهي اليوم باتت تطبق ممنوعات زوجها بسعة صدر أكثر من الأول ، ليس لأنها مقتنعة بها كلها ، إنما لأنها اعتادت على الأمر ، فأصبح من ضمن روتين الحياة كما تقول . وتعدد قائمة المحاذير عند زوجها على أصابع يديها والابتسامة ترافقها ، لكنها ولسبب ما لم تَرض أن ننشرها بالكامل، ومن أهمها « أسلوب تربيتي أبنائي ، فمن غير المقبول لديه أن أخفي عنه أي موضوع يتعلق بهم ، سواء أكان جيداً أم لا ، وهو لا يتسامح أبداً إذا اكتشف أنني أخفيت عنه أمراً للتستّر عليهم . وزوجي يرفض رفضاً قاطعاً أن أتصل به أثناء العمل إلا للضرورة، وإن فعلت ذلك لأمر عابر لا أدري كيف يكون رد فعله . وممنوع عليّ أيضاً أن أخرج بمفردي مساء ، أما خلال النهار فلا بأس ، شرط أن يكون لباسي محتشماً ، وأنا أساساً أرفض ارتداء الملابس الفاضحة ، وهو يمنعني من كذا ولا يحبني أن أفعل كذا وكذا . . » .

وهل تطيعينه دائماً ؟

ـ من قبل كنت أشاكس أكثر من الآن ، لكننى مع الوقت اكتشفت أن الحياة الزوجية مشاركة ، وأهم بكثير من أن نمضيها فى المشكلات والاعتراضات على رغبة الزوج ، لذلك أحاول غالباً أن أرضيه ، لكننى فى المقابل أرفض أن يفرض علىّ ما هو عكس قناعاتى .

لم تشأ شيرى موريس أن تعترف علناً أنها تقدم لزوجها الولاء والطاعة فى كل ما يمليه عليها ، منذ تزوجا قبل ١٢ عاماً ، وفضّلت عبارة « نحن متفاهمان على كل شئ ، لكن من الممكن أن يكون لديه رأى معين وأنا أنفذه بحذافيره» .

كيف ؟

ـ زوجى لا يحب أن أختلط بزملائى فى العمل ، أو أن أزورهم بمفردى ، ويفضل أن تكون زياراتنا معاً ، وهذا أمر لا يضايقنى كثيراً ، لأننى اعتدت ألا أجمع حولى الكثير من الصديقات .

وهل هنالك ما تنفذينه على مضض ؟

ـ تضحك مترددة ، ثم تقول : أحياناً يعجبنى لبس معيّن لا يروق له فأستسلم لرغبته وأطنش عن الموضوع . وقد

حدث أن اعجبتنى ملابس رياضية كنت جرّبتها قبل أسبوعين فذهب معى لإلقاء نظرة عليها ، ثم هز رأسه رافضاً أن أشتريها ، وفى النهاية كان له ما أراده » .

وفى نهاية حديثها تشجعت وباحت بما فى قلبها : « أعتقد أنه على المرأة أن تسمع كلام زوجها ، لكن فى بعض المواقف لابد من " المُجَاكَرة " ، وهذا ما أفعله عندما أضيق ذرعاً » .

قد تستهين المرأة أحياناً كثيرة بالممنوعات التى يفرضها عليها الزوج ، أو يحذرها من الاقتراب إليها ، لكن الجرّة لا تسلم دائماً ، وقد تقع على رأس الزوجة فى أى لحظة غضب أو « جنون » عند زوجها . وهذا ما حدث فعلاً مع ندى ، التى لم يكن مضى على زواجها سنة واحدة ، عندما أسمعها زوجها ما لم تكن تتوقعه .

ولأن الزوج كان بطل الموقف ، طلبنا منه أن يروى تصرفه تماماً كما حدث : « زوجتى كانت تعرف تماماً أننى لا أمزح فى كلامى ، وبمجرد أن آمرها ، عليها التنفيذ فوراً ، وسبق لى أن حذرتها بألاّ تقترب من دائرة الخطر عندى» .

نقاطعه لنسأله ما دائرة الخطر تلك ، فيجيب سريعاً :

« الممنوعات » . ثم يتابع كلامه بانفعال : « كانت عند أهلها وقد تأخر الوقت ، فاتصلت بها لأبلغها أن ترجع إلى البيت قبل المغرب ، فرفضت متحججة أنها متسلية مع أخواتها ولا تريد العودة باكراً ، فأبلغتها حرفياً : إن لم تنفذى كلامى حرفياً ، فالأفضل لك ألاّ تعودى أبداً إلى البيت » . ثم سكت مطولاً كأنه أسدل الستار عن حديثه .

وماذا حدث بعدها ؟

ـ لا شىء ، اتصلت بها ثانية ، وكانت لا تزال هناك ، فطلقتها فوراً ، عن طريق الهاتف .

نعم هكذا وبكل بساطة يهدم فؤاد كل ما يربطه بزوجته لمجرد أنها خرجت عن طوعه من دون أن تدرك حجم « الغلطة » التى ارتكبتها .

زوج مثالى :

ـ صحيح إن الممنوعات الزوجية يفرضها عادة الزوج ، لأنه الآمر الناهى فى البيت ، وعلى المرأة طوعاً أو رغماً عنها أن تخضع له ، لكن هذا لا يعنى أنه لا يوجد رجال مثاليون يكسرون القاعدة ولو باستثناء بسيط .

ويشكل باسم زيدان مثالاً للزوج المتساهل الذى لم

يفرض يوماً أمراً على زوجته ، ولم يمنعها من القيام بما فى خاطرها ، « لأننا متفاهمان منذ البداية على كل شئ ، ولم أجد داعياً على مدى ١١ عاماً من زواجنا ، أن أكدّر صفو العلاقة بكلمات حادة ، مثل التزمى بهذا ولا تفعلى ذاك ، وإيّاك وذلك التصرف ، فهذا أسلوب استفزازى لا يليق بعشرة العمر » .

ويذهب باسم فى تفهمه للحياة الزوجية أبعد من ذلك بكثير ، إذ أنه كما يُقدّر لزوجته التزامها بالسكة التى أرساها عليها منذ بداية ارتباطهما ، فهو أيضاً ينزل عند رغباتها فى معظم الأحيان ، « فأنا لا أتصرف بعكس رأيها كى لا أزعجها ، وليس عيباً أن يأخذ الرجل كلام زوجته فى عين الاعتبار ، لأنه كما يطلب منها القيام بواجباتها تجاهه ، عليه أن يبادرها ويقدّم لها كامل حقوقها ، ومن بينها إرضاء مشاعرها » .

وعن سر هذه المثالية عند باسم ، يقول بثقة : « لقد أمضيت فترة طويلة من حياتى فى أمريكا ، وهنالك تبلورت أفكارى . وإضافة إلى كونى ملتزماً فى قناعاتى ، أصبحت كذلك منفتحاً فى تصرفاتى ، لاسيما مع زوجتى وأم أبنائى الأربعة . وحتى إن كانت الحياة الزوجية لا تخلو من بعض الأخطاء ، إلا أننى أستوعب الأمور برحابة صدر » .

التوافق هو الأهم

هل يحق للزوج أن يفرض الممنوعات على زوجته ؟، وكيف للزوجة أن تتعامل مع هذه الممنوعات، وماذا لو رفضتها ؟ ما الطريقة المثلى للتفاهم حول « اللاءات » التى يضعها الزوج ؟ وماذا عن شخصية الزوجة ورغباتها الخاصة ؟

- كل هذه الأسئلة نقلناها إلى أستاذ علم الاجتماع فى جامعة الإمارات فى العين ، الدكتور موسى الشلال ، الذى ذكر أن هنالك عوامل عدة مباشرة وغير مباشرة ، تؤثر فى الممنوعات التى يفرضها الزوج على زوجته ، أهمها درجة معرفتهما ببعضهما بعضاً ، وحجم التوافق الثقافى والاجتماعى بينهما ، وسن كل منهما ، إضافة إلى عوامل أخرى أقل أهمية .

ويفصل كلاً من هذه العوامل على الشكل الآتى :

أولاً : إنّ معرفة الزوج والزوجة ببعضهما بعضاً ، قبل الزواج ، تحسم إلى حد كبير مشكلة قبول أحدهما للآخر بشكل دائم ، أو لفترة طويلة من الحياة الزوجية ، ففى هذه الحالة ليس من المنطق أن يطلب الزوج من زوجته ترك الأشياء التى اعتادت عليها ووجدت قبولاً منه فى بداية تعارفهما ، فإن أراد الزوج أن يضع الممنوعات ، فلابد له من

إقناع الزوجة بالمنطق حول المستجدات التى دعته إلى اتخاذ قرار مثل هذا القرار .

ثانياً : الخلفية الاجتماعية والثقافية للزوجين ، لهما آثار مباشرة على قبول أو رفض الممنوعات . فإذا جاءت الزوجة من أسرة أكثر تحرراً من أسرة الزوج ، فهنا قد تكثر الممنوعات ، وقد ترفض الزوجة هذا الوضع على اعتبار أنها لا تفعل شيئاً منافياً يستدعى هذا الرفض من قبل الزوج ، لأنها نشأت على هذا الوضع فى أسرتها قبل الزواج ، أما التوافق الاجتماعى الثقافى ، فيجعل الأمر أكثر سهولة بالنسبة إليها تقبّل ممنوعات الزوج .

ثالثاً : فى بداية الزواج يكون الزوجان فى سن الشباب حيث العواطف أكثر تأججاً . ويكون إرضاء الشريك من الأولويات ، كما أن مشاعر الغيرة لا تكون قوية وحادة ، لذلك لا نجد ممنوعات تُذكر فى هذه الفترة الرومانسية . ومع تقدم الحياة وزيادة الضغوط الاجتماعية والثقافية على كل منهما قد تتبدل هذه الحال ، وقد تظهر مشاعر الغيرة بشكل أقوى ، ما يدفع الرجل إلى أن يتعامل مع زوجته بطريقة مختلفة ، وهنا يبدأ فى تنبيه زوجته ، لأن تكف عن هذا

وذاك ، حتى تطول قائمة الممنوعات شيئاً فشيئاً ، وهنا أيضاً قد تظن الزوجة أن تصرفاتها عادية ، وليس هنالك أى مبررات لممنوعات الزوج الجديدة . هذا الوضع يُوجد نوعاً من التوترات فى الحياة الزوجية ، فالزوجة لها أن تختار ، إما أن ترفض طلب زوجها وتستمر فى ما كانت عليه ، وإما أن تلبى أوامره وتكف عمّا يطلبه منها ، على الرغم من عدم اقتناعها . وفى كلتا الحالتين تتوتر الحياة الزوجية ، فإن رفضت الزوجة سوف تجد الغضب من زوجها ، وإن خضعت رغماً عنها ستصاب بتراكمات نفسية فد تتفجر مستقبلاً بشكل مدمر .

رابعاً : البيئة الثقافية للزوجين لها تأثير مباشر أيضاً . فالمجتمع التقليدى المحافظ يفرض على الزوج أن يضع خطوطاً حمراً كثيرة لزوجته . وقد تنسجم الزوجة مع ذلك لمعرفتها بالبيئة الثقافية التى تعيش فيها مع زوجها ، ومعرفة متطلباتها . وهنا قد لا توجد خلافات كبيرة تؤدى إلى توتر العلاقة بينهما .

خامساً : هنالك نوع آخر من النساء لا يمانع من أن يضع الزوج قائمة للممنوعات ، لأنهن يشعرن بأن ذلك نابع من

حب وغيرة زوجية ، لكن إذا زاد الأمر عن حدّه ، فقد يؤدى إلى نتائج عكسية .

سادساً : المرأة بحسها وشفافية روحها ، تعرف إلى حد كبير ما الممنوع المرغوب ، وما الممنوع غير المرغوب ، كما أنها تعرف اكثر من أى إنسان آخر ، إذا ما كان هذا السلوك أو هذا التصرف مقبولاً أو غير مقبول لدى الزوج ، وهل الزوج مُحقّ أم لا فى وضع ممنوعاته هذه ، وهذا بالطبع يُسهل على الزوجة كيفية التعامل مع ممنوعات الزوج .

ويختم الدكتور شلال قائلاً : « إن كل المجتمعات الإنسانية تضع خطوطاً حمراً لأفرادها ، أو ممنوعات بعينها ، على أساس ثقافة ذلك المجتمع ، وما على الأفراد إلا الانصياع لها ، وإلاّ دفعوا ثمن تمرّدهم . فإذا سلكت الزوجة سلوكاً غير مرغوب فيه من قِبَل ثقافة المجتمع ، فلابد أن تتحمل نتائج سلوكها هذا .

٦ـ بسبب زوجى .. صرت الأم و.. الأب ! (١)

تشكو زوجات عن تقاعس أزواجهن عن مساعدتهن فى تربية الأولاد . لأن الزوج غير مسؤول بطبعه ، أو لأنه غير

---

(١) مجلة زهرة الخليج ، العدد ١٣٧٧ ، السبت ١٣/ ٨/ ٢٠٠٥ .

قادر على التفاهم مع أولاده ، أو لأن ظروف عمله تحول دون أن يُعطيهم الاهتمام المطلوب .

ماذا تفعل الزوجة فى هذه الحال ؟ هل تلعب وحدها دور الأم والأب ؟ وكيف لأولاد أن يُربّوا فى ظل أب حاضر لكفايتهم المادية ، غائب فى دوره كأب و« رجل » البيت ؟

« أتحمل مسؤولية أكبر من طاقتى ، ليتنى لم أتزوج . . ولم . . » .

تتوقف زينب هنا ، لتختنق كلماتها بدموع المعاناة . « لقد تزوجت منذ سبع سنين بصديق أخى ، بعد قصة حب طويلة ؛ صُدمت مع إنجابى طفلى الأول ، بتملُّص زوجى من مسؤولياته تجاه الطفل . فكرت فى وقتها أنه خائف من التجربة الجديدة ، وسرعان ما يعود إلى واجبه الأبوى » .

« حصل العكس تماماً » تكشف زينب والغصّة فى حنجرتها : « يستمر هروب زوجى من مسؤولياته حتى اليوم وعلى الرغم من أن عائلتنا كبرت مع ولدين آخرين . . » .

لا تعرف زينب سببا لهروب زوجها ، مع أنها تؤكد أنه يؤمّن حاجاتهم المادية على أكمل وجه ، « إنّما لم أره يوماً يلعب مع أحد الأولاد ، أو يُداعبه أو حتى يوجه ملاحظة ،

ينهره فيها عن خطأ ارتكبه » ، تحاول زينب دون يأس أن تدفع زوجها إلى ممارسة أبوّته ، والسبب هو أنّ « كبير أولادى صار واعياً ، وبات يطرح علىّ أسئلة حرجة ، وأنا تعبت من محاولاتى مع والده ، إعادته إلينا ، وأكاد أستسلم . هو لا يُبالى بنا مطلقاً ، وكأننا لسنا أسرته » .

تقرّ المدرّسة ناديا ، فى أوائل الخمسين من عمرها ، ولديها ولدان ، كبيرهما يدرس الهندسة فى دولة أجنبية ، أنها ربّت ولديها بمفردها ، « لم أدر قبل ارتباطى بزوجى ، أنه عديم المسؤولية . اكتشفت متأخرَة ، أنه رجل مهمل ، لا إنسانية فى قلبه ولا رحمة ، حتى مع أولاده ، يهتم بمَأكلهم ومشربهم ، لكنه لم يكن لهم يوماً أباً حنوناً » .

لا تبدو ذكريات ناديا جميلة مع زوجها ، لكنها لا تخفى عنا ابتسامة تضئ وجهها . إنها ، كما تقول : « عشت معه لأجل ولدىّ الحبيبن ، واستطعت بعون ربى أن أُنشئهما بتميّز فى الأخلاق والسلوك . لا أندم كـزينب على زواجى ، وأرى نفسى كبيرة . لقد حققت أحلامى مع شابين ، أفتخر أننى والدتهما » .

لم يُدرك زوج رويدة فداحة عدم قيامه بدور الأب إلاّ

متأخراً . « لطالما حاولت إشراكه فى قرارات تخصّ أولاده ، ولطالما حرّضته على معاقبتهم لتصرفاتهم المشينة ، من دون جدوى . كان يترك البيت وهو يصيح فى وجهى (هم أولادك ، فأدّبيهم) . تكرر الأمر مع رويدة آلاف المرات ، إلى أن استسلمت ، وتسلّمت شؤون أولادها الثلاثة ، متجاهلة زوجها ، « هو الذى أجبرنى على لعب دوره معهم فاعتادوا أن يرونى وحدى بقربهم ، متأهبة ومستعدة دائماً ، لتنفيذ رغباتهم » .

تروى رويدة حادثة جرت بين أحد أولادها ووالده ، تقول : « منذ أيام ، حاول زوجى أن يمنع ابننا الكبير من الخروج لتأخُّر الوقت . لم يذعن الولد لأبيه وخرج دون مبالاة ، ضارباً عرض الحائط بملاحظة والده . لدى عودته اشتبك الاثنان فى معركة كلامية ، انتهت عندما صرخ الولد فى وجه أبيه أن يتركه لشأنه ، رافضا تدخله الفجائى فى حياته . لم يعد له سلطة عليهم . . لقد أعدم بيديه أبوّته » .

تختلف وتتعدد آراء المتزوجين وتجاربهم . مدحت حلاوة ، متزوج منذ ثمانية عشر عاماً ولديه ولدان ، يصف الرجل الذى يلقى بمسؤولية تربية أولاده على زوجته ، « بالأنانى والاتكالى » ، و « لا أعذره على تقاعسه فى لعب

دور الأب مع عـائلتـه ، ولا أوافق على انسـحابه الجبـان من حـيـاتهم ، من دون سـبب قـاهر أو خـارج عن إرادته . كـمـا أسلمه ذنب أولاده ، لو انحرفوا أو أصابهم مكروه » .

يؤكد مدحت أن « زوجة هذا النوع من الرجال » تعانى لا محالة « ثقل المسؤولية » ، التى تُلقى على عاتقها ، « وتمضى حياتها خائفة ومُترددة ، من كل قرار تتخذه بصدد أولادها ، حتى لو كان قراراً بسيطاً أو تافهاً ، لأنها تعيش غياب زوجها غير المبالى وغير المسؤول » .

ويتـوقع حـلاوة أن « يرفض الأولاد أباً كـهـذا ، أو أن يكون صعباً عليهم تقبّله على حقيقته ، لأنهم لم يعتادوا عليه بقربهم ، ولأنهم يدركون جيداً ، أنه لم يتعب فى تربيتهم » .

لا يعطى مـحـمـد مـرسى ، مـتـرجـم قانونى متـزوج من خـمسـة وعـشرين عـامـاً ولديه ولدان ، أى حـجـة للأب الذى يهـمل تربيـة أولاده ، « أشـارك مـدحـت رأيه فى الموضـوع ، وأخشى أننى أحـمّل مـثل هذا الأب ، ذنب انحـراف أولاده حقاً » ، يقرّ محمد بأنه لطالما ترك لزوجته حرية تربية ولديه ، « لكننى كنت دائماً ، ومـازلت ، سيّد القرارات المصيرية . يحب أن يعى الآباء قيمة تربية أولادهم ، خصوصاً فى العمر الذى تصبح فيـه الوالدة غير قـادرة على السـيطرة عليـهم ،

وتفلت منهم خيارات تناسبهم ، أو أنها تعجز عن توفيرها لهم » ، يذكر محمد نوعين من النساء ، يتصرفان بشكل مختلف تجاه الموضوع ، « نوع يتغلّب على واقعه ، ويثقّف نفسه ليتطور مع تربية أولاده ، ويلعب دور الأب والأم بجدية . ونوع آخر من النساء ، يستسلم ويسلّم مسؤوليته كالزوج » .

يرى محمد فى الحالة الثانية « استسلاماً آخر للأولاد من مسؤوليات الحياة . وتكاسلاً تجاه المجتمع وأفراده » . وليست الحالة الأولى أفضل ، « فحين يربى الأولاد على يد أم ، يميلون إلى طبيعتها الأنثوية ، أو أنهم يستغلّون بذكاء عاطفتها الجيّاشة تجاههم . وهى مهما قست عليهم ، لن تقدر أن تُشعرهم بسلطة الأب وهيبته . . غالباً ما تخرج الأمور من يدها » .

ترفض راغدة رضا ، متزوجة منذ عشرين عاماً ولديها ثلاثة أولاد ، أن تربى أولادها بمفردها ، « ربما أعود عن رأيى هذا ، لو حكمتنى الظروف ، أو لو كان زوجى غير مسؤول أو مستهتر ، أو أنه لا يجيد لغة التفاهم والحوار مع أولاده . لكننى لن أسكت فى المقابل على جريمته ، وسأدفعه إلى لعب دور الأب إلى جانبى ، حتى لو اضطررت إلى جرّه

نحو هدفي ، معتمدة على فن الحجة والإقناع » ، تعتبر راغدة نفسها غير اتكالية بطبعها ، لذلك ترى أنها إذا واجهت مشكلة من هذا النوع ، ستقوى وتتغلّب عليها ، « يتماسك الإنسان ويصبح أكثر صلابة عندما يتحمّل المسؤولية ، ويحبّ نوعياً أن يواجه لينجح ، في ذلك حافز لي على الاستمرار أكثر فأكثر » .

وتنفي راغدة ، أي انعكاسات محتملة للموضوع على الزوج ، « لن يترك الأمر أي رواسب سلبية في نفسه ، لأنه بطبعه لا يعي حجم مسؤوليته كأب ، ولن يفكر فيها من أصله . وقد يحصل الأمر نفسه للأولاد إذا اجتهدت في لعب دور الأب والأم معهم ، إنما ذلك مستحيل وصعب ، لا يمكنني أن ألغي دور الوالد ، كما يستحيل أن يلغي هو دوري كأم » .

يُشدد سعيد بزغود ، إداري ، متزوج منذ تسع سنوات ، لديه ولدان ، على أنه يحرص على تربية أولاده مع زوجته ، « يحتاج أولادي إليّ وإلى أمهم ، لا أجرؤ على إسقاطهم من حياتي ، أو أن أتحاشى مسؤوليتي كأب تجاههم » .

يتوقّع سعيد أن يعاني أولاده نقصاً في الحنان ، لو أنه تركهم لوالدتهم كي تربيهم ، « أصرّ على أنّ لي دوراً معهم

ولزوجتي دورها أيضاً . لا يمكن الخلط بين الدورين أو تغييب أحدهما ، كي لا يضيع الأولاد أو يصبحوا في الشارع بلا تربية وبلا أُسس ومبادئ » .

ينظر سعيد إلى زوجته الواقفة بقربه ، ويُعلّق : « أخاف أن أصبح عجوزاً ، أو أن يكبر أولادي ويتجاهلونني لأنني قصرت في تربيتهم . لن أقع في خطأ من هذا النوع ، لأكتشف لاحقاً أو عندما يفوت الأوان ، أنّ أولادي لا يبادلونني مشاعر العائلة الواحدة ، يُخيفني أن أفكّر في الموضوع » .

توافق الإدارية سميرة يمني على كلام زوجها سعيد : « فهو على حق ، يحتاج الأولاد إلى كلينا . ربما فرضت الظروف عليّ أن أقوم بدوره وبدوري في الوقت نفسه ، لكن صعب ذلك كما قالت راغدة . دور الأب وحضوره مع أولاده ، لهما حقيقة أخرى ، من الصعب أن أفرض سلطته الأبوية بالطريقة نفسها ، وأنجح في سَنّ نظام طبيعي ومتكامل ، يحتاجون إلى الدور الرجولي لينشأوا من دون عقد نفسية ، تنزلق بهم إلى سلوك طريق غير مستقيم » .

تنظر سميرة إلى زوجها ، تمسك يده بحنان وتختم : « يحتاج أولادي إلى والدهم ، كما أحتاج إليه كزوجة ،

سأمنعه من أن يُدير ظهره لى أو لهم ، حتى لو كلّفنى الأمر سنوات نقاش مفتوحة إلى ما لا نهاية » .

لا يخفى محمد الفلاحى ، رجل أعمال ، متزوج منذ عشر سنوات ، لديه خمسة أولاد ، رفضه الردّ على موضوعنا ، إلا أنه عاد وغيّر رأيه ، ليؤكّد : « لن تستطيع زوجتى أن تقوم بتربية أولادنا وحدها ، قد تعجز عن السيطرة عليهم ، وبالتالى سأفقد شخصيتى أمامهم ، ويصبح وجودى بينهم أو غيابى سيّان »

لذا ، يشير محمد إلى أنه لا يفكر مطلقاً ، فى تسليم دوره كأب ورب أسرة ، إلى زوجته ، « اليد الواحدة ، لا تصفق . تحتاج زوجتى إلىّ فى مسألة تربية الأولاد ، يستمدون روح القوّة والرجولة ، وتقوى شخصيتهم وتتحصّن فى مواجهة أمورهم الحياتية ، من خلال أبوتى . أرفض أن أظهر لهم أننى غير مسؤول عنهم ، أو أننى أتكل على أمهم ، الاتكالية لا تصنع أسرة أبداً » .

يستحيل بالنسبة للإدارية سناء جمعه ، متزوجة منذ عشرين عاماً ، لديها ثلاثة أولاد ، أن تقبل تربية أولادها وحدها ، « أخاف أن أقصّر معهم فيربون بطريقة غير سليمة وجود والدهم فى حياتهم مكمل لوجودى أنا » .

يجب على ربّ الأسرة أن يراقب أولاده ، فى اعتقاد سناء ، « وأن يحرص على تنشئتهم ، بأخلاق حميدة ، إذا كان أباً حقيقياً ، ويسعى إلى تكوين أسرة ممتازة ، مبنية على الأخلاق الحميدة » . وتؤكد أنه ، « إذا لم يفعل ذلك ، أو إذا أهمل وقصّر فى حقهم ، سيتأثر الأولاد سلباً فى دراستهم ، وسيعانون مشكلات نفسية وضياعاً وعدم استقرار وضياعاً وعدم استقرار . لا أسمح لزوجى بأن يدفع بأولادى إلى نتيجة كهذه ، سأواجهه بالتأكيد ، لأضع مسؤولياته تجاههم نصب عينيه » .

أما المُحلّل المالى محمد خلف ، متزوج منذ عشرين عاماً لديه ثلاثة أولاد ، فيقول : « إن الأسرة تحتاج إلى أب يديرها ، بشكل صحيح . « يحتاج الأولاد إلى قُدوة ، وفى الغالب يكون الوالد هو المثال فى ذلك ، لأن الرجل يتميّز بالحزم والعقل والمنطق ، بينما تغلب كفّة العاطفة عند النساء أو الأمهات »

عندما تغيب صورة الأب القدوة ، يستنتج محمد : « يضيع الأولاد من الناحيتين الدينية والاجتماعية ، وتنهار الزوجة وتتحطم نفسيتها » .

لم يَرض محمد أن يتصوّر نفسه يتجاهل أسرته

ومسؤوليتها ، « لا أستطيع أن أصف شعور رجل من هذا النوع ، وأرفض حقيقة أن أعترف بأنّ له مشاعر أساساً . ما من رجل يهتم بشئ أكثر من اهتمامه بأسرته ، هى رسالته فى هذه الحياة ، ولا يمكنه الإفلات من واجب تأديتها بشكل سليم ، مهما كلفه الأمر » .

ترى هالة الهلالى ، متزوجة منذ واحد وثلاثين عاماً ، لديها ولدان ، أنّ الأم تحب أن تربى أولادها فى العادة ، « لكننى أرفض أن أربى ولدىّ ، لأنهما يحتاجان ، وكما قال محمد ، إلى الشدّة والحكمة من والدهما ، والحنان منى . لا يقل دور الأب أهمية عن دور الأم فى مسألة التربية ، فإلغاء أحد الدورين ، يقود بلا شك إلى مجهول ، لا يُطمئن » .

ربما تَعمَد هالة إلى فرض صورة زوجها على ولديها ، إذا لمست تقصيراً منه ، « يضبط أسلوب التخويف من صورة الأب الشديد ، نزعة الأولاد الانحرافية فى مقتبل عمرهم ، غير أن هذه الهالة الواهية للأب ستسقط عندما يكبرون ويدركون الحقيقة » .

لذلك لن تتردد هالة فى مناقشة الموضوع مع زوجها ، إذا اضطرت إلى ذلك ، « خصوصاً عندما يتمتع زوجى بصفات

جميلة أخرى ، مثل الكرم واللياقة والاحترام لنفسه ولى . سأفيد من هذه النواحى الحميدة ، لأعزز وجوده فى صميم الأسرة على النحو المطلوب » .

يثق رضا مرسى ، مهندس ميكانيكى ، متزوج منذ نحو الثلاثين عاماً ، لديه ولد وبنت ، بأن تنفرد زوجته بتربية ولديه ، « هى امرأة مثقفة وتستطيع أن تتحمّل مسؤولية بهذا الحجم » . وعدم تدخل رضا فى أمور الأسرة كثيراً ، لا يعنى بالضرورة أنه لا يعى مساحة وجوده المفروضة ، « تعود زوجتى إلىّ فى القرارات الحساسة ، وفى أمور البيت والأسرة ، وأعيش تناغماً مريحاً مع ابنى وابنتى ، يُشعرنى بأُبوتى تجاههما » . يتهم رضا الأب غير المسؤول عن التزاماته فى تربية أولاده ، بأنه يجنى عليهم ، ويحولهم إلى عناصر غير صالحة فى المجتمع .

- واجبات أبوية :

« لا يكفى أن يدعم الأب أولاده اقتصادياً ، عليه أن يسهر على راحتهم ومتطلباتهم الإنسانية ، ويغمرهم بعاطفته وحبّه وشدّته ، وغيرها من الواجبات » . يختصر فادى إسماعيل ، مدير مبيعات ، متزوج منذ ثمانية أعوام ، لديه

ولدان ، بهذا الرد ، رؤيته الأب المثالى ، تقاطعه زوجته أمينة محمد ، لتعلّق : « كيف لأب أن يغفو عن وسادته ، وهو لم يكمل واجباته تجاه أسرته ؟ » .

« سيأكل هذا الرجل أصابعه ندامة » يجيب فادى : « عندما يعى الجريمة التى يرتكبها فى حق أولاده ، وغالباً ما يندم بعد فوات الأوان » .

تضيف أمينة إلى كلام زوجها ، كأنها تُحدّث نفسها : « لو تورطت مع رجل غير مسؤول ، سأشعر بعدم الأمان والاستقرار ، وسأقضى الليالى مع القلق ، على ما يحمله الغد لى من جديد ، أقرر وحدى ما هو أصلح لأولادى ؟ » .

« الخوف من المستقبل ومن الانفراد بقرارات خاطئة ومصيرية » . يُجيبها زوجها من جديد : « يُقلق المرأة ويُهدد استقرارها فعلاً ، ويدفعها إلى اللجوء إلى ملاذ آخر ، كصديقاتها أو أهلها ، ما يُحتّم تدخلات خارجية فى الأسرة فتبدأ المشكلات » .

« يظلم المرأة هذا الموضوع » ، يتابع فادى ، « ويخلق نوعاً من التسيّب لدى الأولاد ، أو الدلال الزائد والكسل ، وعدم الاعتماد على النفس » .

تتدخل أمينة لتُشاطر زوجها الرأى : « من واجب الزوجة ألاّ تُغيّب دور زوجها عن أولادها ، حتى لو كان هو غير مُبال ، فى وسعها أن تفرضه عليهم بحكمتها وأسلوبها الذكى ، فتطبع احترامه فى صميمهم . بذلك تحافظ على أسرتها ، أملاً فى أن يعود الأب إلى رشده ، ويحتل موقعه الذى لم يتهدد يوماً » .

ـ يرتد بالخطر على الأولاد :

يعزو الدكتور محمود صادق سليمان ، أستاذ علم الاجتماع فى جامعتى الإمارات والقاهرة ، تقاعس العديد من الرجال عن مهمة رعاية زوجاتهم وأولادهم ، إلى حالة البلادة التى تنتاب هؤلاء الرجال ، وعدم قدرتهم على تفهُّم معنى الحياة الزوجية ومسؤولياتها . فبعض الرجال يتصور أن الزواج ارتباط شكلى وليس ارتباطاً مسؤولاً ، فيتوانى الكثيرون منهم عن مباشرة مسؤولياتهم ، عندما يجدون زوجاتهم يملكن الضمير والأخلاق الدينية ، التى تفرض تحمُّل المسؤولية الكاملة ، من التربية والإشراف والتوجيه والعمل . ويتصورون أن دورهم يقتصر على تأمين المال فقط مايؤثر سلباً فى الأسرة ، ويساعد على ظهور حالة من

التفكك الاجتماعي ، ومشكلات تعكس ذلك الخلل » .

يتابع : « لذلك تضطر الأم إلى القيام بالدورين معاً ، حفاظاً على البناء الأسرى ، تتحمل أعباء تثقل كاهلها وتعرضها للأمراض ، أو ترفض فى أحيان أخرى ، مثل هذا التقاعس من جانب الأب ، فتطلب منه الانفصال لعجزها عن ثنيه عن دوره السلبى .

وينصح الدكتور سليمان الأم ، فى حالة إصرار الأب على رفض تحمّل المسؤولية تجاه أولاده ، بأن تفترض وجوده مثل عدمه ، « وتستكمل الطريق بمفردها ، على اعتبار أن وجوده فى الحياة فى حد ذاته ، يمثل رمزاً من رموز الأسرة واستقرارها وضبطها ، محاولة الحفاظ على الشكل الخارجى ورسم صورة طيبة لهذا الأب أمام الأبناء » يختم الدكتور سليمان ، إن تقاعس الأب عن ممارسة واجباته الأبوية إزاء أبنائه ، يؤدى إلى انعكاسات نفسية سلبية عليهم ، وعلى الأم معاً .

ـ يجد الدكتور عابد أبو مغيصيب ، اختصاصى الطب النفسى ، أسباباً كثيرة تجعل الرجل يتقاعس عن مساعدة زوجته فى تربية الأولاد ، ويعددها : « العمل وخلافاته مع زوجته ، مشكلاته الشخصية وطباعه ، إضافة إلى أمراض

كثيرة من المحتمل أنه يعانيها ، مثل الإدمان والذُهان ، والإعاقات الجسدية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية » .

وفي هذه الحال « على الزوجة أن تلعب دور الأم والأب مع الأولاد ، لحل المشكلة ، أو أنه عليها أن تسعى إلى حلها مع ذوى الخبرة والأهل ، وذلك بحسب الدوافع والظروف المحيطة بهذه المشكلة ، وإذا كانت هى راغبة فى الحل » .

ويرى الدكتور أبو مغيصيب أنه يفترض على التربية الصحية والسوية والطبيعية ، أن توفر للطفل الإشباع العاطفى والحسى ، وكذلك المادى ، أى الغذاء والمَلْبَس ، « يحتاج مَن يحمله ويُقبّله ويُدغدغه ، ويلعب معه ويُطعمه ويسقيه ، ويُشرف على حاجاته بفيض من الحب ، وكذلك على الزوج أن يعامل زوجته بالمثل ، كى تغدق عليه فى المقابل من حنانها وحبها ، ما ينعكس بسيل من العواطف على الأطفال » ، أما عن الانعكاسات النفسية التى يتركها غياب الأب على أفراد الأسرة ، فيقول : « ستكون حياتهم بلا تفاهم ورعاية وعاطفة ، يشوبها الإهمال وترتدّ بالخطر الشديد على الأولاد ، ما يؤدى إلى تدنى مستواهم الدراسى واضطراب سلوكيات غير حميدة واكتساب عادات سيئة ، وأمراض عضوية ونفسية لدى الأطفال وسوء تغذية وما يتبعه

من عواقب وخيمة . أما بالنسبة إلى الأب والأم ، فيمكن إصابتهما بالتوترات والأمراض النفسية واضطراب في الشخصية ، ويكون العلاج باستشارات أسرية من قبَل طبيب أو اختصاصي اجتماعي ونفسي » .

هل يحق للزوجة أن تتقاضى أجراً لقاء إرضاع طفلها ورعاية منزلها ؟ (١)

« يحق للزوجة المطالبة بأجر لقاء إرضاعها أطفالها أو قيامها بالأعمال المنزلية » . هذا اختصار ما نصّت عليه فتوى مفتي مصر الدكتور علي جمعه أخيراً ، التي أثارت سجالاً ضمن الدوائر الفقهية والدينية ، كما الاجتماعية ، لا يزال مستعراً حتى الآن . فهل ما جاء في الفتوى " جديد " ، و " صادم " حقاً ، أم له سوابق وحيثيات شرعية تبرره ؟ وهل الرجل والمرأة العربيان والمسلمان مستعدان اليوم لتقبُّل مثل هذه الفتوى ؟ وما أثرها المحتمل ، في حالة العمل بها ، في العلاقات الزوجية ؟

تنص فتوى الدكتور علي جمعة ، على أنه يحق للزوجة الامتناع عن خدمة زوجها وأولادها ، والمطالبة بأجر عن

---

(١) مجلة زهرة الخليج ، العدد ١٢٦٣ ، السبت ٣ / ١ / ٢٠٠٤ .

إرضاع أطفالها . أما مسوّغ هذه الفتوى فيشرحه نصها أيضاً حيث يؤكد أن المرأة لا تتزوج لتصبح خادمة ، بل لمؤانسة زوجها ، وبالتالى فإنه من واجب هذا الأخير التكفّل بنفقتها وجلب خادمة لها .

وتضيف الفتوى أنّ خدمة المرأة زوجها ، إنما هى من باب التفضّل لأن الزواج فى الشريعة الإسلامية ، لا يهدف إلى بناء أسرة فحسب ، بل لدرء الفتنة .

وبعد العاصفة التى أثارتها الفتوى ، كان لابد للمفتى جمعة من الدفاع عنها ، فأوضح بداية فى تصريحات صحافية عدة ، أنه لم يأت بجديد ، وكل ما فعله التذكير بفتوى الفاروق ، عمر بن الخطّاب (رضى الله تعالى عنه) ، وغيره من الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) . كما أنّ المذهب الشافعى ينص عليها . أما في زمننا الراهن ، فإن قانون الأحوال الشخصية فى إيران ، بعد الثورة الإسلامية ، ينص عليها كذلك .

وذهب الدكتور جمعه فى تفسير بعض ما بدا غامضاً ، أو ملتبساً فى فتواه قائلاً إنّ مقاصد الزواج فى الإسلام ، هى المودة والسكن وتعاون الزوجين على البرّ والتقوى . وقد

بيّنت الشريعة حقوق كل من الزوجين على البرّ والتقوى .
وقد بيّنت الشريعة حقوق كل من الزوجين وواجباته ، ومنها حقّ الزوجة في أن ينفق عليها زوجها ، فيُطعمها ممّا يأكل ويكسوها ممّا يلبس ، وأن يلين لها القول ، وألاّ يهجرها في المضجع ، إلاّ كإجراء استثنائي في حالات النشوز .

أما الحجة الدامغة ، بالنسبة إلى المفتي ، في ما يتعلق بمسألة الأجر ، فموجودة في النص القرآن : « فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن » . لكن المفتي استدرك موضحاً ، أنه إذا كانت حال الزوج المادية لا تسمح بذلك ، والزوجة راضية ، فلا بأس ، مشيراً إلى رأي بعض الفقهاء ، القائل إنه على الزوج أن يُحضر لزوجته خادمة تقوم بأعمال المنزل ، لأنها ليست ملزمة بالعمل كخادمة له ، على اعتبار أنّ عقد الزواج قاصر على الاستمتاع .

جاءت توضيحات المفتي ، بعد موجة الانتقادات العنيفة التي وُجّهت إلى فتواه ، وإن تضمّن بعض الرفض إقراراً ضمنياً بصحة ما ورد في الفتوى ، أو جزء منه على الأقل .
فيشير الدكتور طه ريان ، أستاذ الفقه المقارَن في الأزهر ، إلى خلافات فقهية حول التزامات الزوجة المنزلية . فثلاثة من المذاهب الأربعة ، ترى إلزام الزوجة بالقيام بالواجبات

المنزلية ، في حين ينفرد الشافعى بالنص على عدم إلزامها . وفى أى حال يرى ريان ، أنّ الأمور والمعايير اختلفت عن زمن صدور آراء المذاهب الأربعة فى هذا الشأن ، « والعبرة هنا فى العرُف الاجتماعى ، الذى نعيش فى إطاره » . ويمكن الوصول ، بحسب ريان ، إلى منطقة وسطى فى هذا المجال « فإذا كانت الزوجة تستعين فى منزلها ، قبل الزواج بخادمة ، فعلى الزوج الذى يرتبط بها أن يُحضر لها خادمة ، لكن بالطبع إذا كان ميسور الحال ، على اعتبار أنه كان يعرف أوضاعها قبل الزواج . أما إذا لم يكن ميسوراً ، فلا إلزام عليه ، حيث يقول سبحانه وتعالى ، ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ .

ويضيف ريان ، أن المبدأ نفسه ينطبق على الرضاعة ، مُذكّراً فى الوقت نفسه بحُسن رعاية النبى الكريم أهله ، ﷺ إذ لم يرَ عيباً فى أن يساعد زوجاته . وفى الوقت نفسه كانت ابنته السيدة فاطمة تقوم بواجباتها كزوجة ، بما فى ذلك خدمة الزوج وإرضاع الأطفال ، « فإذا كانت ابنة سيد الخلق التزمت بذلك ، فيجب على كل المسلمات الاقتداء بها » .

وتُفرّق الدكتورة سعاد صالح ، أستاذة الفقه فى الأزهر المعروفة كأول مفتية نساء فى مصر ، بين الإرضاع والخدمة .

فحق الزوجة في تقاضي الأجر لقاء الإرضاع ، منصوص عليه في الآية آنفة الذكر ، كما في آية أخرى ، ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ ، إلا إذا تنازلت المرأة قانعة عن حقها هذا . أما في حال طلبها الأجر من الزوج ، فعليه أن يؤديه لها ، سواء أكانت تحت عصمته ، أم مُطلقة منه . وتتفق الدكتورة صالح مع الدكتور ريان ، في قضية خدمة الزوجة بيتها وزوجها ، فتؤكد مجدداً أنه يحق للزوجة الحصول على خادمة ، إذا كانت هذه حالها في منزل أبيها ، « لأن النفقة عند جمهور الفقهاء واجبة على الزوج لزوجته ، في مقابل حق الاحتباس ، أي أن تكون الزوجة مهيّأة لتلبية رغبات زوجها » .

يتخذ الدكتور عبد الحي عزب ، أستاذ أصول الفقه في كلية الشريعة والقانون ، في جامعتي الأزهر ومسقط ، موقفاً مشابهاً من القضية ، من الناحية الفقهية ، معترفاً بأنها قضية خلافية ، لكنه يميل إلى إعمال المنطق والعقل لترجيح كفّة ، من السجال على الأخرى : « يفترض المنطق السليم وأصول التربية الصحيحة ، أن الطفل السليم ، هو الذي ينشأ على الرضاعة الطبيعية ، التي من جهة أخرى تعزز العلاقة بين الأم ووليدها . فالأمومة تجعل المرأة تميل تلقائياً إلى إرضاع

طفلها ، ولا تمتنع عن ذلك ، إلاّ التى حُرمت حنان الأمومة وهى استثناء فى المجتمعات كافّة » .

المنطق العقلى نفسه ، يحكم كلام الدكتور عزت مصطفى ، أستاذ أصول الدين ، الذى يرى فى فكرة أن الزوجة للفراش فقط ، فكرة خاطئة ، مُشدّداً على أن الزواج من نواحيه المختلفة مسؤولية مشتركة ، « فإذا كان الزوج يعمل وحده ينبغى أن تتكفل الزوجة بالقيام بالأعمال المنزلية . أما إذا كان الزوجان يعملان ، فيجدر عندها تقسيم الواجبات بينهما » . ويستنكر مصطفى مجرد ذكر الأجرة ، فى العلاقة الزوجية : « لأنها تحوّل العلاقة الزوجية إلى علاقة عمل ، وهو ما يتنافى ومقاصد الشريعة ، التى يقوم الزواج فيها على المودة والرحمة » .

يُدافع الدكتور عبد المنعم البرى ، رئيس جبهة علماء الأزهر السابق ، والأستاذ فى كلية الدعوة الإسلامية ، عن فتوى الدكتور جمعة ، وذلك للأسباب الفقهية نفسها . لكنه يضيف إليها عنصراً آخر ، يتعلق بصورة الإسلام ، أو الفكرة الشائعة عنه : « إننا ، عبر هذه الفتوى ندحض حجج بعض المشككين ، الذين لا همّ لهم إلاّ محاربة الإسلام ، وإثارة الشُبهات حوله ، خصوصاً فى ما يتعلق بقضية المرأة

وحقوقها . فالإسلام أنصف المرأة أكثر من سائر الشرائع ، وعلينا تأكيد هذه المسألة باستمرار» .

لكن وباسم فكرة المساواة نفسها ، يُبرر آخرون رفضهم هذه الفتوى ، ومنهم الشيخ يوسف البدرى ، عضور المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الذى يرى فى دفاع بعضهم ، عن وجود خادمة فى المنزل ، لكى تتفرغ الزوجة للإمتاع والمؤانسة ، انتقاصاً من المساواة التى جاءت بها الشريعة بين الرجل والمرأة ، وبين البشر عموماً .

أما فى ما يتعلق بالرضاعة ، فإنّ الله يؤكدها فى كتابه العزيز ، كما فى قوله تعالى : *والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين *، وهذا يتناقض مع فكرة الأجر ، الذى يحرم بعض الأبناء من حقهم فى الرضاعة الطبيعية ، فى حال لم يتوافر الأجر .

وبالنسبة إلى العمل يُذكِّر البدرى بقصة السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) ، حين طالبت الإمام علىّ (كرّم الله وجهه) بخادمة ، فما كان من النبى (صلى الله عليه وسلّم) ، إلاّ أن قال لها : « يا فاطمة اعملى عمل أهلك » .

إذا كان ثمّة انقسام فى الرأى بين الفقهاء وعلماء الدين ،

وإن رجحت الكفة كما يبدو ، نحو رفض ما جاءت به الفتوى . فما هو رأى المعنيين مباشرة بالأمر ، أى الأزواج والزوجات ، وكيف يقرأون مثل هذه الفتوى ؟

تبدو علامات الدهشة على محمد طاهر ، مندوب مبيعات (٣٣ عاماً) ، وهو يستمع إلى فحوى الفتوى : « لو انتظرت الزوجة الحصول على مقابل لقاء خدمتها ، لكان من الأفضل عدم وجود فتوى أصلاً ، لأن العلاقة الزوجية تكاملية ، فالزوج يرعى البيت ويوفر احتياجاته ، وأحياناً يحرم نفسه من أشياء كثيرة ، لكى يؤمّن قوت عائلته وحياتها الكريمة ، وبالتالى يحق له أن يعيش مرتاحاً فى منزله ، وأن تحتضنه زوجته بالرعاية والاهتمام » . ويلجأ طاهر ، وإن ليس مباشرة ، إلى مفهوم القوامة ، لتأكيد اعتراضه « إنّ هذه المسائل لا تُقاس بالميزان الدنيوى ، وهناك شريعة سماوية تحفظ حقوق الزوج على زوجته ، وحقوقها عليه . ثم كيف ننتظر أن تكون الأم قدوة لأبنائها ، إذا كانت تتقاضى أجراً ، لقاء رعايتهم أو إرضاعهم ؟ » .

ويستنكر بدر العوض ، تاجر (٥٢ عاماً) بدوره الفتوى متسائلاً : « لماذا تذكّر المفتى هذا الجانب فقط ، وأغفل عشرات السور القرآنية ، والأحاديث النبوية ، التى تحض

الزوجة على طاعة زوجها ، ورعاية بيتها وأولادها ؟ » .

ولا يختلف رأى جيهان محمد ، موظفة (٣٠ عاماً) ، عن الرأيين السابقين : « لو طُبّقت الفتوى حقاً ، لانتهت الرحمة ضمن الأسرة ، ثم إنّ الدين الإسلامى يفرض على المرأة القيام بهذه الواجبات » . ويضيف زوجها ماجد محمد ، مهندس (٣٢ عاماً) ، أنه إذا كانت المرأة مطلقة لأمكن تفهّم ذلك ، لكن فى الحالات الطبيعية ، من الصعب القبول بهذه الفتوى ، التى أظن أن أغلبية الزوجات والأزواج يرفضونها لأنها تتنافى مع الطبيعة والواقع » .

يعلن عبد القادر صالح ، موظف (٤١ عاماً) ، رفضه الفتوى « فالله سبحانه وتعالى فرض على المرأة القيام بواجباتها تجاه بيتها وزوجها ، مثلما فرض على الزوج إعالة عائلته . وأنا أميل إلى أن المفتى استند إلى أسباب شخصية لإصدار الفتوى ، ويمكن أن تكون مفروضة عليه ، والله تعالى أعلم»

وتضحك زوجته أشواق ، ربّة منزل ، من الفكرة « كلام غير سليم طبعاً ، كيف أحصل على راتب من زوجى لقاء خدمته وإرضاع أبنائى ؟ » .

ويشير محمد على ، مدرب كرة قدم (٥٠ عاماً) ، إلى أنّ حسابه المصرفى مشترك مع زوجته ، التى يحق لها أن تسحب مثله ، قدر ما تشاء ، « فهى تشاركنى فى إدارة المنزل وتدبير احتياجاته . أما إذا حدث طلاق ، فهناك حقوق شرعية للزوجة لا جدال فيها » . وتشاركه زوجته لطيفة ، موظفة ، الرأى على اعتبار أن حرية المرأة لا تتعارض والشريعة الإسلامية ، القاضية بتوزيع عادل للواجبات والحقوق بين الزوجين .

وتحتج غادة سليم ، موظفة ، على هذه الفتوى أيضاً ، بسبب ما تراه فيها من طابع مادى : « هذه الفتوى تتعمّد فصل الدين عن الحياة ، وتعيده إلى الكتب والمجلدات ، مغفلة أن الدين ، هو جزء من الحياة . وهى تنفى كيان الأسرة كخلية واحدة ، المحرك الأساسى فيها ، هو العاطفة ، لا المادة . ومسألة إنفاق الزوج على المنزل حسمها الإسلام فى القوامة ، من دون أن ينفى ذلك دور المرأة فى الأسرة . فيمكن للرجل أن يأتى بمائة خادمة ، لكن الأم تبقى أمّاً ، وتبقى علاقتها ببيتها وأبنائها ، مختلفة عن المصلحة والمنفعة التى تتضمنها هذه الفتوى » .

وتتفق مريم بطي ، مسؤولة اللجنة الدينية في جمعية النهضة النسائية ، مع غادة في موضوع القوامة ، مُذكِّرة كذلك بالآية الكريمة : ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ، التي تتنافى ، في رأيها ، مع فكرة الأجر .

أما سلوى خان ، مُصممّة أزياء ، فترى أنه يجوز للمرأة ، أن تتقاضى أجراً من زوجها ، في حالة واحدة فقط ، وهي أن تكون موظفة لديه ، خارج المنزل ، أي في مؤسسة تجارية مثلاً . إذ تجدها فكرة جميلة ، أن يخصص الزوج لزوجته ، إذا كانت لا تعمل ، مبلغاً شهرياً ، لكن ليس في إطار الأجر أو المقابل المادي .

هل تفاقم مؤسسات الزواج مشكلة الطلاق ؟[1]

هل تنجز مكاتب الخدمة الاجتماعية والتأهيل الأسري ، التي تزايدت أخيراً في دولة الإمارات ، المهمة التي يفترض أن تقوم بها ، بحل مشكلات العنوسة والطلاق وسواهما من مشكلات تواجه الأسرة ؟ أم أنها كما يرى بعضهم تفاقم الأزمات الراهنة وتخلق أخرى جديدة ؟ وهل يمكن التعميم والقول إن جميع هذه المكاتب تبتغي الربح المادي ، أم أن

---

(١) مجلة زهرة الخليج / العدد ١٢٩٣ / السبت ٣/ ١/ ٢٠٠٤ .

هناك من يسعى جدياً إلى خدمة المجتمع بصرف النظر عن الأرباح ؟ وماذا عن المعايير والأسس العلمية التى تحكم عمل هذه المكاتب ؟

أسئلة نطرحها على السيدة نور الهدى إبراهيم ، مديرة مؤسسة المودة والرحمة للاستشارات الأسرية ، التى لديها كما يبدو تحفظات كثيرة على الواقع الحالى لمؤسسات الخدمات الأسرية .

- لماذا مؤسسة « المودة والرحمة » ، وبم تختلف عن المؤسسات الأخرى ؟

تعتبر مؤسستنا الأولى فى دولة الإمارات ، التى تخصصت بصورة علمية وأكاديمية فى هذا المجال . وقد منحتنا بلدية أبو ظبى ، وغرفة الصناعة والتجارة ، الترخيص المهنى الذى يخولنا ممارسة هذا النشاط بعد الاطلاع على خطتنا وأهدافنا . فمؤسستنا غير تجارية ، بمعنى أنها لا تهدف إلى الكسب المادى ، وهدفها الأول والأخير الإسهام فى حل المشكلات الاجتماعية المتفاقمة أخيراً . والدليل على ذلك أن الرسوم التى نتقاضاها من طالبى الاستشارة رمزية ، هذا إذا كانوا من المقتدرين . أما ذوو الدخل المحدود فنقدم إليهم

كل خدماتنا مجاناً ، أحد أهداف مؤسستنا تقريب وجهات النظر بين جيلي الآباء والأبناء ، وذلك إدراكاً منا لتطورات العصر واختلاف المفاهيم ، بحيث نتمكن من مخاطبة الشباب ، وفي الوقت نفسه توجيههم في الاتجاه السليم ، باتجاه ضمان حياة أسرية مستقلة ومترابطة ومستقرة في آن معاً وفي السياق نفسه نعمل على إيجاد الصيغ المناسبة للتقارب بين شبان الإمارات وشاباتها ، للوصول إلى الزواج المتكافئ علماً بأننا نلتزم السرية التامة في كل إجراءاتنا ، حتى إتمام عقد الزواج ، ونقدم بيانات واضحة وأكيدة عن الزوج . أما في حال اكتشاف أي تزوير في البيانات ، فيفقد المتعاقد حقه في الخدمة .

ـ هل تقف خدماتكم عند حدود إتمام الزواج ؟

ـ بالطبع لا ، فخدماتنا تمتد إلى ما بعد إنجاب الأطفال ، لأننا نحرص على استمرارية الأسرة ونموها .

ولذلك نسارع إلى حل الخلافات الزوجية قبل تفاقمها ، وقبل الوصول إلى مرحلة الطلاق . ولهذا الهدف فإننا نشترط أن يلجأ الزوجان ، إذا كان متزوجين عبر مؤسستنا ، إلينا قبل الذهاب إلى المحكمة ، كما لدينا مندوب دائم في المحكمة نفسها .

- ما البرامج التي تعتمدونها أو الدراسات التي تحرصون على القيام بها ؟

هناك برامج توعية عدة يُجرى إعدادها ، كما نجرى عدداً من الدراسات ، التى تساعدنا على وضع البرامج ، ومنها مثلاً محاولة معرفة أسباب عزوف الشباب عن الزواج ، أو عدم رغبتهم فى الاقتران بشخص من الجنسية نفسها ، أو أسباب وصول الفتاة إلى سن العنوسة . وفى ما يتعلق بالنقطة الأخيرة هناك مؤشرات خطيرة تحتاج إلى فهم وعلاج ومنها وصول بعضهم إلى سن الأربعين من دون زواج . نحاول إيجاد الحلول الواقعية والعلمية لهذه المشكلات . أما فى ما يختص بمشكلة الطلاق فنجرى الدراسات لمعرفة أسبابه وكيفية معالجتها ، سواء أكانت مادية أم عاطفية . ولهذا الهدف نقوم بإحصاءات سنوية نراقب من خلالها اختلاف نسب الطلاق والعوامل المؤثرة فيها .

- ماذا عن برامج التوعية ؟

هذا جانب مهم من عملنا ، ولذلك نعد الندوات العامة ودورات التأهيل الهادفة إلى بث الوعى بين الشباب خصوصاً ، بحيث يمكن تجنب عدد من المشكلات مستقبلاً

ونحاول أن نؤكد باستمرار ، عبر أنشطتنا هذه ، أهمية الاستقرار الأسرى والقيم الاجتماعية الأساسية ، التى من شأنها تعزيزه .

حدثتنا قبل قليل عن شرط لجوء الزوجين إليكم قبل المحكمة . ماذا عن هذا الشرط ؟ وهل تعتقدين أن الزواج المبنى على شروط مسبقة يمكن أن يكتب له النجاح ؟

- يهدف العقد ، الذى يقوم بيننا وبين الزوجين ، إلى ضمان حماية الزوجين من الخلافات الأسرية والوصول إلى مرحلة الطلاق ، بحيث يمكننا التدخل المباشر فى حل المشكلات ، وتقديم المشورة قبل الوصول إلى طريق مسدود لكن العقد الذى نجريه مع الزوجين لا يتضمن شروطاً ، كما فى العقود التجارية ، بل يحرص على الجانب الإنسانى ، الذى يضمن للزوجين حقيهما فى الحياة الكريمة والآمنة ، وعقد كهذا لا يمكن أن يتم من دون موافقة الزوجين أصلاً .

- بحسب الدراسات التى أجريتموها ، ما أهم أسباب عزوف الشباب عن الزواج ؟

- هناك العديد من الأسباب ، أولها المغريات الكثيرة التى باتت متوافرة للشاب ، الذى يتردد فى دفع مهر مرتفع ، فى

الوقت الذى يقول فيه لنفسه إنه يمكنه الحصول على زوجة أجنبية مقابل مبلغ زهيد . وهذا يدل على أن ارتفاع قيمة المهور هو أحد الأسباب المباشرة .

أما السبب الثانى فيتمثل فى تعالى بعض الفتيات الإماراتيات على الشبان ، لاسيما إذا كانت حاصلة على مؤهل أكاديمى أو منتمية إلى طبقة أرستقراطية . وفى بعض الأحيان تكون المشكلة عند الأهل ، الذين يطالبون ، تمسكاً بالعادات والتقاليد ، بمهور عالية ، أو يصرون على تزويج الابن بابنة عمه أو بفتاة من القبيلة نفسها . كل هذه العناصر أدت إلى زيادة نسبة العنوسة فى مجتمعنا .

.ما نوع الطلبات التى تقدم إليكم ؟

بعض الطلبات تأتى إلينا من شبان غير متزوجين يطلبون زوجة ، وبعضها الآخر يأتى من متزوجين يسعون إلى زواج ثان . وبالنسبة إلى النوع الثانى نحرص على معرفة سبب الرغبة فى زواج ثان ، وهو غالباً ما يكون الرغبة فى الارتباط بفتاة متعلمة وعلى قدر من الجمال . وفى أى حال نلتزم دائماً السرية التامة ، وليس لدينا أى وسطاء ، بحيث نضمن أن تتم الأمور بطريقة سليمة .

ـ هل يقتصر عمل مؤسستكم على الإمارات وحدها ؟

لا ، فنحن نتواصل عبر الانترنت مع المقيمين خارج الدولة ، ونطرح عبر موقعنا الخاص مناقشات تتعلق بالأسرة ، ويجيب خبراؤنا عن الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن ، كما أننا نتسلم طلبات الراغبين فى الزواج بفتيات من جنسيات أخرى ، ونشجع المهاجرين العرب على الزواج فى الإمارات أو خارجها ، وذلك عبر شبكة معلومات تقدم النصائح والإرشادات المختلفة . كما أن هناك تركيزاً على كيفية معاملة الأبناء فى المهجر ، وإرشاد الزوجة إلى كيفية تعاملها مع زوجها ، بحيث يظل مرتبطاً بأسرته .

نهتم ، إضافة إلى ذلك ، بالمراهقين داخل الدولة وخارجها ، الذين نحرص على التواصل معهم ، وإرشادهم ومحاولة إبعادهم عن التدخين والمخدرات والمنشطات ، وما إلى ذلك من أمور قد تدمر حياتهم .

ـ لماذا فشلت فى رأيك بعض المكاتب الاجتماعية ؟

ـ السبب الرئيسى يعود إلى المنحى التجارى ، الذى يتخذه بعضهم ، إضافة بالطبع إلى غياب الحس بالمسؤولية الاجتماعية . ولذلك نجد أن الطلاق مثلاً فى ازدياد مطرد ،

بسبب غياب الخطة والأهداف المحددة ، وهذا راجع أصلاً إلى أن هذه المكاتب لم تقم أصلاً على أسس علمية مدروسة .

هناك عمليات زواج تجرى بسرعة ومن دون دراسة ، لأن الهدف ربحى بالدرجة الأولى . وفى نهاية المطاف تكون النتيجة غالباً الطلاق ، خصوصاً حين يصبح هناك أطفال . وفى ما يتعلق بتفعيل عمل هذه المكاتب ، فالمطلوب من وزارة الشؤون الاجتماعية القيام بدراسة تقويمية لعمل هذه المكاتب ، ووضع الأسس والضوابط والآليات والشروط الصارمة ، والتى أولها وأكثرها بداهة أن يكون المسؤول عن مكتب الخدمات متخصصاً فى الدراسات الاجتماعية والأسرية .

ـ خاتمة.....

إن الهدف من بناء الأسرة المسلمة هو هدف إيمانى إنسانى ، إنه استمرار للحياة البشرية وإثراء للوجود الإنسانى وهو أيضاً تنشئة على الطاعة والإيمان وحسن الصلة بالله والزوج المسلم يعلم أن بناء الأسرة هو عمل إيمانى له فيه أجر فيحرص على إسعاد زوجته وراحتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، إنه يعلم أن كرامتها من كرامته وسعادتها من سعادته وراحتها من راحته ، والزوجة المسلمة تحترم زوجها وتحرص على طاعته وإرضائه والتخفيف عنه وعدم إرهاقه بالمطالب المادية . .

إنها تعلم أن دينها يربيها على الأخلاق العالية والآداب الفاضلة . . ومادامت تسعى لإرضاء الله فسوف ييسر الله لها الأمور ويخفف عنها المتاعب . . ولابد من التعرض للعقبات والمصاعب ، والزوج والزوجة يحرصان على معالجتها بالحكمة والهدوء والصبر والمصابرة ، فالحب الذى يجمعهما والهدف الذى يعملان من أجله أقوى من أى صعاب .

نصائح للزوجة الجديدة:

ـ أول ما أنصح به الزوجة الجديدة أن تكتم أسرار بيتها الجديد ، وعلاقتها مع زوجها عن صاحباتها وزميلاتها وأمها وإخوتها فكتمان المشكلة أدعى إلى إمكانية حلها بالطرق الودية إذا كانت هناك بعض المشاكل الصغيرة التي يمكن التغلب عليها لأن خروج المشكلات إلى الآخرين يزيد من صعوبة حلها لاختلاف الآراء والخبرات والأهواء . إن طرح الاختلاف على مائدة الحب والود والألفة أدعى إلى الوصول إلى حلول سريعة وحاسمة لها . .

ـ النقطة الثانية أن كلا الزوجين له طريقة حياته وطباعه وثقافته وبيئته وتكوينه النفسي الذي يختلف من شخص إلى آخر بل إننا نرى ذلك داخل الأسرة الواحدة وبالتالي فلابد من الصبر من الطرفين حتى تتأقلم الطباع ويسعى كل منهما لاستكشاف شخصية الآخر ورؤيته مفاتيح شخصيته حتى يتعرف على طرق التعامل معها فهناك العصبي والحساس والمتقلب والمتردد والهادئ والصبور والمتعجل والأناني والرزين والمحب للغير وغيره من الأنواع وبالتالي تحتاج الزوجة الجديدة إلى وقت ربما يمتد إلى السنة كي تتفهم طباع زوجها والعكس .

ـ الزوجة الصالحة:

الزوجة الصالحة لا تكذب أبداً فإن قالت صدقت . . صمتها حكمة وقولها حجة ورأيها معمول به ، الصغير موضع عطفها وإرشادها ، والكبير موضع احترامها . .

الزوجة الصالحة تقدر موقفها المالى وموقف بيتها المالى ثم تتصرف بحكمة فلا ترهق الزوج بالمصروفات والمطلوبات ولا تقتر حتى تصل لدرجة الشح والبخل . . توفر من مصروفها الشهرى للأزمات ولشراء الهدايا لزوجها وأبنائها وصديقاتها فى المناسبات الطيبة .

الزوجة الصالحة تعلم أن زوجها يجمع المال بالجهد والعرق ليوفر لها حياة كريمة فتضع هذا فى اعتبارها وتربى عليه أبناءها وتشعر زوجها بالامتنان والتقدير وتخفف عنه عناء العمل فترعى شؤون بيتها وتتنبه لمطالب زوجها وترعى أبناءها حتى يصبح البيت واحة للراحة والهدوء والطمأنينة .

وعلى الرجل أن يكون صبوراً فى معاملة أهله حنوناً فى معالجة مشكلات أبنائه وزوجه كريماً فى التجاوز عن الأخطاء الصغيرة رحيماً فى سلوكه جواداً فى عطائه صديقاً لزوجه وأبنائه .

ـ وصية أم عصرية :

ضعي زوجك في قدر من العناية والرعاية والحنان وسُدى القدر بغطاء محكم من الشفقة والرقة والمرح والابتسام والمشاركة الوجدانية .

ضعى القدر على نيران حبك الهادئ المستمر واجعليه حباً صادقاً فواراً لا يخبو ولا يتأجج .

وبذلك تجيدين طهو الزواج طهواً جيداً هادئاً ممتازاً وتجعلين نعيم الزواج شهياً رائعاً حلواً يكفى لإسعادك طول العمر .

ـ وصية الأب لابنته :

أوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته فقال :

إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق !

وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء .

وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة .

وأطيب الطيب الماء .

ـ أوجز النصائح للمتزوجين حديثاً :

ـ المرء لا يولد عاشقاً ولكن عليه أن يتعلم فن الحب وهذا

يتطلب وقتاً ما .

ـ لا تعتقد بأن زواجك فاشل لأن احتياجاتك الجنسية لا تتوافق مع احتياجات الطرف الآخر في شهر العسل والسنة الأولى من الزواج فحتى أساتذة الحب المحنكين يحتاجون لوقت كاف للوصول إلى هذا التوافق الجنسي .

ـ للحصول على الحب يجب على المرء أن يعطيه فإن الحب يولّد الحب وليس على سبيل المقايضة أو أداء الواجب وعلى قدر سخاء العطاء من جانبك يكون سخاء العطاء من الجانب الآخر ، أما الأنانية فهي مدمرة للحب والعلاقة الجنسية تماماً .

ـ لا تجعل من حياتك مع نصفك الآخر فرضاً أو واجباً أو عبئاً ولكن اجعل الأمر صداقة متجددة وحباً أبدياً فبذلك ترفرف عليكما أجنحة السعادة .

ـ تناول معها في بعض الأحيان طعام الإفطار في الفراش .

ـ احتفظ بتذكارات الأيام الخوالي كشهر العسل .

ـ اصحبها في نزهة خلوية في يوم العطلة .

ـ تحدث إليها دائماً بأحلامك وأمانيك وشاركها أفكارك ومشاعرك .

- اتصل بها هاتفياً من العمل لتسأل عنها وتخبرها بأنك تفكر فيها وتشتاق إليها .

- ابدأ معها هواية جديدة ومشتركة وطريفة وخيرها المطالعة المفيدة .

- حدثها دائماً عن مقدار سرورك واعتزازك وفخرك بها .

- أضف إلى كل هذه القائمة كل ما تكتشف أنه يسرها ويثير عواطفها ومشاعرها المشروعة .

- الموضوعات الممنوعة :

- تجنبى الحديث فى موضوعات تضايق زوجك ، أو تثير اشمئزازه ، وتخيرى الموضوعات التى تسعده ، وأمسكى لسانك عن الهذيان والنميمة والغيبة والمراءاة والفحش والمنكر والشتم وزور الكلام .

- لا تتحدثى عن ذكريات عاطفية سابقة حتى لو حدثك زوجك عن ماضيه مع نساء أخريات .

- لا تتحدثى عن الفضائح والإشاعات التى تقال عن زميلاتك ولا تذكرى تفاصيلها الدقيقة وخفاياها الدفينة فقد يخطر ببال زوجك أنك فى الحقيقة تتحدثين عن نفسك ما

دمت تعرفين هذه التفاصيل الدقيقة كلها بهذا العمق الخطير .
وتذكرى قوله تعالى « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

ـ لا تتحدثى عن امرأة (أو رجل) حديثاً مشيناً ولا تنطقى بكلمة تؤذيها فى سمعتها وشرفها وتصمها بارتكاب جريمة الزنا ؛ فهذه الكلمة لو ثبت كذبها عقوبتها الجلد ثمانين جلدة والحرمان من الشهادة أمام القضاة ، بالإضافة إلى عقوبة الآخرة .

ـ لا تفصلى الحديث تفصيلاً عن مرض سابق أصابك أو أصاب أحد أقاربك ولا تذكرى التفاصيل المؤلمة الدقيقة لحادث مرير سابق .

ـ لا تسألى زوجك : كيف أبدو فى عينيك ؟ هل يعجبك مظهرى ؟ هل يسرك شعرى ؟ فقد يشعره مثل هذا السؤال أنك متسولة تستجدين عطفه وتريدين تقديره .

ـ وأخيراً :

فكل ما سبق حديث هامس لكل زوجين كى يرسوا معاً على بر السعادة بسفينة حياتهما مهما علت الأمواج فى رحلتهما منذ البداية وحتى النهاية لكنى أقول لكل زوجين أبت الأقدار أن تمنحها السعادة الزوجية ولم يجد أحدهما

نفسه مع الآخر منذ بداية الحياة :

صبراً . . فما هى إلا سنوات قلائل بالنسبة لعمر الآخرة دار النعيم الأبدى والخلود اللانهائى . .

صبراً . . إن موعدكما الجنة . . فجاهدا معاً كى لا تهدما بيتكما وتحرما أبناءكما لذة الاستقرار النفسى ومتعة الحياة الصافية . .

صبراً . . فحتى لو ذقتما كل المتعة فى حياتكما معاً فسوف تنتهى هذه الحياة حتماً ونلقى الله فيجازى كلاً منا حسب عمله وصبره فأما الصابرة على زوجها فلها قصر فى الجنة كقصر آسية امرأة فرعون وأما الصابر على زوجته فله أجر أيوب عليه السلام ، ومع ذلك فلا مانع من المحاولات المستمرة الدؤوبة حتى يُسعد كل منكما نفسه مع الآخر فالحياة كفاح مستمر والأيام يوم لك ويوم عليك . . .

ولندعُ الله دوماً قائلين : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً » صدق الله العظيم

ا.هـ الأربعاء ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٧م

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السنة النبوية المطهرة .

٣ ـ زواج الحب : للباحثين الأمريكيين : دكتور كليفورد . آدامز ، وڤانس . أ . باكار . ترجمة الأستاذ / حلمي مراد . الناشر : المؤسسة العربية الحديثة .

٤ ـ وجوه الحب السبعة : أندريه موروا ، ترجمة الأستاذ/ حلمي مراد .

٥ ـ ويبقى الحب ما بقى الحوار : محمد أحمد عبد الجواد : دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٦ ـ أزواج وزوجان أو صراع الديكة : عبد الوهاب مطاوع : دار الشروق .

٧ ـ أوراق الورد وأشواكه في بيوتنا : د/ أكرم رضا : ألفا للنشر والتوزيع .

٨ ـ مشكلة الحب : الدكتور / زكريا إبراهيم : مكتبة مصر .

٩ ـ الرجال : أسرار وحكايات : نجلاء محفوظ : الدار المصرية اللبنانية .

١٠ ـ شبكة الإنترنت : مواقع مختلفة .

١١ ـ مجلة زهرة الخليج الخليجية .

١٢ ـ مجلة الزهور المصرية .

١٣ ـ مجلة الشباب المصرية .

١٤ ـ النظرات : مصطفى لطفى المنفلوطى : مكتبة مصر .

١٥ ـ ديوان الإمام الشافعى : تقديم وتعليق د / إسماعيل العقباوى دار الحرم للتراث .

١٦ ـ أمثال الشرق والغرب : الشيخ يوسف البستاني ، صلاح الدين البستانى ، دار البستاني للنشر والتوزيع .

١٧ ـ كيف تسعدين زوجك د / محمد فتحى : مكتبة الخانجى .

١٨ ـ ديوان الشاعر فاروق جويدة : مركز الأهرام للترجمة والنشر .

١٩ ـ حديث العيون وهمس الجفون : محمد إبراهيم الدسوقى : دار الطلائع .

٢٠ ـ تحفه العروس : محمود مهدى الاستانبولى : دار الفكر العربى .

٢١ـ آداب الحياة الزوجية : الشيخ خالد عبدالرحمن العك . دار المعرفة .

٢٢ ـ قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : الشيخ محمد الغزالي دار الشروق .

٢٣ ـ إلى ابنتي : أ/ زينب الغزالي الجبيلي : دار التوزيع والنشر الإسلامية .

٢٤ ـ تحرير المرأة في عصر الرسالة : أ/ عبد الحليم أبو شُقة : دار القلم .

٢٥ ـ بيت أسس على التقوى : د/ عائض القرني ، دار ابن حزم .

٢٦ ـ أسرار المرأة في الحب والجنس : باربارادى إنجليس : مصرية للنشر .

٢٧ ـ الزواج المثالي : الدكتور محمد فتحي : مكتبة الخانجي .

٢٨ ـ قوامة النساء : المشكلة والحل الإسلامي د / زينب عبد السلام أبو الفضل ، مكتبة جزيرة الورد .

٢٩ ـ فن الحياة : أندريه موروا : ترجمة حلمي مراد : مطبوعات كتابى ، المؤسسة العربية الحديثة . .

٣٠ ـ أمهات المؤمنين : سمية عبد الحليم عويس ، دار العبيكان ، الرياض .

الفهرس

فهرس الكتاب

الفصل الأول

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس


فى القفص الذهبى
صولات وجولات
بقلم
رقم الإيداع
الترقيم الدولى